٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٢٠٥

جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
مكة المكرمة

الصفات الأساسية للداعية المسلم

رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا الشرعية
لنيل درجة التخصص الماجستير في العقيدة

إشراف
الشيخ محمد الغزالي

٢٠٠٣٠١ ر

إعداد
أحمد محمد العدناني

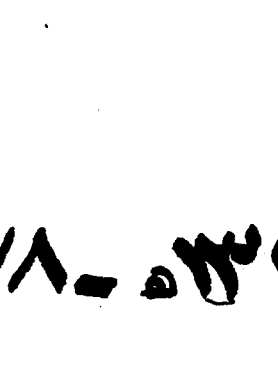

٥-٧

١٣٩٨هـ - ١٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

• • •

أتقدم بالشكر العظيم الى الله تبارك اسمه على نعمه الكبيرة حيث أعاننى ويسر أمرى فهو صاحب الفضل فيما أسدى وله الحمد على ما أولى •

واستجابة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ان أشكر الناس لله عز وجل أشكرهم للناس) •(١)

فانى أقدم الشكر الجزيل لحكومتنا الرشيدة على ما تقوم به فى سبيل نشر العلم ، وتوفير كافة وسائله ومتطلباته ، كما أشكر القائمين على كلية الشريعة والدراسات الاسلامية أساتذة واداريين ، وأخص بالذكر عميدها الموقر وأساتذة قسم الدراسات العليا الشرعية •

ثم اننى أتقدم بالشكر الجزيل الى أستاذى المشرف على هذه الرسالة فضيلة الشيخ **محمد الغزالى** ، على ما بذله معى فى اخراجها ، وأقول بحق انه منحنى كل ما من شأنه أن يبرز هذا البحث الى حيز الوجود ، فلم تكن ساعة الاشراف المقررة شيئا بالنسبة الى الوقت الذى منحنى اياه ، ثم انه لم يكن مشرفا فحسب بل كان أبا عطوفا ، ولا أملك الا أن أبتهل الى الله تعالى أن يهب له الصحة والعافية وأن يبارك فى وقته ويسدد خطاه انه سميع مجيب •

كما أشكر الدكتور عوض الله حجازى حيث كان له الفضل فى توجيهى الى اختيار الموضوع ، وأشكر كل من انتفعت بكتابته وكل من ساعدنى فى هذا البحث باعارة الكتب والتوجيه والارشاد ، وأدعو المولى جل شأنه أن يجعلنا من أنصار دينه وأن يموتنا شهداء فى سبيله وأن يكلأ الجميع بعنايته وجميل رعايته ، انه بالاجابة جدير وصلى الله على خاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه وسلم •

---

(١) مسند أحمد ٥ ص ٢١٢ •

فهرس الموضوعـــات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
* الخصائص النفسية للداعيـــــة	
الاخلاص	٨
قوة الايمان	١٥
التضحية	٢١
الشجاعة المادية والأدبية	٣٠
الصبر	٣٨
الحكمة	٤٧
التواضع	٥٤
القناعة	٥٩
الحلم	٦٢
الصدق	٦٥
الوفاء بالوعد	٦٨
الأمانـة	٦٩
الكرم والسخاء	٧١
* ثقافة الداعيـــــة	
القرآن الكريم وتفسيره	٧٤
السنة النبوية والسيرة والشمائل	٨٤
العقيـدة	٩٥
التصوف	٩٧
نظام الاسلام	٩٩
الفقـه	١٠٣

الموضوع	الصفحة
أصول الفقه	١٠٥
الثقافة الأدبية واللغوية	١٠٦
الثقافة التاريخية	١٠٩
الثقافة الانسانية	١١٧
علم النفس	١١٨
علم الاجتماع	١٢٠
علم الأخلاق والمنطق والفلسفة	١٢١
الثقافة العلمية التجريبية	١٢٤
الثقافة الواقعية	١٣٠
* البيان والتربيـــــة	
البيان	١٣٩
المحاضرة	١٤٠
الخطبة	١٤٢
المقالة	١٤٥
الحديث العام	١٤٧
الدرس	١٤٩
الموعظة	١٥١
القصة	١٥٩
التأليف	١٦٧
الحكم والأمثال	١٦٩
الندوة (وتشمل الحوار والمناقشة)	١٧٠
التربية	١٧٢
التربية بالأحداث	١٧٦

الموضوع	الصفحة
التربية بالعادة	١٧٨
التربية بالرحلة	١٨١
التربية بالقدوة	١٨٣
الخاتمة	١٩٦
المراجع	٢٠٠

.. .. ..

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له اله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرض ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخليله وأمينه على وحيه ، أرسله الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين ساروا على نهجه في الدعوة وصبروا على ذلك وجاهدوا فيه حتى أظهر الله بهم دينه وأعلى كلمته ولو كره المشركون وسلم تسليما كثيرا .. أما بعد

فقد دفعني الى اختيار هذا الموضوع أشياء كثيرة لعل في طليعتها:

١ ـ واقع المسلمين المؤلم ، وردة الكثير منهم عن الحق الذي ورثوه وقلة من يخرجهم من الظلمات الى النور ، فان في الدعاة الناضجين أزمة ، مع الحاجة الملحة اليهم وتطلع العالم الاسلامي الواسع الى الاستماع لهم والافادة منهم .

٢ ـ واقع العالم المعاصر وحيرته بعد استفحال الجاهلية في جنباته وانتشار مبادىء كثيرة مبتوتة الصلة بالسماء ، وانه في حاجة الى من يأخذ بيده الى الرشد .

٣ ـ كثرة دعاة الباطل ، ووفرة الظروف التي مهدت لهم ، ورجحت كفتهم وجعلت أعدادا كبيرة من القاصرين والمخدوعين يفتتن بهم ، وهذا يستوجب اعداد الدعاة اعدادا سليما ، لأن الحرب الآن فكرية قبل أن تكون قتالية .

والسلاح الأول للداعية قدرته على الاقناع وفرض ما عنده بالكلمة التي تستهوي الألباب وتملك المشاعر .

٤ ـ المؤسف أنه فى هذه الأيام تقلص من أذهان المسلمين فكر الدعوة وخطها المرسوم ومنطقها المقتحم الفعال بعكس ما كانت أيام السلف الصالح اذ كانت الدعوة بارزة المعالم ، وشاملة لكل المسلمين فهم على اختلاف ثقافتهم معتزون بدينهم ، يدعون اليه ويخوضون به كل ميدان .

والمتأمل فى تاريخ المسلمين يجد أن سوق الدعوة قامت وراجت على امتداد العصور ، وانتجت ثمرات شهية وكفلت العزة لجمهرتهم والتمكين لشرع الله فكان المسلمون هم الأعلون فى سائر الميادين وهم المتبوعون المؤثرون على العالم ولاشك أن العقيدة والدعوة ولدتا فى وقت واحد وهما توأمان لا ينفكان ، وهذه حقيقة مألوفه لذا نجد العلماء لم يترددوا فى الجمع بينهما فى التسميات الحديثه مثل كلية أو قسم الدعوة وأصول الدين .

وتقوم الدعوة على أكتاف رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، يؤثرون الدعوة الى الله ، ويلتزمون نصرتها بأفكارهم وأقوالهم ودمائهم ، لأن الداعية على يقين بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ان الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النمله فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمى الناس الخير)(١) .

ولهذا لا يشهت لها الا الرجال الذين عاهدوا الله على المضى فى الطريق مهما طالت المراحل وكثرت العوائق ، قال تعالى : (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لا نضيع أجر المصلحين)(٢) .

وللداعية أثر عميق فى المجتمع الذى يحيا فيه اذ هو الذى يدفع الأخطار عن الأمة ، ويمنع عنها عذاب الاستئصال ، قال تعالى : (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)(٣) . لم يقل صالحين لأن الصالحين لا يدفعون عن

---

(١) رياض الصالحين ص ٤٨٨ رواه الترمذى ص ٤٠٧ فى تحفة الأحوذى ط : الفجالة .
(٢) سورة الأعراف آية ١٧٠ .
(٣) سورة هود آية ١١٧ .

الأمة الأهوال . قالت زينب رضى الله عنها للرسول صلى الله عليه وسلم (أنهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث)[1] .

والداعى الى الله لابد أن تكون له خصائص أدبية وعقلية جليلة ، فان الدعاة ليسوا موظفين رسميين يرتبطون بأعمال معينة لقاء أجور محددة ، كلا ، وليسوا أشخاصا يألف الناس منهم القاء العظات وامامة الصلوات ويرون ذلك ما يرتقب منهم لأنه علمهم الرتيب وواجبهم المرتقب كلا ...

الدعاة الى الله أناس امتلأت قلوبهم بالحق حتى فاض منها وسرى فى كل ناحية كما تمتلىء الأنهار بالماء ويفيض منها الى البقاع الجدبة فتخصب ، والى الأرض الميتة فتحيا .

ان الدعاة الحقيقيين هم شفاء العلل ، ومعالم الهدى ، وبصر الناس عندما تتكاثف الظلمات وتتشابه الغيايات .

والدعاة الى جانب ذلك هم حراس الحق عندما تحاول الشياطين طمس طريقه ، واتاهة الناس عن نهجه .

والأمة الاسلامية — فى هذا العصر — فى حاجة ماسة الى دعاة يردون غوائل الغزو الفكرى ، ويستيقون الحقائق الدينية الحقوق الانسانية مصونة جليلة .

وفى بحثى هذا لأناقش تعريفات ومدلولات فلسفية ، ولا أتعرض لمجادلات وهمية ، وانما أطيل الحديث عن طائفة خاصة من المسلمين ، قال الله عز وجل عنها (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)[2] .

---

(١) فتح البارى ٦ ص ٣٨١ ، صحيح مسلم شرح النووى ١٨ ص ٣ ، متفق عليه .

(٢) سورة التوبة آية ١٢٢ .

ان الآية تعنى الرجال الذين يعلمون الاسلام ويحفظون حدوده ويوسعون دائرته ، ويذودون عنه شياطين الانس والجن . والفرق بين الداعية وغيره ان الداعية مؤمن بفكرة حية متحركة يدعو اليها ويسعى لتنمية خصائص الخير فى نفسه وفى الآخرين بكل ما يستطيع من وسائل علمية وخلقية ، انه يؤثر فى الناس بعمله وشخصه فهو طبيب اجتماعى يعالج أمراض النفوس ويصلح الأوضاع الفاسدة ويقف حياته كلها على الاصلاح فهو يحلم به ويعمل له ويفكر فيه ويرضى ويسخط وفق ما يصيب فى هذا الميدان الكبير.

والداعية قائد فى محيطه ، وموجه موفق فى بيئته ، ينافح عن فكرته بحرارة داخل المجتمع المسلم وخارجه ما استطاع الى ذلك سبيلا ... ! وهذا لا ينهض به غيره ممن قد يشابهه من العاملين فى الميدان نفسه ، أعنى أهل الفتوى والتدريس والوعظ ونحوه ، فالمفتى رجل قد يسأل فى قضية ما فيجيب بالحكم المقرر فى هذه القضية وكفى ، والمدرس قد يلقى حصته المطلوبة ثم ينصرف لشأنه ، وحسبه أنه أدى ...

والواعظ قد يؤثر بكلمات عاطفية يرفع بها حرارة اليقين حينا ثم يهدأ . أما الداعى الى الله فهو يغرس ويتعهد ويتابع ويلاحق وقد يعظ وقد يدرس وقد يفتى ، بيد أن هذه أجزاء من رسالته أو واجبات تفرضها ظروف موقوتة ، وهو من قبل ومن بعد مشغول بأمر الاسلام أصلا وفرعا ، ما يستريح حتى يبلغ به المدى أو يموت دون ذلك .

وهؤلاء الدعاة هم ورثة الأنبياء وحجة الله على الخلق — لأن النبوة ختمت بمحمد صلى الله عليه وسلم — يميز الله بهم الخبيث من الطيب ، فيحيا من يحيا عن بينة ويهلك من هلك عن بينة ، وهذا من عدل الله فى خلقه ، قال الله تعالى (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون) (٢) ، ومن الأقوال

---

(١) اشارة الى آية ٤٢ من سورة الأنفال .
(٢) سورة القصص آية ٥٩ .

المأثورة أنه لا قيام للباطل الا فى غفلة الحق ، كأن ذهول الحراس هو الذى يتيح للصوص السطو ، وخمول الفلاح هو الذى يتيح للحشائش الطفيلية أن تذهب بالمحصول المهم ، ولذلك وجب على الدعاة أن يأخذوا أبدا حذرهم وأن يدركوا مسئوليتهم الجسيمة عن أمتهم وشريعتهم .

والى جانب هذه الحقيقة الاجتماعية ينبغى أن نعلم أن الباطل لا يترك المكان الا اذا زاحمه الحق عليه واحتازه منه أى أن زهوق الباطل مقرون بمجىء الحق ، فاذا لم يأت الحق فكيف يذهب الباطل ؟ — ذهاب الظلام مقرون بمجىء النور — فما أهلك الله فرعون الا بعد مجىء موسى صلى الله عليه وسلم وهكذا الشأن مع غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فليدرك الدعاة هذه الحقائق الاجتماعية ، وهم يحدون قافلة الايمان ويكافحون مكايد الشيطان .

وفى بحثى هذا المتواضع اقتصرت على المهم من الصفات التى يجب توفرها فى الدعاة وركزت فى سوق الأمثلة على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ، لأن سلفنا الأول هو قاعدتنا الأولى فى البناء والأسوة .

ولما كان اعداد الدعاه أمرا ذا بال ، فان العلاج يتطلب الدوران حول عدة محاور تنتهى كلها بتكوين انسان صالح مصلح راشد مرشد ، يستطيع (باسم الله) أن يوجه المجتمع الى مرضاة الله . والأنبياء — وهم قمم الدعوة — صنعهم الله جل شأنه بنعمته وحكمته كى يستطيعوا النهوض بالرسالات الضخمه التى كلفوا بها ، قال الله لموسى عليه السلام (واصطنعتك لنفسى)(١) وقال له (ولتصنع على عينى)(٢) ، وقال لامام المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام (اصبر لحكم ربك فانك بأعيننا)(٣) ، وقال له (ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك)(٤) .

---

(١) سورة طه آية ٤١ .
(٢) سورة طه آية ٣٩ .
(٣) سورة الطور آية ٤٨ .
(٤) سورة ألم نشرح الى آية ٣ .

فاذا كان رسل الله عندما حملوا واجب البلاغ قد تولتهم العناية العليا على هذا النحو فان الدعاة العاديين لابد من سياسة محكمة ، توضع لبناء كيانهم المعنوى واعدادهم للمستقبل الذى ينتظر منهم .

وهذا يقضى بتناول الداعية من الناحية النفسية والعلمية كما يقضى الالتفات الى المنافذ التى يطل منها على المجتمع ، ولذلك رتبت البحث على المنهج التالى :

■ الخصائص النفسية للداعية ويشمل الاخلاص .

بدأت به تيمنا بالامام الجليل البخارى رحمه الله فى كتابه الجامع الصحيح اذ بدأ كتابه العظيم بحديث (انما الأعمال بالنيات) الخ الحديث ثم تحدثت عن الايمان والتضحية والشجاعة والصبر والحكمة والتواضع والقناعة والحلم والصدق والأمانة والوفاء بالوعد والكرم وكل ما يتصل بالبناء الخلقى فى نفس الداعية .

ثم ان الداعية لابد أن يملك رأس مال ضخم من المعرفة الواسعة والعلوم النافعة ، وأن يكون هذا الرصيد المعنوى حاضرا فى نفسه أغلب أوقاته ، بحيث لا يفجؤه موقف فيحصر أو يتعثر ، بل تكون الخلفية العلمية لديه من العمق والكثافة بحيث يستطيع الانفاق منها دون قلق ، ولن يستطيع ذلك الا بعد دراسة شاملة لعلوم الاسلام المختلفة ، وللعلوم الانسانية الأخرى فانى بينت أن تكون : ثقافة الداعية مشتملة على :

* القرآن الكريم وتفاسيره المختلفة ، كتب السنة ، والسيرة والشمائل النبوية .
* وأصول العقيدة — مع التزام مذهب السلف الصالح — النظام الاسلامى — الفقه والفقه المقارن وأصول الفقه ، التاريخ للعالم القديم والعصور الوسطى وحاضر العالم الاسلامى ، الثقافة اللغوية — العلوم الانسانية : علم النفس والاجتماع والأخلاق — العلوم الكونية والتجريبية .

* وأخيرا الثقافة الواقعية التي تدرك ماهية العالم الاسلامي : سياسيا واقتصاديا وجغرافيا .. الخ ، دراسة القوى المعادية للاسلام، دراسة الأديان والفرق المعاصرة ، والمذاهب السياسية .

* الحركات الاسلامية التجديدية ، والتيارات الفكرية المعارضة للاسلام، دراسة الفرق المنشقة على الاسلام .البيئة المحلية واللغات العالمية الحية .

وقد تطورت طرق الأداء في عصرنا هذا ، واجتهدت كل نحلة في عرض نفسها والاستحواذ على الآخرين .

ودعاة الحق يجب أن يتقنوا كل الوسائل التي تنجح قصدهم وتحقق هدفهم .

ولذلك كان على الداعية أن يعرف فنون البيان التي تؤثر على الناس وتحولهم الى أصدقاء له ، وهذا الباب يتناول بحوثا عن : المحاضرة — الخطبة — المقالة — الحديث العام — الدرس — الموعظة — القصة — التأليف — الأمثال والحكم — الندوة والتربية بالأحداث والعادة والرحلة والتربية بالقدوة ثم الخاتمة فالمراجع .

هذا وما كان من صواب فبفضل الله وتوفيقه ، وما كان من نقص فمن نفسي الأمارة بالسوء والشيطان الرجيم وجز الله خيرا من أهدى الي عيوبي ، وأعانني على تلافيها ، وصلى الله على خير البرية خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين .

... ...

الخصائص النفسية للداعية

الاخـــلاص

أساس الداعية الى الله الاخلاص ، لأنه روح الدين ولباب العبادة ! ، ولما كانت الدعوة الى الله وحده ولا تتم الا بعونه وتوفيقه ، فيجب الا تكـــون الا له وابتغاء وجهه (وليس لأحد أن يخط فيها خطا ، أو يقول كلمـــة ، أو يعد برنامجا ، أو يقوم بعمل ما صغيرا كان أو كبيرا الا بقصد مرضـــات الله سبحانه وعلى هدى منه جل شأنه ، وليس فى الدعوة مكان لشهـــوة أو هوى أو أى هدف أرضى ، انها أكبر من ذلك وأظهر ، والدعـــاة يقتفون آثار الأنبياء في حسن البلاغ ونشدان المثوبة ، ومن ثم فلا ينبغـــى للداعية أن يكترث برأى شخص أو دولة أو حزب أو مجتمع اذا كان فى ذلك ما يغضب الله ، قال صلى الله عليه وسلم : (من التمس رضا الله بسخـــط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله اللـــه الى الناس)[1] رواه الترمذى .

كذلك كان الصحابة الكرام وهم ينشرون الاسلام ويوسعون دائرة الدعوة ، لقد كانوا أنقيـــاء من كل غاية يسعى لها عبيد الدنيا ، كان وجه الله أملهـــم ورضاه هدفهم ، فنزل فى شأنهم قوله تعالى : (رضى الله عنهم ورضوا عنـــه ذلك لمن خشى ربـــه)[2] .

نعم لا ينبغى أن يخلط الداعية فى غايته ونيته مخلوقا مع الله بـــل لابد من التجرد لله وحده ، قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث القدسى[3] : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه)

---

(١) أنظر تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ٧ ص ٩٧ ط: الفجالة الجديدة .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١٨ ص ١١٥ و ١١٦ ط: المطبعة المصريـــة ومكتباتها ، وابن ماجه ٢ ص ١٤٠٥ ط: الحلبى ، ومسند أحمد ٢ ص ٣٠١ و ٤٣٥ ط : دار صادر .
(٣) سورة البينة آية ٨ .

وقال عليه السلام : (من سمع سمع الله به ومن رايا رايا الله به)[1] ذكر في شرح النووى على صحيح مسلم .

فلابد من الاخلاص فى العمل واستهداف المثل العليا واطراح المآرب التافهة (والنداء الذى يستمع اليه الداعية من أعماق ضميره هو : الله غايتنا ، وليس وراء ذلك غاية تدرك ولا مرمى ينال فعلى قدر اخلاصه وقوة ايمانه بدعوته يكون نجاحه ، ويوم يخلو قلب الداعية من الباطل ووسائله تقترب منه أسباب النجاح ويستطيع مغالبة الطواغيت ، فالمال والجاه شرك يقع فيه الدعاه الضعاف اليقين .

ان الداعية الذى جعل الاخلاص صفه لا تفارقه يقهر العوائق التى تقطع غيره ، ولا يلتفت للفوائل التى تبعده عن الله بل يظل أبدا متمثلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه)[2] .

فأى جهد يقدمه الداعية أو مال فى سبيل دعوته لا يريد به مخلوق جزاء أبدا بل يطلبه من عند الله سبحانه ، قال الله تعالى : (الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى)[3] .

ذلك أبو بكر رضى الله عنه أكبر داعية مسلم بعد الأنبياء تجرد عن ماله فى سبيل ربه ووثق فى كفالة الله له ولأهله وفيه أنزل الله هذه الآية[4] .

لقد كانت العلاقة الأولى لسلفنا الصالح هذا الاخلاص فى كل ما يقدمون من جهد وما يبذلون فى سبيل الله من مال ، قال تعالى : (انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)[5] أى يطعمون الأسرى واليتامى والمساكين

---

(١) أنظر اللؤلؤ والمرجان لمحمد فؤاد عبد الباقى ٣ ص ٣٢٤ . ومسلم ٨ ص ١١٦ .
(٢) أنظر مسند احمد ٣ ص ٤٦٠ ط : دار صادر بيروت ، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ٧ ص ٤٦ ط : الفجالة الجديدة ، ومسند الدارمى ٢ ص ٣٠٤ نشرته دار احياء السنة النبوية .
(٣) سورة الليل آية ١٨ — ٢١ .
(٤) تفسير بن كثير ٧ ص ٣١٠ ط : دار الفكر .
(٥) سورة الانسان آية ٩ .

ليعمقوا صلتهم بالله دون انتظار ثناء أو طلب شهرة ، فالداعية يتمسك بالاخلاص فى كل اتجاه سواء فى السلم — بالكلمة والتربية — أو فى الحرب بالبذل والفداء ، ممتثلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله) (١) متفق عليه .

كل هم الداعية هو اعلاء كلمة الله مهما كان الثمن . ان الداعية لا يبغى من دعوته أن يكسب المال الوفير والذين يطلبون الأجور السريعة والمكافآت العاجلة لابد أن تتكشف خباياهم ، والله لا يقبل ذلك الذى يظهر التطلع الى رضوان الله وهو فى حقيقة الأمر لا يريد الا الدرهم والدينار، ان نتيجته الفشل فى الدنيا ، وفى الآخرة سوء العذاب ، قال صلى الله عليه وسلم : (من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة) (٢) ، فالقلب الخالى من الاخلاص لا ينبت له قبول كالحجر المكسو بالتراب لا يخرج زرعا .

وللاخلاص أثر كبير فى استجابة المدعوين الى حقائق الدعوة لأن الاخلاص يكسب صاحبه جرأة فى القول وطهرا فى السرير ((ولهذا جاء فى القرآن الكريم عن عدة من الأنبياء قوله تعالى (وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين) (٣) ، هذه الآية ذكرت فى السورة أربع مرات عن نوح وهود وصالح ولوط))وهذا يفيد التأكيد وأهمية الاخلاص فى سيرة الداعية .

وللاخلاص نور يسطع شعاعه فى نفوس المدعوين وله وقع خاص يربو على بقية الصفات ويجعل صاحبه جهير الصوت بعيدا عن التهم ، ولذلك قال الرجل الصالح لأهل القرية (اتبعوا من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون) (٤) .

---

(١) أنظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١٣ ص ٤٤١ المطبعة السلفية ومكتبتها ، وانظر رياض الصالحين ص ٧ ط: دار الكتاب العربى ، وتحفة الاحوذى شرح جامع الترمذى ص ٢٨١ ط: الانجالة الجديدة ، وسنن ابن ماجه ص ٩٣١ ط عيسى البابى الحلبى بمصر .

(٢) عرف الجنة أى ريحها ، رواه ابن داود ٣ ص ٣٦١ فى عون المعبود ط : هندية ، ورياض الصالحين ص ٤٨٩ ط: دار الكتاب العربى .

(٣) سورة الشعراء الآيات : ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٤ .

(٤) سورة يس : آية ٢١ .

ومتى أنس الناس الاخلاص والصدق لدى الداعية انعطفت له القلوب وانطوت على تقديره واعزازه ، لأن الناس اذا لمسوا فى الداعية هـذا الجانب — واذا أيقنوا أنه عصيّ على الاغراء زادت مكانته رسوخا ولقى النجاح المطلوب .

أما اذا كان مريبا فى قصده مغشوشا فى نيته فسرعان ما تنصرف الجماهير عنه وترى أنه متاجر بالكلمات فلا وزن لفصاحته ولا أثر لكلماته .

أورد أبو حامد الغزالى (١) — قال : كان عابد من العباد فى الأمم السابقة يعبد الله دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا : ان ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك وأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس فى صورة شيخ فقال : أين تريد رحمك الله ، قال : أريد أن أقطع هذه الشجرة ، قال : وما أنت وذاك ؟ تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك ، قال : ان هذا من عبادتى ، قال : فانى لا أتركك ان تقطعها ، فقاتله (٢) ، وما هى الا لحظات حتى طرحه العابد على الأرض وقعد على صدره فقال له ابليس : أطلقنى حتى أكلمك ، فقام عنه فقال ابليس : ياهذا : ان الله تعالى قد أسقط عنك هذا ولم يفرض عليك وأنت لا تعبدها ، وما عليك من غيرك ، ولله تعالى أنبياء فى أقاليم الأرض ولو شاء لبعثهم الى أهلها وأمرهم بقطعها فقال العابد : لابد لى من قطعها ، ونابذه القتال وتصارعا فغلبه العابد ثانية وصرعه وقعد على صدره فلما رأى ابليس عجزه وضعفه ، سلك طريق الاحتيال وعلم أن هذا الرجل ما دام مخلصا لله فلن تكون قوة فى الأرض تغلبه أو تثنيه عن عمله (٣) ، بالفعل فقد لجأ الى أن يغير العابد نيته وأن يجعله

---

(١) أنظر كتاب الاحياء ٤ ص ٣٢٧ ط: دار احياء التراث العربى بيروت .
(٢) أى ابليس .
(٣) أى عزمه .

يطلب ثواب المخلوق ، فقال له : هل لك فى أمر فصل بينى وبينك وهو خير لك وأنفع ، قال العابد : وما هو ، قال ابليس : أطلقنى حتى أقول لك ، فأطلقه فقال ابليس : أنت رجل فقير لا شيء لك ، انما أنت كلّ على الناس يحملونك ولعلك تحب أن تتفضل على اخوانك وتواسى جيرانك وتشبع ، وتستغنى عن الناس . قال العابد : نعم ، قال (١) : فارجع عن هذا الأمر ولك على أن أجعل عند رأسك فى كل ليلة دينارين اذا أصبحت أخذتهما فأنفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع الشجرة التى سيغرس مكانها ولا يضير عبادها قطعها شيئا ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك اياها .

فتفكر العابد فيما قال ، ثم قال : صدق الشيخ لست بنبي فيلزمنى قطع هذه الشجرة ولأمرنى الله أن أقطعها فأكون عاصيا بتركها وما ذكره أكثر منفعة ثم وضع يده فى يد الشيخ وتعاهدا وقد عاهده ابليس على الوفاء بذلك وحلف له ورجع العابد الى صومعته فبات فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذهما وكذلك فى الغد ثم أصبح فى اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا فغضب وأخذ فأسه على عاتقه ومضى الى الشجرة يريد قطعها فاستقبله ابليس فى صورة شيخ ، فقال له : الى أين ، قال : أقطع الشجرة ، فقال : كذبت . ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك اليها فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أول مرة ، فقال : هيهات وما هى الا لحظة حتى أخذه ابليس فصرعه فاذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد ابليس على صدره ، وقال : لتنتهين عن هذا الأمر أو لأذبحنك . فنظر العابد ، فاذا لا طاقة له به ، قال : ياهذا غلبتنى فخل عنى وأخبرنى كيف غلبتك أولا وغلبتنى الآن ، فقال : لأنك غضبت أول مرة لله وكانت نيتك الآخرة فغلبتنى بعون الله وقوته ، وهذه المرة غضبت لنفسك وللدينار فصرعتك .

---

(١) أى ابليس .

فعلى الداعية أن يبالغ فى حمل نفسه على الاخلاص لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان له خالصا)[١] . وأن يدعوا الله تعالى أن يجعله من المخلصين ، ولهذا دعا النبى صلى الله عليه وسلم بقوله (رب اجعلنى مخلصا لك)[٢] ، فالاخلاص ثمرة العمل وروح القبول وأن قل فمعاذ رضى الله عنه حين بعث الى اليمن قال : يارسول الله : أوصنى قال : اخلص دينك يكفك العمل القليل)[٣] .

والأهرف للداعية أن تكون كل ذره من ذرات جسده وكل حركة من حركات أعضائه وكل نظرة من نظرات عينيه لله وحده ، فهو يتحرك ويتطلع ويبصر .

ومناط نشاطه ورجائه الدعوة التى عانقت منه الروح وخالطت منه الدم وتغلغلت فى شغاف القلب وليس ذلك الا لله وحده وأملا فى رضاه وضمانا لعقباه ، قال الله تعالى لنبيه الكريم : (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)[٤] .

وجاء فى الحديث عن ثوبان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى تنجلى عنهم كل فتنة ظلماء)[٥] .

والداعية الحق يعيش للدين لا يتعيش بالدين بأن يجعله سلما لأغراضه قال الله تعالى : (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا)[٦] .

---

(١) أنظر مسند الامام أحمد ٤ ص ١٢٦ ط/ دار صادر .
(٢) أنظر مسند الامام أحمد ٤ ص ٣٦٩ ط/ دار صادر ، وسنن أبو داود ص ٢٥ باب الوقر .
(٣) أنظر كتاب الترغيب والترهيب ١ ص ٣٤ ط : سنة ١٩٦٩م .
(٤) سورة الانعام آية ١٦٤ .
(٥) أنظر كتاب الترغيب والترهيب ١ ص ٣٤ ط: سنة ١٩٦٩م .
(٦) سورة النساء آية ١٠٨ .

والداعية يستطيع تنمية الاخلاص فى نفسه بمطالعة سير الرجال الذين تجردوا لنصرة الحق والتفرس فى هذه النماذج المخلصة وكيف أدت واجبها الى آخر رمق بقدرة وشرف .

ولقد قرأت فى سير الفتوح الاسلامية قصة لجندى مجهول تستحق الدراسة والتبجيل ، فعندما حاصر مسلمه بن عبد الملك حصنا تمنع به الكفار ندب القائد الناس الى نقب منه فما دخله أحد ، فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتحه الله عليهم فنادى — مسلمة — أين صاحب النقب فما جاء أحد ، فنادى انى قد أمرت الآذن بادخاله ساعة يأتى فعزمت عليه الاجاء . فجاء رجل فقال : استأذن لى على الأمير فقال له : أنت صاحب النقب ، قال : أنا أخبركم عنه فأتى — مسلمة — فأخبره عنه فأذن له ، فقال : ان صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا ، الا تسودوا اسمه فى صحيفة الى الخليفه ولا تأمروا له بشيء ولا تسألوه من هو ، قال : فذاك له قال : أنا هو ، فكان مسلمه لا يصلى بعدها صلاة الا قال : اللهم اجعلنى مع صاحب النقب (١) ، هذا ونسأل الله أن يوفقنا جميعا للاخلاص .

... ...

---

(١) أنظر كتاب "مع الله" دراسات فى الدعوة والدعاة للغزالى ص ٢٠٧ ط : حسان .

قوة ايمان الداعيـــة

قد تشترك جماهير المؤمنين فى أصل الايمان ووحدة الانتماء اليـــه بيد أن الداعية يختلف عن غيره بعمق الايمان وقوته ووضوحه وتفجـــر القلب واللسان به ، هذا الحماس للحق والتعلق به والتعصب لـــه شعور غائر فى وجدان الداعية واحساس لا يفارقه فى الشدة أو الرخاء .

هو أساسى للداعية لأنه الزاد الذى يتقوى به والطاقة الـــتى يتحرك بها فى سيرته والمنهج الذى يستقى منه فى الدعوة الى الله .

نعم ان ايمان الداعية بكل ما جاء فى القرآن والسنة ثابت فى قلبه ثبوت الجبال الراسيات يلقى به العدو والصديق ويواجه السراء والضـــراء وينطلق به فى ميدان الكفاح رابط الجأش شديد المراس فان لاقى نصـــرا لا يبطره وان لاقى ضرا لم يؤجل ولم يتخاذل ، يسير بحيويته واتزانـــه ، يتخطى الحواجز بقوة وعزيمة رغم الظروف والأحوال ، قال تعالى : (الذيـــن قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالـــوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم ســـوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفـــر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهـــم عذاب عظيم)(١)

ينفذ الداعية ما جاء من عند الله سبحانه ويتمسك بما صح عن رسولـــه صلى الله عليه وسلم ، وهو اذ يطبقه على نفسه يدعو اليه غيره بيقـــين

---

(١) آل عمران من ١٧٢ الى ١٧٦ .

وقوة ، قال تعالى : (يايحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا)[1] أى بحماس وعزم ، وقال تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين)[2] وملء نفس الداعية السمح والطاعة وتسليم زمامه الى المولى جل شأنه ، وجمع المؤمنين على هذا المعنى السمح ، قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير)[3] .

ويقدر ثقة الداعية فى منهجه واستمداده من ربه ونشاطه فى البلاغ يكون أثره أعمق . فليس كل الناس يصلح للدعوة ، ان الذى يرشح لاقتياد العامة وهدايتهم رجل له فضل يقين وبيان ، فالصحابى الجليل معاذ بن جبل رضى الله عنه الذى أرسله النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن يدعو الى الله وينفذ شرعه لم يختره عليه السلام محاباة بل لصفات كثيرة توفرت فيه منها عمق ايمانه رضى الله عنه حتى أصبح الغيب عنده كالمشاهده . روى أنس بن مالك رضى الله عنه أن معاذ بن جبل رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : كيف أصبحت يامعاذ ، قال : أصبحت مؤمنا بالله تعالى ، قال : ان لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول ، قال : كأنى أنظر الى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة ، قال : عرفت فالزم[4] .

ويتمتع الداعية القوى الايمان بنعم عظيمة تحول التكاليف الصعبة الى أعمال سائغة عذبة وتجعله يتحرر من سلطان الشيطان ، قال تعالى : (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون)[5] .

---

(١) سورة مريم ١٢ .
(٢) سورة المائدة آية ٦٧ .
(٣) سورة البقرة آية ٢٨٥ .
(٤) أنظر الحلية لأبى نعيم ١ ص ٢٤٢ ط : الناشر دار الكتاب العربى بيروت .
(٥) سورة النحل آية ٩٩ .

ويزرع الله الود فى قلوب الناس للداعية القوى الايمان ، قال تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا)[١] .

والعاملون فى ميدان الدعوة هم أنصار الحق وأولى الناس بولاية الله والدفاع عنه ، قال تعالى (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ..) الآية .[٢] وقال تعالى : (ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور)[٣] .

ومن أجل ذلك لا يخالط قلوبهم ريب ولا يلحق خطواتهم عثار والمعتصم بالحق يثبته الله بالقول الثابت فى الحياة الدنيا ويوم القيامة قال تعالى : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ..) الآية[٤] .

كما يضمن الله سبحانه للداعية الفوز فى كفاحه مهما قوى عدوه ، قال تعالى : (وان جندنا لهم الغالبون)[٥] ، وقال : (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)[٦] .

والداعية الواثق من دينه وجهاده ومعاده ، فى شغل بمرضاة ربه ومنجاة عن هموم الدنيا وأزماتها التى تهز غيره فهو يعيش مطمئنا فى كل الظروف ، قال تعالى : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب)[٧] .

---

(١) سورة مريم آية ٩٦ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٥٧ .
(٣) سورة الحج آية ٣٨ .
(٤) سورة ابراهيم آية ٢٧ .
(٥) سورة الصافات آية ١٧٣ .
(٦) سورة الروم آية ٤٧ .
(٧) سورة الرعد آية ٢٨ .

والخطابة والدروس والكتابة وسائر وسائل الدعوة من الذكر كما في الحديث القدسي (ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم)[١] .

فلا ينبغي أن يكون شيء من هذا احتراقا ، بل زلفى الى الله وجهادا في سبيله ، والايمان له حلاوة عظيمة تجعل صاحبه يحمل الصعاب بلذة ويلاقي الشدائد بنشوة ، ولذا جاء في الحديث الصحيح (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان ...) الحديث[٢] .

فهذه الحلاوة تغلب أي مرارة تعترض الداعية من ظروف رديئة وأحوال كئيبة كما تتغلب حلاوة السكر على مرارة الشاي .

يعيش الداعية القوي الايمان في عزة واستعلاء ، قال تعالى : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)[٣] ، وقال تعالى : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين)[٤] .

وقوة ايمان الداعية تجعل لديه الفراسة التي يقول عنها صلى الله عليه وسلم (اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله)[٥] .

فالداعية المتجرد لا تتشابه أمامه الطرق ولا يقع في حبائل الشياطين فان الله يجعل له شعاعا يضيء له الطريق (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ...) الآية[٦] . وقال : (يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به)[٧] .

---

(١) حديث متفق عليه أنظر الترغيب والترهيب ٢ ص ٣٩٣ .
(٢) أنظر سنن النسائي بشرح السيوطي ٨ ص ٩٦ .
(٣) سورة المنافقون آية ٨ .
(٤) سورة آل عمران ١٣٩ .
(٥) أنظر كتاب كشف الخفا ومزيل الألباس للعجلوني ١ ص ٤١ .
(٦) سورة الأنفال آية ٢٩ .
(٧) سورة الحديد آية ٢٨ .

وكثيرا ما يكون المسلك الصالح سببا فى رضوان الله خصوصا اذا ألفه المرء ودام عليه تقربا الى الله تعالى ، لأن الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية (١) .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سريه فكان يقرأ لأصحابه فى صلواتهم فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " سلوه لأى شئ يصنع هذا " ، فسألوه ، فقال : " لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأها " ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أخبروه أن الله عز وجل يحبه (٢) .

فاذا أحب الله عبدا كان سمعه وبصره وسائر جوارحه فى حفظ الله وتأييده للخير ومن ثم يحبه الناس ويتأثرون به (من أصلح ما بينه وبين الله أصلح ما بينه وبين الناس (٣) . ان هناك ثمارا كثيرة يجنيها الداعية القوى اذا تمرس بالعمل فى ميدان الدعوة ، وجاهد فى سبيل الله ليظهر شعائر الاسلام ويرفع لواء الايمان وليحيى فى القلوب جذوة الحب فى الله والبغض فى الله وليقف فى وجه الكفار على اختلاف التيارات التى تومن بهم فى طريقه ، ويصمد مع الفئة التى لاتزال على الحق ظاهره حتى يأتى وعد الله .

أما ضعف الداعية فى هذا الجانب فانه يحرم تلك الثمار وتضعف أو تموت دعوته خاصة فى هذا العصر الذى كبر فيه حجم الركام الجاهلى

---

(١) أنظر صحيح مسلم ١ ص ٥٠ .

(٢) أنظر فتح البارى شرح صحيح البخارى ١٣ ص ٣٤٨ ، وأنظر كتاب الأسماء والصفات للبيهقى ص ٢٠٨ ، وسنن النسائى شرح السيوطى ٢ ص ١٧١ .

(٣) مجموع فتاوى الشيخ ابن تيمية ٧ ص ١٠ .

وكثرت العوامل والفتن التى تبعد الناس عن طاعة الله سبحانه وتعالى وعون الله للعبد بقدر تقربه وكفاحه واستماتته فى نصرته ، ففرق بين الداعية المشمر عن ساقه المقبل على ربه وبين آخر كسول مخلد الى الأرض متثاقل عن الواجب . قال الشاعر :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم
وتأتى على قدر الكرام المكارم

ولا يجوز أن يكون الدعاة أصحاب نهمه الى المتع الفانية ، ولا يسوغ أن يراهم الناس طلاب راحة وبعيد رغبة ، بل ان ذلك يخرجهم من ميدان الدعوة ولاشك أن ضعف ايمان الداعية يقوده الى الصراع على متاع الدنيا وزينتها ويتحول من انسان ربانى عالى الهمة الى شخص وضيع النهج والهدف ، فنجاة الداعية من هذا كله يقربه من الله العلى القدير واقباله على عبادة الله وارشاد الناس ، وينمى ايمانه بفعل الطاعات ، وبذل الجهد فى سبيل الدعوة ، وفيهما الهدى له ولمن معه (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين)(١) .

والصدق مع الله يؤدى الى نتائج مثمرة بل مضاعفة ميمونة ، فان رب العالمين يعامل المقبلين عليه معاملة سمحة باركة . قال صلى الله عليه وسلم (ان تصدق الله يصدقك)(٢) . وفى الحديث القدسى يروى الرسول عن ربه ، قال : "يقول الله : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا وان أتانى يمشى أتيته هرولة)(٣) متفق عليه .

---

(١) سورة العنكبوت آية ٦٩ .
(٢) أنظر سنن النسائى شرح السيوطى ٤ ص ٦٠ .
(٣) رواه البخارى ١٣ ص ٣٨٤ فتح البارى شرح صحيح البخارى ، ومسلم بشرح النووى ١٧ ص ٢ ، والترمذى تحفة الأحوذى ١٠ ص ٦٣ ، مسند أحمد ٢ ص ٢٥١ ، والمسند ٢ ص ٢٥١ ، ابن ماجه ٢ ص ١٢٥٥ ، والترغيب ٢ ص ٢٩٣ .

التضحيـــة

ومن صفات الداعية الأولى بل من ركائزه الخلقية التضحية فى سبيل الله والجود بالنفس والنفيس كلما هتف الداعى لذلك وجدت مواطـــن البذل والايثار ، وهذه الشجاعة لابد منها لأنها لو لم تتوفر فى الداعيـــة لنشأ عن ذلك جبن وفشل كبير ولاستطاع أعداء الاسلام أن ينالوا منـــه وأن يتجرءوا عليه دون مهالاة أو محاذره لأن اتباعه لا يخش لهم بـــأس ولا تنتظر منهم مقاومه ، وطريق الدعوة يتطلب التضحية بكل صورها .. وأشكالها ، وعندما ننظر الى السلف السابقين نجد ما يبهرنا مـــن ارخاصهم للدنيا ومن تضحياتهم بكل غال ونفيس ، ولهذا تسنموا ذرى المجد وبلغوا بدعوتهم المكان الرفيع فى العالم ، وتركوا فى نفـــوس الأعداء انطباعا بأن المسلم لا ينكص فى أى وقت عن التضحية بالمـــال والنفس والأقارب فى سبيل انجاح رسالته وابلاغ دعوته .

والداعية يرجح حب الله على أى معنى آخر فالله عنده آثر مـــن الآباء والأبناء ، وفى سير الأسلاف ما يشهد لهذا السلوك الفذ . من ذلك ما روى شوذب قال : جعل أبو عبيدة بن الجراح يتصدى(١) لابنـــه أبى عبيده رضى الله عنه يوم بدر فجعل أبو عبيده يحيد(٢) عنه ، فلمـــا أكثر قصده أبو عبيدة فقتله فأنزل الله تعالى هذه الآية(٣) حين قتل أبـــاه

---

(١) أى يعترض .
(٢) أى يعدل عنه .
(٣) أنظر الحلية لأبى نعيم ص ١٠١ ، وسنن البيهقى ص ٢٧ ، والاصابة ٢ ص ٢٥٣٩ لابن حجر ، وتفسير ابن كثير ٦ ص ٥٩١ ، وحياة الصحابة ٢ ص ٥٥٨ .

(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم وأبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) .. الآية (١) .

فالتضحية من أجل الله ورسوله مطلوبة ولو أدت الى قتل الوالد الذى يحارب الله ورسوله فعن أبى هريره رضى الله عنه قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن أبى وهو فى ظل أطم (٢) فقال عبر علينا ابن أبى كبشه فقال ابنه : عبد الله بن عبد الله رضى الله عنه يارسول الله والذى أنزلك لئن شئت لآتينك برأسه فقال صلى الله عليه وسلم : (لا ولكن بر أباك وأحسن صحبته) (٣) . رواه البزار ورجاله ثقات .

ولهذا الابن الفاضل مع أبيه المنافق — نعوذ بالله من النفاق — مواقف أخرى فهو يتصدى له ويهدده من ذلك لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من غزوة بنى المصطلق وفتنة ابن سلول وقولته : لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل — وقف له ابنه على باب المدينة ليقتله فلما لم يأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم فى قتله لأبيه وقف على الباب وهدده وقال له : لا تدخل حتى تقول : أنت الأذل ورسول الله الأعز . فلم يدخل حتى قالها بحضرة الناس الذين كانوا فى ذلك المكان (٤) . وحتى أذن له الرسول صلى الله عليه وسلم بالدخول الى منزله .

هكذا ظهرت التضحيات صفة لازمة لذلك الرعيل الأول سواء مع الآباء أو الاخوة . فهذا مصعب ابن عمير رضى الله عنه لما أسر أخوه

---

(١) سورة المجادلة آية ٢٢ .
(٢) وهو المكان المرتفع وجمعه آطام .
(٣) أنظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى ٩ ص ٣١٨ ، وحياة الصحابة ٢ ص ٥٥٩ .
(٤) أنظر تفسير الطبرى ٢٨ ص ١١٣ .

فى بدر قال مصعب لأبى اليسر : شد يديك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك. قال أبو عزيز : فكنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر فكانوا اذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصونى بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بنا ، فما تقع فى يد رجل منهم كسرة خبز الا نفحنى بها فأستحيى فأردها ، فيردها على ما يمسها ... ولما قال : أخوه مصعب لأبى اليسر[1] ما قال ، قال له أبو عزيز : يا أخى هذه وصاتك بى ؟ فقال له مصعب : انه أخى دونك .

فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشى فقيل لها أربعة آلاف درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها[2].

وعندما يضع الداعية المسلم سيرة السلف الصالح وتضحياتهم نصب عينيه — قولا وعملا — فسيجد أنهم وصلوا الى ما وصلوا اليه بتحطيم كل الحواجز التى اعترضت طريقهم مهما بلغ من تمكنها فى النفس وتشبثها بالطباع ولا عجب فمنطق العقيدة يفرض الا يغلبها شىء ، وعلاقة المسلم بربه تذيب كل هوى يحرص عليه الآخرون ، قال تعالى : (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين)[3].

ان ذلك يشرح لنا كيف ضحى أبو عبيده بأبيه من أجل الله ولماذا وقف مصعب بن عمير رضى الله عنه من شقيقه هذا الموقف .

---

(١) وهو الذى أسره أى أبى اليسر.
(٢) أنظر البداية والنهاية لابن كثير ٣ ص ٢٠٧ ، وحياة الصحابة لمحمد يوسف ٢ ص ٥٦٣ .
(٣) سورة التوبة آية ٢٣ ، ٢٤ .

وكذلك عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول مع والده ، وضم الى ذلك موقف أم المؤمنين أم حبيبه رضى الله عنها — مع أبي سفيان — قبل اسلامه — حين زار المدينة فى هدنه الحديبية لما أبت أن تجلسه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه امرؤ نجس مشرك .(١)

وكذلك موقف سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه مع أمه ، روى مصعب بن سعد عن أبيه قال : قالت أم سعد لسعد : أليس الله قد أمر بالبر فوالله لأطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر . قال : فكانوا اذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها بعصا ثم أوجروها فنزلت هذه الآية فى سعد بن أبي وقاص ، قوله تعالى : (وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما)(٢) . قال سعد : لما أسلمت حلفت أمى لا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا ، قال : فناشدتها أول يوم فأبت وصبرت ، فلما كان اليوم الثانى ناشدتها فأبت ، فلما كان اليوم الثالث ناشدتها فأبت ، فقلت : والله لو كانت لك مائة نفس لخرجت قبل أن أدع دينى هذا ، فلما رأت ذلك وعرفت أنى لست فاعلا فأكلت .(٣)

وهذا أبو سلمه رضى الله عنه ضحى من أجل الله ورسوله بابنه وزوجته وعشيرته وسكنه فى موقف واحد ...

انها تضحيات كبرى تنير الطريق للداعية الى الله ، وترسم له أعلى المثل .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٤ ص ٢٨٠ ، وحياة الصحابة لمحمد يوسف ٢ ص ٥٦٤ .
(٢) سورة لقمان آية ١٥ .
(٣) تفسير الطبرى ٢١ ص ٧٠ .

أخرج ابن اسحاق عن أم سلمه رضى الله عنها قالت : لما أجمع رضى الله عنه الخروج الى المدينة رحل لى بعيره ثم حملنى عليه وجعل معى ابنى سلمه بن أبى سلمه فى حجرى ثم خرج يقود بى بعيره . فلما رأته رجال بنى المغيره قاموا اليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد ، قالت : فنزعوا خطام البعير من يده وأخذونى منه ، قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبى سلمه وقالوا : والله لانترك ابننا عندها اذ نزعتموها من صاحبنا ، قالت : فتجاذبوا ابنى سلمه بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد وحبسنى بنوا المغيرة عندهم . وانطلق زوجى أبو سلمه الى المدينة ، قالت : ففرق بينى وبين ابنى وزوجى ، . . . فكنت أخرج كل غداه فأجلس فى الأبطح فما أزال أبكى حتى أمسى سنة أو قريبا منها . . .(١)

بهذا الوضوح تتجلى صفة التضحية ويتكشف أساس مكين لتاريخ الرجال الذين اعتنقوا الدعوة فوفوا لها فى كل ميدان وساندوها بأعز ما ملكوا ، فهم يضحون من أجل الله مهما كان غضب الخلق قريبهم أو بعيدهم فلا عجب ان يكون خلق التضحية لدى الداعية حجر الزاوية فى سيرته ، فما يزعزعه عن قصده تطلع الى عرض قريب أو بعيد وما يرده عن هدفه استكثار من مال تليد أو طريف لأنه يرى أن طريق الدعوة يفرض عليه هذا التفانى وطلبه للآخرة يغريه باستدبار الدنيا وزينتها مقتديا بالرعيل الأول ، فهذا صهيب رضى الله عنه يقول : كنت قد هممت بالخروج(٢) فصدنى فتيان من قريش فجعلت ليلتى أقوم لأقعد ، فقالوا : قد شغله الله عنكم ببطنه — ولم أكن شاكيا — فناموا فخرجت ولحقنى

---

(١) أنظر كتاب البداية والنهاية لابن كثير ٣ ص ١٦٩ ، وحياة الصحابة لمحمد يوسف ١ ص ٣٤٣ .

(٢) أى بالخروج من مكه الى المدينة مهاجرا الى الله ورسوله .

منهم ناس بعدما سرت ليردونى[1] فقلت لهم : ان أعطيتكم أواقى من ذهب وتخلوا سبيلى وتوثقون لى[2] ففعلوا فتبعتهم الى مكة فقلت : احفروا تحت اسكفه[3] الباب فان بها أواقى ، واذهبوا الى فلان فخذوا الحليتين ، وخرجت حتى قدمت المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء قبل أن يتحول منها فلما رآنى قال : (يا أبا يحيى ربح البيع) فقلت يارسول الله[4] : ما سبقنى اليك أحد وما أخبرك الا جبرائيل عليه السلام .

والتركيز على التضحية بالمال منهم لأنه كثيرا ما يعيق الداعية عن السير فى طريقه ، فصهيب رضى الله عنه ضحى بمدخراته العزيزة عليه من ماله ولم يحقه عن هدفه ، وكذلك أبو بكر رضى الله عنه ضحى بكل ما يملك وعمر رضى الله عنه ضحى بنصف ما يملك . وكذلك فعل عثمان رضى الله عنه ، فعن عبد الرحمن بن خباب السلمى رضى الله عنه قال : خطب النبى صلى الله عليه وسلم فحث على تجهيز جيش العسره فقال عثمان رضى الله عنه : على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها[5] قال : ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث[6] فقال عثمان رضى الله عنه : على مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها قال فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها ... كالمتعجب ... ثم قال وهو على المنبر : ماضر عثمان بعدها أو قال بعد اليوم[7] .

---

(١) فى مجمع الزوائد : يريدون ردى .
(٢) وفى البداية وتوفون لى .
(٣) أى خشبة الباب التى يوطأ عليها — مجمع الزوائد ٦ ص ٦٠ .
(٤) أنظر كتاب البداية والنهاية لابن كثير ٣ ص ١٧٣ .
وأنظر كتاب الحلية لابى نعيم ١ ص ١٥٢ .
وأنظر كتاب مجمع الزوائد للهيثمى ٦ ص ٦٠ .
وأنظر كتاب حياة الصحابة لمحمد يوسف ١ ص ٥٣٥ .
(٥) أى بما يوضع تحت السرج والرحل .
(٦) أى حث النبى صلى الله عليه وسلم الناس .
(٧) أنظر البداية ٥ ص ٤ ، الحلية ١ ص ٥٩ .

والتضحيات المطلوبه من الداعية متعددة ومتنوعة كالتضحية بالجاه — فيما اذا كان الجاه يضر بدعوته — كما ضحى من قبل سيد البشر صلى الله عليه وسلم يوم عرض عليه الولاية فى مكة فرفض عليه السلام (١) ، ورفض أبو حنيفة النعمان ولاية القضاء فى سبيل نشر العلم (٢) ، قال ابن مسعود: رضى الله عنه : (نفس تنجيها خير من امارة لا تحصيها) (٣) .

والتضحيات فى سبيل الله رخيصه اذا كان الداعية قد نذر نفسه لله وحده وعزم على أن يحيا له جل شأنه فهو يحلم باليوم الذى يرى فيه صرح الاسلام عاليا متينا يأوى اليه الناس جميعا .

وليس يعز على الداعية أى شيء فى سبيل الله ، ولا يثنيه عن مراده وعيد ، ولا تهديد ، فلو صادروا أمواله أو مسكنه أو آذوا أهله وولده على أن يترك ما يدعوا اليه فانه لا يلين ولا يتردد مهما كانت الخطوب فليس هو الوحيد فى هذا الشأن بل ان أعدادا كثيرة من أفراد المجتمع الاسلامى الأول ضحوا بالكثير من ممتلكاتهم كما سبق ذكره ، ومساكنهم ، قال عليه السلام: (وهل ترك لنا عقيل من رباع) (٤) .

والمثل الأعلى للتضحية ضربه أولئك النفر الذين هاجروا من مكة الى المدينة تاركين وراءهم البيوت والمال والأهل . قال تعالى : (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) (٥) .

---

(١) أنظر البداية والنهاية لابن كثير ٣ ص ٥٠ .
(٢) تاريخ بغداد ١٣ ص ٣٢٧ ، ص ٣٢٩ . وأبو حنيفه لابى زهرة ص ٥٦ .
(٣) أنظر كتاب الفوائد لابن القيم ص ١٤٦ .
(٤) أنظر البداية لابن كثير ٤ ص ٢٩٦ .
(٥) سورة الحشر آية ٨ .

وكم ترى فى التاريخ شواهد لعمل الايمان فى نفوس ذويه ، مثل ما حكى القرآن الكريم عن الفتية أهل الكهف والسحرة الذين آمنوا بموسى صلى الله عليه وسلم وأصحاب الأخدود وغيرهم ، وزادت التضحيات بأن ضحوا بأنفسهم فى سبيل الله وسقوا بستان الاسلام بدمائهم الزكية وتحدوا الباطل وماتوا منتصرين بمبدئهم ، فلم يستطع الباطل أن يلويهم عن مقصدهم رغم أنه نزل ميدان الصراع بكل عتاده وثقله ، وعروا دعاة الخير من كل شىء مادى حتى الجلود مشطت بالحديد كما حدث لآسية امرأة فرعون (١) بالمنشار كما حدث للراهب والوزير فى قصة أصحاب الأخدود والداعية يضحى بنفسه — اذا لزم الأمر — ليعرف الله جل جلاله فالغلام الذى قال للملك : انك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به قال : ما هو قال : تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع ثم خذ سهما من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمنى فانك اذا فعلت ذلك قتلتنى ، فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم فى كبد القوس ثم قال : بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم فى صدغه فوضع يده فى صدغه فمات فقال الناس : آمنا برب الغلام ...) الحديث (٢) .

والصحابى الجليل خبيب بن عدى رضى الله عنه قال يوم استشهد

ولست أبالى حين أقتل مسلما
على أى شق كان فى الله مصرعى
وذاك فى ذات الاله وان يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع (٣)

---

(١) ذكر اسمها فى فتح البارى ٦ ص ٤٤٦ .
(٢) رواه مسلم ٤ ص ١٢٢٩ × أنظر رياض الصالحين ص ٢٩ ، دليل الفالحين ١ ص ١٦٢ .
(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٤ ص ٦٣ .

قال الشاعر د . يوسف القرضاوى :

أعطوا ضريبتهم للدين من دمهم
والناس تزعم نصر الدين مجانـــا (١)

... ...

(١) أنظر كتاب العوائق لمحمد الراشد ص ١٤٧ .

الشجاعة المادية والأدبية

نحن فى عصر كثر فيه أعداء الله وتبجحوا وخامر نفوسهم طمع فى اطفاء نور الله ، وانزال راية الحق ، وتلك حال تفرض على الدعاة الاستماتة فى أداء واجبهم والا يتهيبوا عقبة أو يستسلموا لرهبة . والداعية رجل باع نفسه لله سبحانه ، فهو يكافح فى ميدان الجهاد ويؤدى حق الدعوة بشتى السبل حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة وهو فى رباط دائم كما أنه لا يبخل بعلمه وفكره وجهده وماله وجاهه كذلك لا يبخل بنفسه بل يصدع بكلمة الحق ويواجه خصوم الدين ويتعرض لمتاعب الكفاح ويدعو الله أن يميته شهيدا فى سبيله بل هو متهيىء صباحا ومساء لتغذية دعوته وتلبية ندائها ، فاذا ما نادى المنادى — يا خيل الله اركبى — انطلق يحمل روحه على كفه لا يبالى أوقع عليه الموت أو وقع هو على الموت فذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فزع أهل المدينة ذات ليلة — فانطلق أناس قبل الصوت — فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا وقد سبقهم الى الصوت وهو على فرس عرى لأبى طلحة رضى الله عنه وفى عنقه صلى الله عليه وسلم السيف وهو يقول: لم تراعوا لم تراعو)(١) .

قال أنس رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشجع الناس ... ولقد اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم .(٢)

---

(١) البداية والنهاية ٦ ص ٣٧ .
(٢) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة .

وقال على رضى الله عنه : لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس بأسا (١) .

ان هذه النماذج ناطقة بأن سيد الدعاة كان يعطى الاسوة من نفسه فى لقاء العدو واقتحام الغمرات وتزداد الحاجة الى هذا الخلق ، عندما يكون للباطل رجال أشداء يريدون فرضه على الناس ، ويحاولون من وراء عرض الدنيا أن يأخذوا الطريق على الدين وأهله ، عندئذ يثبت الداعية مستنا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى حنين حين ثبت فى الميدان بشجاعة واقدام وهو يقول : أنا النبى لا كذب : أنا ابن عبد المطلب (٢) .

ولاشك أن الغربة التى يعيش فيها الداعية تحتاج الى ظهير من الجرأة والثبات يأنس اليها الأتباع المؤمنون ، فيلتفون حول صاحبهم وايمانهم مضاعف وأملهم قوى ولديهم من الشجاعة فى الحق ما يزهق الباطل مهما كان متمكنا .

نعم فالداعية الشجاع يستعلى على الباطل ولا يبالى به ، وكم يعجب المرء ببطولة رجل مثل عمر بن الخطاب عندما قرر أن يهاجر على رؤس الأشهاد ويلقى على رجال قريش درسا فى الشجاعة واليقين .

روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى فى يده أسهما وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها فطاف سبعا ثم صلى ركعتين عند المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال : شاهت الوجوه من أراد أن تثكله أمه ويؤتم ولده وترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى فما تبعه أحد (٣) .

---

(١) البداية والنهاية ٤ ص ٣٧ .
(٢) المصدر السابق نفس الجزء ص ٣٢٨ .
(٣) أنظر تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٠٨ .

وشجاعة الداعية القتالية تقوى عزم المحاربين معه حيث يبعث الحماس فيهم بقوله ويشجعهم على الهجوم بفعله كما فعل الصحابي الجليل البراء بن مالك رضى الله عنه فى حروب الردة وكان جنديا فى جيش خالد بن الوليد الذى يقاتل عدو الله مسيلمة الكذاب وأتباعه من بني حنيفه(١) عندما تحصنوا فى حديقة الموت فقال البراء : يا معشر المسلمين ألقونى عليهم فى الحديقة ، فاحتملوه فوق الجحف(٢) ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه ، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأبوابها يقتلون من فيها من المرتدين من أهل اليمامة(٣) .

والمعروف أن ابن تيمية ونفرا من العلماء الذين خدموا الاسلام بالقلم واللسان لم يكتفوا بهذا الجهد المقدور على جلالة ما أسدوا فيه ، بل هبوا لمقاتلة التتار والتعرض للحتوف ، وفى هذه الأيام يتعرض الاسلام لغارات صهيونية وصليبية أنكى من غارات التتار القديمة .

والداعية الشجاع لا يكتفى أن يجيد فن الاقناع الأدبى فى قاعات الخطابة ومحاريب المساجد ، فالأمر أخطر من ذلك فيما نرى ، لذلك يجب على الداعية أن يعد نفسه ويدربها على فن الحرب والنزال — بحسب متطلبات هذا العصر حتى اذا دعا الداعى يكون على أتم استعداد لأداء .. واجبه يتقدم أهل النجدة وينفخ فى روحه فى الضعاف فيتحولون الى رجال مغاوير على أن كثيرا من الدعاة ربما افتقروا الى الخصائص الجثمانية التى تمكنهم من الجهاد العسكرى فى ميادينه الساخنه ، واذا كان ذلك الجهاد

---

(١) أى بنو حنيفه .
(٢) أى الترس .
(٣) أنظر البداية والنهاية ٦ ص ٣٢٥ .

يفوت أغلبهم فهناك جهاد لا يقل عنه خطرا بل ربما زاد زيادة ضخمة وذلكم هو الجهاد الأدبى فى قول الحق والثبات عليه والصدع به مهماكانت الظروف التى تواجه الداعية وتغريه بالصمت .

والدعاة فى كل عصر ومصر يرنون بأبصارهم الى قمة القمم وانسان الانسانية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وهو ينتصب فى الجاهلية السائدة منارا شامخا وصبحا ساطعا يكتسح خرافاتها ويمحو مظالمها وظلماتها .

والشجاعة الأدبية صبغة تسود حياة الداعية وتظهر فى مواقف ومنعطفات خطيرة ، يمر بها وهو يحق الحق ويبطل الباطل فيجد من العنت وتقلب الليالى ما تقشعر له الجلود ، بيد أنه يعتصم بما رزقه الله من ثبات الجنان وجسارة الفؤاد حتى تنجلى الغمة ويتألق الحق مستذكرا ما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قال له عمه أبوطالب: يا ابن أخى . . . قد جاء قومك يزعمون أنك تأتيهم فى كعبتهم وفى ناديهم تسمعهم ما يؤذيهم ، فان رأيت خلى عنهم ، فحلق ببصره الى السماء فقال: والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار — وعند ابن هشام قال صلى الله عليه وسلم : يا عم لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فى طلبه)(١) . وهل كانت الجاهلية تتلاهى وآثامها تتساقط وتختفى الا بعد هذا الموقف الشجاع المتحدى من صاحب الرسالة العظمى ؟

لذلك نقول : انه لا ينجح من الدعاة ولا يبلغ هدفه الا من اتصف بالشجاعة والثبات واقتفاء أثر النبى صلى الله عليه وسلم عندما رد بقسوة تلك الأساليب الملتوية فى اقعاده عن رسالته .

---

(١) أنظر السيرة النبوية لابن هشام ١ ص ٢٤٠ .

والسناد الأكبر لهذه المواقف التجرد لله ، والزهادة فيما يستعبد آلاف النفوس من حب للحكم والرياسة وعشق للثراء والوجاهة ، ثم الايثار الشديد للدار الآخرة. ان بعض المنتسبين الى الدين يصادون من هذه الوغائب ولو عقلوا لأدركوا أنها عرضت على خاتم الأنبياء فازدراها وتجاوزها فى هدوء ، روى أنه اجتمع نفر من قريش فقالوا : أنظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا ، فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه ، فقالوا : ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة فقالوا : ائته يا أبا الوليد فأتاه عتبه فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنت خيرا أم عبد المطلب فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فان كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التى عبت ، وان كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك انا والله ما رأينا سخله قط أشأم على قومه منك فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا فى العرب حتى لقد طار فيهم أن فى قريش ساحرا وان فى قريش كاهنا والله ما ننظر الا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا الى بعض بالسيف حتى نتفانى أيها الرجل ... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغت قال : نعم فقال صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم (حم .. تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) الى أن بلغ (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فقال عتبه حسبك ما عندك غير هذا قال : لا ، فرجع الى قريش فقالوا : ما وراءك قال : ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمونه الا كلمته ، قالوا : فهل أجابك فقال : نعم ، ثم قال : لا والذى نصبها بنيه (٢) ما فهمت شيئا مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ، قالوا : ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدرى ما قال! قال : لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة (٣) .

---

(١) كذا فى الأصل . وفى النهاية للسخل : المولود المحبب الى أبويه .
(٢) أى الكعبة .
(٣) البداية والنهاية ٣ ص ٦٢ .

ان مثل قريش ارتاع مما سمع وهز وجدانه وعيد الوحى وثبات الرسول صلى الله عليه وسلم كالطود الأشم ، وقد تفرس عتبة فى محدثه أنه يتحدث باسم السماء لا بأهواء الأرض ، فشعر كأن اعترضه جنون ، فلذا قال عتبة : يا معشر قريش فأطيعونى اليوم واعصونى فيما بعده ، اتركوا الرجل واعتزلوه فوالله ماهو بتارك ما هو عليه (١) .

والداعية يدرك ان سلسلة العقبات أمامه ممتدة مع امتداد الحياة وأن نجاحه فى ازالة احداها لا يعنى أنه كسب المعركة ، كلا فالاشتباك مع الباطل موصول الأعباء ، ومن ثم يألف العراقيل أمامه ويقدم ولا يهاب أحدا ، مستمدا هذا الاصرار من جهاد النبى الكريم صلى الله عليه وسلم الذى يقول : (فما تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على هذا الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة (٢)) .

ومقومات الشجاعة عند الداعية اعتماده على الله سبحانه واستمداده العون منه وايمانه بما قدر الله فهو يخاطب خصومه من مركز القوة الحقيقية — الاستمداد من جبار السموات والأرض — فهو يهدد بالحق ويبشر بالخير ويخوف من الشر ويمضى فى طريقه لا يخاف لومة لائم ، ويقصد الى أقرب الناس اليه ليضمه الى جبهته ، وانه لجدير بالداعية أن يبدأ بنصح أهل بيته وأن يستظهر بايمان من يهتدى منهم .

ولهذا قال تعالى مخاطبا خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم (وأنذر عشيرتك الأقربين (٣)) .

---

(١) أنظر البداية والنهاية لابن كثير ٣ ص ٦٣ .
(٢) المصدر السابق ٤ ص ١٦٥ — أى الرقبة .
(٣) سورة الشعراء آية ٢١٤ .

والداعية الشجاع اذا عرف الحق لزمه ، وتشبث به وجاهد لحمل الآخرين عليه أو شرح صدورهم به ، وهو يثبت فى الميدان وان تخلى عنه الآخرون ولقد وقف أبو بكر رضى الله عنه فى حرب المرتدين بشجاعة بالغة ، روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لما اجتمع رأى المهاجرين وأنا فيهم حين ارتدت العرب فقلنا يا خليفة رسول الله : اترك الناس يصلون ولا يؤدون الزكاة فانهم لو دخل الايمان فى قلوبهم لأقروا بها فقال أبو بكر رضى الله عنه : والذى نفسى بيده لأن أقع من السماء أحب الى من أن أترك شيئا قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أقاتل عليه فقاتل العرب حتى رجعوا الى الاسلام فقال عمر والذى نفسى بيده ، لذلك اليوم خير من آل عمر — وفى لفظ آخر أن عمر رضى الله عنه قال : يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فانهم بمنزلة الوحش فقال : رجوت نصرتك وجئتنى بخذلانك اجبارا فى الجاهلية خوارا فى الاسلام ... مضى النبى صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحى والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف فى يدى وان منعونى عقالا — ... الخ . قال عمر : فوجدته فى ذلك أمضى منى وأعزم .. أدب الناس على أمر ، هان على كثير من مؤونتهم حين وليتهم .(١)

وشجاعة الداعية تؤدى الى صيانة الحق وحماية المظلومين من تسلط أهل الأهواء ، والوقوف أمام المنحرفين الذين يريدون لهذه الأمة السقوط فى الهاوية .

ولقد وقف الامامان الجليلان أبو حنيفة النعمان رحمه الله مع المنصور الحاكم العباسى فى رفضه لولاية القضاء ، وأحمد بن حنبل رحمه الله مع المأمون والمعتصم فى فتنة خلق القرآن حيث سجن نيفا وثلاثين(٢)

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٧٢ .

(٢) أنظر ترجمة أبو حنيفه النعمان لأبى زهرة ص ٥٦ ، وتاريخ بغداد ١٣ ص ٣٢٨ .

شهرا وضرب ضربا مبرحا ما يقارب ثمانين سوطا ، وكان يغمى عليه من شدة الضرب (١) . هذا ولم تخل الساحة من رجال الحق والخير منذ عصر الخلفاء الراشدين الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ويعجز الباحث من تتبع هؤلاء لكثرتهم وعظم ما قاموا به من أعمال ومواقف وأحوال .

... ...

(١) أنظر البداية والنهاية لابن كثير ١٠ ص ٣٣٢ ، ص ٣٣٤ . والحلية ٩ ص ١٩٦ .

الصبر

ماذا ينتظر من المجرمين عندما يسمعون دعاة الاصلاح؟ وماذا ينتظر من الملحدين عندما يسمعون دعاة الايمان ؟ لن تكون اجابتهم أفضل من اجابة أسلافهم عندما دعتهم رسل الله (فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب)(١) .

كثيرا ما يشق الداعية طريقه في ظروف قاسية ومصاعب متراكمة ومعوقات جمة فلا يبالي ، بل يصبر .

وقدوته في ذلك السابقون من دعاة الخير وعلى رأسهم خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، فطالما تحملوا المحن في ذات الله ، ومع ذلك صابروا الليالي الكالحة حتى أوفوا على الغاية ، روى جبير عن أبيه قال : جلسنا الى المقداد بن الاسود رضي الله عنه ... فقال : لقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم على أشد حال بعث عليه نبي من الأنبياء في فترة وجاهلية ما يرون دينا أفضل من عبادة الأوثان فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل ... الخ .(٢)

والدعاة الى الله قد يصفق الناس لهم اذا خطبوا ، أو يرمقونهم باعجاب اذا كتبوا ، وقد يصطدم بالعرف السائد والتقاليد المرعية ، ..

---

(١) سورة ابراهيم آية ٩ .

(٢) أنظر حلية الأولياء لأبي نعيم ١ ص ١٧٥ .

فلا عجب أن يعارضه الناس ويردوا كلامه وربما أسكتوه وهو يخطب ، أو يتجاوزون ذلك الى ايذائه بشتى الأساليب فلا ييأس الداعية بل يثبت ويصبر ، فقد ورد أن أبا بكر رضى الله عنه لما تكلم فى المسجد الحرام بمكة المكرمة ضرب ضربا شديدا ودنا منه الفاسق عتبه بن ربيعه فجعل يضرب بنعلين مخصوفتين (١) ، ويحرفها لوجهه ووثب على بطنه حتى ما يعرف وجهه من أنفه ... الخ ما ورد (٢) . بيد أن ما يجد الداعية الأذى لا يثبط همته ولا يثنى عزيمته ، فلابد من الصبر حتى ينضج الوعى ويهدأ المتعصبون للباطل وتتفتح عقولهم على مر الأيام فرسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يدعو الناس الى الله ، ويشرح لهم عقيدة التوحيد وظل سنين عددا وهم يخاصمونه ويعترضون سيرته صلى الله عليه وسلم خاصة بعد موت عمه أبى طالب ، ومع ذلك كله فقد صبر حتى ظفر والعاقبة للتقوى ، ولن ننسى موقفه العصيب يوم ذهب الى الطائف فرمى بالحجارة حتى دميت قدماه الشريفتان وشعر بالوحشة من أهل الأرض كلهم ، ومع ذلك بلغ الرسالة وأدى الأمانة .

فطريق الدعوة الى الله ليس مفروشا بالورود ، بل ان مشقة الدعوة الحقيقية هى مشقة الصبر حتى يأتى وعد الله وفق مراده من عباده وسننه التى يخضع لها المؤمن والكافر .

ان هذه المشاق فى طريق الداعى من الالتواء والعناد والتكذيب والتعذيب يؤكدها قول الله سبحانه (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) (٣) .

---

(١) أى مطبقتين .
(٢) أنظر البداية والنهاية ٣ ص ٣٠ ، والاصابة لابن حجر ٤ ص ٤٤٧ ، وحياة الصحابة ١ ص ٢٦٢ .
(٣) سورة محمد صلى الله عليه وسلم آية ٣١ .

فالداعى الى الله ينبغى أن لا يرتاع لغيمه تظهر فى الأفق ولو تبعتها أخريات ولا يتجاهل الحقائق التى أخبر عنها المولى جل جلاله بقوله (ألم . أحسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)(١) .

انه لابد من امتحانات صعبة وعقبات شداد واختبار لليقين بعد اختبار ، ذلك دأب المجاهدين قبلنا وهذا الطريق الذى سلكه الأنبياء من قبل وتحملوا المشاق فى سبيله . يقول صلى الله عليه وسلم : (لقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد وأخفت فى الله وما يخاف أحد ، ولقد أتت على ثلاثة من بين يوم وليلة ومالى ولبلال ما يأكله ذو كبد الا ما يواريه ابط بلال)(٢) .

وروى عروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو بن العاص : أخبرنى بأشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم)(٣) .

ان الصبر ضريبة على أهل الايمان جميعا فيما فرض الله عليهم من تكاليف ويختلف الداعية عن غيره بأن معيار الصبر لديه أكثر وأن نفسه طويل فى تحمل الرفض والغربة والانكار مقتديا بالمعلم الأكبر صلى الله عليه

---

(١) أول سورة العنكبوت آية ١ ، ٢ .
(٢) أنظر سنن ابن ماجه ١ ص ٥٤ .
(٣) أنظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٨ ص ٥٥٤ ، وتفسير ابن كثير ٦ ص ١٣٥ .

وسلم قال ، الحارث لأعرابى : ما هذه الجماعة ، قال : هؤلاء القوم الذين اجتمعوا على صابئ لهم ، قال : فنزلنا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى توحيد الله عز وجل ... وهم يردون عليه ويؤذونه حتى انتصف النهار وانصدع الناس عنه ، أقبلت امرأة قد بدا نحرها (١) تحمل قدحا ومنديلا فتناوله فشرب وتوضأ ثم رفع رأسه فقال : يا بنيه خمرى عليك نحرك ولا تخافى على أبيك قلنا (٢) من هذه ؟ قالوا : هذه زينب بنته رضى الله عنها) وفى رواية منبت الأزدى قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية وهو يقول : يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا فمنهم من تفل فى وجهه ومنهم من حثا (٣) عليه التراب ومنهم من سبه حتى انتصف النهار ، فأقبلت جارية بحس من ماء فغسل وجهه ويديه وقال : يا بنيه لا تخشى على أبيك غيلة ولا ذلة ... رواه الطبرانى وفيه منبت بن مدرك (٤) لم أعرفه وبقية رجاله ثقات) .

وان من العباد من يعتزل فى صومعة ، ويردد قول الشاعر :

يمسى ويصبح سالما .. من الناس الا ماجنى لسعيد

لكن الداعية يخالط مجامع الناس غير مبال بالمعارضين والمكذبين بل يصبر كما فى الحديث (ومن يتصبر يصبره الله) (٥) والحديث عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن الذى يخالط الناس

---

(١) أى صدرها .
(٢) أى بسوق ذى المجاز كما فى رواية رجل من بنى مالك ، كانت بنفس المصدر والصفحة وأن أبا جهل وراءه يقول لا يغرينكم هذا .
(٣) الحس : القدح
(٤) أنظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى ٦ ص ٢١ ، وكنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال بهامش مسند أحمد ٤ ص ٢٩٠ .
(٥) أنظر صحيح مسلم بشرح النووى ٧ ص ١٤٥ . وسنن النسائى ٥ ص ٩٦ بشرح السيوطى ، ومسند أحمد ٣ ص ٥ ، ١٢ ، ٤٧ ، ٩٣ .

ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم (١) .

والسيرة النبوية تحدثنا عن قائد الدعاة عليه الصلاة والسلام حيث كان يخالط الناس فى أنديتهم ومجامعهم وأسواقهم صابرا على ما يأتيه من الأذى ممتثلا قول الله تعالى : (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا (٢)) .

ولقد خاض صلى الله عليه وسلم مرة أحد الأسواق الكبرى للعرب حينذاك ليبلغ رسالة ربه ، وكان عمه أبو لهب — لعنه الله — يتبعه ويقول : انه صابئ كاذب أينما ذهب ، والناس يتزاحمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ربيعه بن عباد (٣) (٤) : فما رأيت أحدا يقول شيئا وهو لا يسكت (٥) .

والداعية الصابر لا ييأس على كثرة المجابهة ، بل كلما زادت الأحوال سوءا اعتقد قرب الفرج بتوفيق الله ، ولقد تآمرت قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أو حبسه أو نفيه واتفقو على القتل فأنجاه الله من ذلك ، قال تعالى : (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك ويخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين (٦)) .

والداعية ان أصابته أول أمره هزائم شتى ، يطمئن لموعود الله بالنصر آخر الأمر مهما أظلم الجو وتكالب العدو .

---

(١) أنظر سنن ابن ماجه ٢ ص ١٣٣٨ ، ومسند أحمد ٢ ص ٤٣ .
(٢) سورة المزمل آية ١٠ .
(٣) كان جاهليا فأسلم .
(٤) أى من الناس .
(٥) أى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنظر مجمع الزوائد للهيثمى ٦ ص ٢٢ .
(٦) سورة الانفال آية ٣٠ .

ولو سجن الداعية عدد من السنين لا يجوز له التراجع عن موقفه الحق بل يصبر ، فقد سجن نبي الله يوسف عليه السلام بضع سنين فلم يبالى ، بل أخذ يدعو الى الله تعالى فى السجن ، قال الله تعالى : (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار)(١) .

وقد يجد الداعية من زملائه واخوانه أحوالا تحرجه لكنه ينبغي أن يستديم أخوتهم ويقابل مناهم بالتحمل والاغضاء . قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ...)(٢) الآية .

وتأمل ما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قسم الغنائم فى احدى الغزوات ورأى أن يتألف بالعطاء فريقا من ضعفاء الايمان فقال بعض الناس هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فأخبر عليه السلام بذلك فاحمرت وجنتاه ثم قال : (يرحم الله أخى موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر)(٣) متفق عليه .

والصبر يلازم الداعية فى جميع الميادين حتى فى بيته مع أهله ، قال تعالى : (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها)(٤) وفى السفينة النجية ، حين يتعرض الداعية لعلاج من تلبس بالفسق أو النفاق أو الكفر والالحاد وغيرها .

---

(١)
(٢) سورة الكهف آية ٢٨ .
(٣) أنظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٨ ص ٥٥ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ٧ ص ١٥٨ ، ومسند الامام أحمد ١ ص ٤١١ ، ٤٤١ ، ٤٥٣ .
(٤) سورة طه آية ١٣٢ .

فأعباء الدعوة لا يطيقها المهازيل ، والمرء اذا كان لديه متاع ثقيل يريد نقله لم يستأجر له أطفالا أو مرضى أو خوارين ، انما ينتقى ذوى ٠٠ الكواهل الصلبة والمناكب الشداد ، وقد ذكر الله الصبر فى مواطن كثيرة مقرونا بأطيب النتائج ، وبين فى عشرات الآيات أن مرارته هى طريق العاقبة وفراس النصر وتدبر هذه النتائج فى عقبى الصبر على الآلام ٠

(١) فقد أثمر الصبر الفوز والفلاح ، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)(١) ٠

(٢) يؤدى الصبر الى الامامة فى الدين والتمكين فى الدنيا ، قال تعالى: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)(٢) ٠

(٣) يؤدى الصبر الى حب الله سبحانه وحفظه وعونه ، قال تعالى : (وكأين من نبى كاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)(٣) ٠

(٤) يؤدى الصبر الى النصر على الأعداء والتغلب على كيدهم واحباط مخططاتهم ، قال تعالى : (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط)(٤) ، وقال تعالى : (بلى أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين)(٥) ٠

(٥) يؤدى الصبر الى قوة الارادة واستحكام العزيمة ، قال تعالى : (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور)(٦) ٠ وقال تعالى : (ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور)(٧) ٠

---

(١) سورة آل عمران آية ٢٠٠ فى آخر السورة ٠
(٢) سورة السجدة آية ٢٤ ٠
(٣) سورة آل عمران آية ١٤٦ ٠
(٤) نفس السورة آية ١٢٠ ٠
(٥) نفس السورة آية ١٢٥ ٠
(٦) سورة لقمان آية ١٧ ٠
(٧) سورة الشورى آية ٤٣ ٠

واذا لم يصبر الداعية على تكاليف الجهاد ، واذا لم يوقن بوعثاء الطريق وضرورة التحمل فقد نتائج كثيرة ، بل سوف يفشل فى بلوغ هدفه وعليه أن يتجرع الألم ، وهو مدرك لقوله تعالى : (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما)(١) .

وليست أيام الداعية سواء ، فى عسرها ومشاقها فهو لا يمر دائما بالابتلاءات بل قد يمر بنعم كثيرة ، وعندما يفتش فى شئونه فسيجد هنا نعما مطوية وخيرات خفية أو جلية فما موقف الداعية حينئذ ؟

يبين ذلك رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام بقوله : (فاذا جمعت تضرعت اليك وذكرتك ، فاذا شبعت شكرتك وحمدتك) قال الترمذى هذا حديث حسن(٢) .

وشكر الداعية يكون بالقول والفعل ، عندما يفتح الله أى نجاح ولقد عبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك أصدق تعبير — عندما دخل مكة عام الفتح وهو راكب ناقته — انحنى صلى الله عليه وسلم على راحلته حتى آن طرف لحيته ليمس ظهر الراحلة شكرا لله على توفيقه لهذا الفتح(٣) ، وقال : ... صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ... الخ ما قال عليه الصلاة والسلام(٤) .

---

(١) سورة النساء آية ١٠٤ .
(٢) أنظر تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ٧ ص ١٤ ، ومسند الامام أحمد ٥ ص ٢٥٤ .
(٣) البداية والنهاية ٤ ص ٢٩٣ .
(٤) المصدر السابق نفس الجزء ص ٣٠١ .

والداعية لا يعطره نصر بل يعلم أنه توفيق الله وعطاؤه فهو يسبح بحمد ربه ويزداد شكرا لله سبحانه (١).

ولقد صام موسى عليه الصلاة والسلام اليوم الذى أهلك الله فيه الطاغوت فرعون (٢). وصامه من بعده خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ليبين الصلة الوثيقة بين الأنبياء ، يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم لأنهم من مشكاة واحدة يستقون والى غاية واحدة يسيرون .

ومن الدعاة من يحفهم الفضل الالهى وتفتح عليهم خزائن الرحمة وعندما يغدق الله على الداعية من نعمه الكثيرة فلا يسوغ له أن يتراخى فى البلاغ ويتكاسل فى الأمر والنهى ويدع النصح للأمة مستريحا الى ماتيسر له من نعمه ، فهذا هو الخسران المبين فى الدارين بل يزداد نشاطه للدعوة الى الله ويبذل ماله فى خدمة الحق ويعتبر نبى الله سليمان عليه الصلاة والسلام الذى قال : (هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر (٣) ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم) .

... ...

---

(١) أى سجدة الشكر .

(٢) وهو اليوم العاشر من محرم .. أنظر فتح البارى ٤ ص ٢٤٤ ، ٨ ص ٤٣٤ والمسند ١ ص ٢٩١ والبداية ٣ ص ٢٥٥ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ٨ ص ٩ ، وعون المعبود ٢ ص ٣٠٢ ، وسنن الدارمى : ٢ ص ٢٢ .

(٣) سورة النمل آية ٤٠ .

الحكمة

ينبغى أن يكون الداعية واسع الآفاق ، خبيرا بالنفوس متأنيا فى الحكم لها أو عليها ، صاحب حيلة فى النفاذ الى أغوارها وازاحة العوائق من أمامها كما يجب أن يكون عميق الدراسة عارفا بشتى الأحكام فى الأصول والفروع ، واقفا على أحوال البيئات التى يواجهها وعلى تاريخها القديم والحديث فان ذلك كله يمنحه قدرة على حسن التصرف ، وليس من السهل توفر الحكمة فى الداعية الا بعد مران متتابع بل ان هذا المران لابد له من بصيرة نافذة تجعله حسن التأنى للأشخاص حسن الاستخدام للظروف وهنا يمر الداعية بتجارب تكسبه حنكة وفطنة فيضع الأمور فى مكانها المعقول ويربطها بزمانها المناسب ، واذا كان الاطلاع الغزير مفيدا فى اكتساب هذه الخلة الواجبة فان الافادة ممن سبقوا فى الميدان أهم .

وفى مرافقة الداعية لمن هو أكثر منه تجربة وخبرة ما يضيف الى جهده جهودا والى تجربته تجارب ، ولقد قص الله سبحانه فى القرآن الكريم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قصص بعض الأنبياء كى يعرف ما مر بهم وما تعرضوا له من كيد وما تدرعوا به من صبر وما وصلوا به آخر الأمر الى ما يبغون لأن هؤلاء وزعهم العناية العليا على الأمصار والأعصار ولقوا طوائف من الخلق متباينة الأوصاف والمسالك .

ولقد ذكر الله أسماء ثمانية عشر نبيا فيهم أولوالعزم وأصحاب الرسالات الأولى ثم قال : (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين)[1] .

---

(١) سورة الأنعام آية ٩٠ .

فان خصال الكمال التى توزعت عليهم التقت أطرافها فى شخصه الكريم صلى الله عليه وسلم ، كان نوح صاحب احتمال وجلد وصبر على الدعوة ، وكان ابراهيم صاحب بذل وكرم ومجاهدة فى الله وكان داود من أصحاب الشكر على النعمة وتقدير آلاء الله ، وكان زكريا ويحيى وعيسى من أصحاب الزهادة فى الدنيا والاستعلاء على شهواتها — وكان يوسف ممن جمع بين الشكر فى السراء والصبر فى الضراء — وكان يونس صاحب تضرع وابتهال وكان موسى صاحب شجاعة وبأس وشدة ، وكان هارون ذا رفق .. حتى تنظر الى سيرة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم بعد هذه السير فتراها كالبحر الخضم تصب فيه الأنهار ، حيث توفرت له الحكمة بكل معانيها فى كل ميدان فكل سيرته صلى الله عليه وسلم حكمة بالغة (١).

تزود الداعية بسلاح الحكمة نجاح كبير بخير الدنيا والآخرة واستطاع أن يكسب للاسلام أتباعا كثيرين ، قال تعالى : (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ، وما يذكر الا أولو الألباب)(٢).

فالداعية الحكيم لا يضيع أى جهد له هباء ، بل يصيب المحز ويدق على الوتر المطلوب لأنه — كما جاء فى المثل — يعرف من أين تؤكل الكتف ولهذا جاء فى شعر الحكمة قوله :

اذا كنت فى حاجة مرسلا
فارسل حكيما ولا توصه (٣)

ولقد تكرر ذكر الحكمة فى القرآن الكريم يمتن بها الله سبحانه على من فاز بها ، فقال تعالى : (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن أشكر لله)(٤) ، وقال

---

(١) عقيدة المسلم ص ٢٤٤ للغزالى .
(٢) سورة البقرة آية ٢٦٩ .
(٣) جواهر الأدب ص ٤٢٤ من شعر عبد الله بن جعفر الطالبى .
(٤) سورة لقمان آية ١٢ .

فى داود (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمه وفصل الخطاب)(١) ، وقال لخاتم الأنبياء محمد : (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم)(٢) وقال لعيسى بن مريم (واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل)(٣) .

والحكمة ضربان ، منها : ما هو فطرى يولد به العظماء الذين يختارهم الله سبحانه وتعالى (يؤتى الحكمة من يشاء ..)(٤) الآية ، ومنها ما هو كسبى يتكون من حسن الفقه وطول التأمل ومن مرافقة الأكثر دراية وخبرة ، وبالتجارب التى يتحصل عليها الداعية فى العمل الميدانى .

والتفاوت عظيم بين من يستمعون الى الدعاة فان فيهم الناشط والخامل والذكى والعادى ، والداعية اللبق يختار أتباعه ممن يتوسم فيهم الاخلاص والتقوى حتى يصل الى اكتساب الأفراد الكرماء الباحثين عن الحق ، ولا وسيلة له الا بمهارة العرض وجودة الأداء وصدق الاقناع . فاذا ما تكون لديه فئة مخلصة شجاعة ترضى الاله سبحانه وتستحق بصبرها أن يدافع عنها وينصرها . وبعد أن تتضح البذور التى وضعها لتكوين المجتمع الربانى ، عند ذلك يميز الله الحق من الباطل فاذا اشتبك حزب الله وحزب الشيطان حل العقاب بأهله فيكون آخر الدواء ، فان اللئام لا يجدى معهم الا القوة .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعالج قومه بأساليب مألوفة لعقولهم سهلة على أفهامهم ، فكانت حجته واضحة لطلاب الحق والباحثين عن الحقيقة ، فكان يعاملهم بالرفق ويقول : (أرجو أن يخرج الله من أصلابهم

---

(١) سورة ص آية ٢٠ .
(٢) سورة النساء آية ١١٣ .
(٣) سورة المائدة آية ١١٠ .
(٤) سورة البقرة آية ٢٦٩ .

من يعبد الله وحده لايشرك به شيئا)[1] .

وكان يجادلهم عليه الصلاة والسلام بأحسن طرق المجادلة ملبيـــا أمر ربه سبحانه (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن)[2] .

فما على الداعية الا أن يسلك فى دعوته أيسر الطرق وأسهلها ليصل الى النجاح بأسلوب هادئ متزن . واتزان العرض يقوم على مراعاة هـــذه الحقائق :

١ — أن يتنزل الى مستواهم الفكرى فيخاطبهم على قدر عقولهم ، قال على رضى الله عنه : (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبـــون أن يكذب الله ورسوله)[3] .

٢ — أن يوافق كلامه المقام — لأن لكل مقام مقالا — ولقد حثنـــا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الالف مع الناس لنعـــرف كيف نخاطبهم وما هو المقام المناسب لهم لكون الداعية ذا خبرة وجاذبية اجتماعية حتى جاء فى الحديث (المؤمن مؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف)[4] وفى رواية (المؤمن مألفـه) .

٣ — تحين الفرص المناسبة والظروف المواتية لعرض التوجيه المقصـــود حين يكون المدعوون على استعداد كامل للسماع المجـــدى وكثيرا ما نلمس هذا فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ..

---

(١) أنظر عمدة القارى شرح صحيح البخارى ١٥ ص ١٤١ ، وصحيح مسلم ٣ ص ١٤٢١ .
(٢) سورة النحل آية ١٢٥ .
(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى ١ ص ٢٢٥ .
(٤) المسند ٢ ص ٤٠٠ و ٥ ص ٣٣٥ .

فعندما أقام الحد على ماعز ورجمه فسمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلين يقول أحدهما لصاحبه : ألم تر الى هذا الذى ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب . ثم سار النبى صلى الله عليه وسلم حتى مر بجيفه حمار فقال : (أين فلان وفلان ؟ أنزلا فكلا من جيفه هذا الحمار . قالا غفر الله لك يارسول الله وهل يؤكل هذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم فما نلتما من أخيكما آنفا أشد أكلا منه ، والذى نفسى بيده انه الآن لفى أنهار الجنة ينغمس فيها)(١) اسناده صحيح . ففى هذا الخبر ترى متى يحسن الكلام ، ومتى يجمل وقعه . وفيه كذلك متى يلجأ الداعية الى الصمت ، وترجح عنده أحوال للسكوت فقد يسكت عن الكلام : سدا للذريعة أو لترجح مصلحة أو لتأليف قلب أو مراعاة مستوى الفهم .

ولقد ظهرت الحكمة فى معالجته صلى الله عليه وسلم للأمر فى الحديبية حيث دعا صلى الله عليه وسلم الكاتب فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدرى ما هو ولكن أكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون : والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل : والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن أكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله انى لرسول الله وان كذبتمونى اكتب محمد بن عبد الله)(٢) ، فالرحمن ورسول الله كلمات تعد من صلب العقيدة ، ولكن الحكمة تقتضى عدم التعلق باثباتها كتابة ، وتقتضى التجاوز

---

(١) أنظر تفسير بن كثير ٦ ص ٣٨٤ .
(٢) البداية والنهاية ٤ ص ١٧٥ .

عن جهالة المشركين فى اعتراضها عندما غلبتهم حمية الجاهلية ، وهى نزوة موقوتة لا بأس من تخطيها فى سبيل اقامة الدين كله بعد زمن طويل أو قصير ، والداعية الحكيم يعالج الأمور بحنكة فلا يثير عليه الرأى العام ضده بل لصالحه فيحسن الوصول الى الحق ويجيد الدوران حول منعطفات الطريق لتتفادى المآزق وتتخطى العقبات ليبلغ ما يريد .

قد يكون الباطل مع غيرك ولكنه يلبسه ثوب الحق ثم يجيد الانطلاق معه حتى يصل به الى حيث ينبغى أن يصل الحق .. ويرى الداعية ذلك فيتألم له تألما قد يكون ساكتا فيعزل عن المجتمع ، وقد يكون صاخبا فتتضاعف معه أخطاؤك فيتنكر لك الناس ، كل ذلك والحق معك والباطل مع غيرك .

قد يسوءك تنكر الناس لك فتتبرم بالحياة والناس وتصير انسانا ساخطا متشائما ناقما على الجميع ثم على نفسك وعملك ، ويخسرك المجتمع . فلابد من التشبث بالحق والنضال فى سبيله والايمان بأن العاقبة حتما لهذا الحق ، والأمل الكبير يتحقق دائما بتوفيق الله عندما يصر أصحاب المبادئ بالحق ويواصلون الكفاح ، لأن المجتمع يتغير تغيرا يجعل الناس يحكمون على الشخص بحقيقته وهدفه لا بمظاهره .. وهذا التغير لا يتم بين يوم وليلة ، فطريقه طويل وخطواته قصيرة ، ومهما كثرت العقبات فالمآل للمتقين (١) ، وفى دوران الداعية مع الحق حيث دار يستعمل الداعية أيسر السبل (ما خير صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يأثم فان كان الاثم كان أبعدهما منه) (٢) .. الحديث ، واذا تعسر اليوم أمر فعله فى غد يتيسر ، فلن يغلب عسر يسرين (فان مع

---

(١) كيف نفهم الاسلام للغزالى ص ٢٥ .

(٢) متفق عليه البخارى ٤ ص ١٧٣ ، ومسلم ٤ ص ١٨١٣ ، وفى رواية مسلم زيادة (ما لم يكن اثما) .

المسر يسر ان مع العسر يسر (١) .

والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها .

... ...

---

(١) سورة الانشراح آية ٥ و ٦ .

التواضع

عمل الداعية أن يعلم الجاهل ، ويذكر الغافل ، ويمهد الطريق أمام الجماهير ليعرفوا ربهم ويؤدوا حقه ، وهذا المنصب القيادى ربما أدخل فى نفسه الاعتداد والعجب وأورثه شعورا بالترفع على الآخرين وهو عندما يستجيب لهذا الشعور ويحس فضلا من عظمة ، على غيره يفقد مكانته عند الله ثم عند الناس ، ان التواضع سلوك لابد منه لمن سلك طريق الدعوة الى الله ، لابد أن يدرك الداعية أنه أفقر الناس الى فضل الله ورحمته ، وأنه اذا حرم هذا الفضل لم يبق فيه شيئ يستحق الاحترام . نعم يجب أن يكون متواضعا بحيث يكون التواضع احدى خصائص نفسه ، فلا يكون خلقا متكلفا ومصطنعا بل خلقا ينبع من شخصه لا يقدر على طيه أو اخفائه ولا يستطيع أن يحجبه عن ضعيف أو فقير ، لأن الدعوة الى الله لا تتحمل اثارة من كبرياء ، على أحد من خلق الله ، والتواضع أساسى للداعية والأعجز عن السير فى ميدان الدعوة وتفر منه الناس فلم يقترب منه أحد بل ينفضون عنه ويضيقون به ، قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين)(١) . فطباع .. الناس النفور من المتكبر والالف للمتواضع ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لما خير فى الدنيا بين أمرين أختار ما يؤدى الى التواضع ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جلس جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم فنظر الى السماء فاذا ملك ينزل ، فقال جبريل : هذا

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

الملك ما نزل منذ خلق قبل هذه الساعة فلما نزل قال : يامحمد أرسلني اليك ربي أفملكا نبيا أجعلك أو عبدا رسولا ، قال جبريل : تواضع لربك يامحمد ، قال : بل عبدا رسولا (١) ، قالت عائشة رضى الله عنهـا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئا يقول :(آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد (٢)) .

فمقام العبودية لله سبحانه يفرض لين الجانب وسهولة الطبع والتهذل للناس والتواضع — دون مذلة — وسيلة لجذب العامة والخاصة ، يلفهم الداعية حوله ليقودهم الى الله . ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم (انكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق (٣)) .

وقد كان خاتم المرسلين مثلا أعلى للدعاة فى القرب من الجماهير والبشاشة لهم ، والتلطف معهم والاهتمام بأحوالهم ، كما ظهر جليا فى حياته عليه الصلاة والسلام ، روى أبو غالب قال : قلت لأبى أمامه رضى الله عنه حدثنا حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان ... لا يأنف ولا يستكبر أن يذهب مع المسكين والضعيف حتى يفرغ من حاجته (٤) .

وأول من يجيب الداعية وينضوى تحت لوائه هم فى الغالب الضعفاء قال تعالى ، مصورا اعتراض الملأ من قوم نوح : (ما نراك أتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى (٥)) . فهل يقابل أولئك المؤمنون الطيبون بالصلف ؟ كلا بل بالبشاشة والاعزاز ، وعندما يتواضع الداعية لهؤلاء ، ويسد شعورهم بالنقص وينمى ثقتهم بأنفسهم ومبادئهم ويجلس

---

(١) قال البزار وأحمد رجاله رجال الصحيح .
(٢) أنظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى ٩ ص ١٩ .
(٣) أنظر الترغيب والترهيب ٥ ص ٨٥ .
(٤) مجمع الزوائد للهيثمى ٩ ص ٢٠ .
(٥) سورة هود آية ٢٧ .

معهم ولا يفردهم بمجلس والأغنياء بآخر ، فالناس سواء ويتفاضلون بالتقوى لا بالمال ، ولقد نهى عليه الصلاة والسلام عن ذلك بقوله تعالى : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين)[1][2] .

والداعية لا تهمه الشكليات .. لأن أكبر همه أن يؤدى رسالته التى كلف ، بها أما الوسائل فيستعمل ما يتاح دون تكلف ويترك ما تعسر أو غلا ، فلا يكسل الداعية أو يتراجع اذا لم يجد مركبا فخما أو فندقا من الدرجة الأولى أو استقبالا فخما ، أو غير ذلك من مراسم الأبهة التى يحرص عليها أهل الدنيا وعشاق المظاهر الجوفاء .

نعم هذه ان تيسرت فلا ترفض على أن لا تؤثر فى مهمته ، أو يعطيها فوق قدرها ، والداعية المتواضع فى استعماله الوسائل المادية البسيطة يتذكر الوسائل التى استعملها خير البشر صلى الله عليه وسلم ، .. روى أبو موسى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : يركب الحمار ويلبس الصوف[3] ، وفى رواية ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان عليه الصلاة والسلام يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعقل الشاة[4] ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير)[5] .

وفى مخالطة الداعية للمجتمعات المختلفة وسفره الى البلدان الكثيرة قد يمشى على قدميه وقد يركب الحمار ويأكل ما يقدم من الطعام وان كان خشنا ، وهذا الخلق المتواضع لا يضيره ، وان اعترضه رجل مغرور ،

---

(١) تفسير ابن كثير ٣ ص ٢٧ و ٤ ص ٣٨١ .
(٢) سورة الأنعام آية ٥٢ .
(٣) أنظر البداية والنهاية ٦ ص ٤٥ .
(٤) أى يضع رجلها بين ساقه وفخذه ويحتلبها .
(٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى ٩ ص ٢٠ .

أو سخر منه أمرؤ أحمق ، فلا ينال ذلك منه أو يهز فى نفسه قيمة التواضع ، ولقد مرت امرأة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يأكل ثريدا على طريال فقالت : انظروا اليه يجلس كما يجلس العبد ويأكل كما يأكل العبد فقال صلى الله عليه وسلم (وأى عبد أعبد منى)(١) .

واذا عامل الداعية جاهل بغضاضة فلا يقابلها بالمثل ، بل يدفع السيئة بالحسنة ، كما وجهنا الخالق سبحانه بقوله (ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم)(٢) .

ويتخلق الداعية بأخلاق القرآن مقتديا برسول الهدى صلى الله عليه وسلم حيث ناداه مرة رجل ثلاثا كل ذلك يرد عليه — لبيك لبيك فى كل مرة(٣) .

وعلى الداعية أن يطمئن من قد يهاب منه ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أصابت رجلا رعدة بين يديه عليه السلام فقال له : هون عليك فانى لست بملك ، انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد(٤) . قال ابن مسعود : ان رجلا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فأخذته الرعدة فقال : (هون عليك فانما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد(٥) .

وعلى الداعية أن يتجنب شتى مظاهر الكبر ، فلا يتميز عن غيره بأى شىء ، ويقطع كل ما يؤدى الى الظن أنه متكبر ، ولقد فعل ذلك خاتم

---

(١) أنظر مجمع الزوائد ومنبع القوائد للهيثمى ٩ ص ٢١ .
(٢) سورة فصلت آية ٣٤ .
(٣) قال الهيثمى فى الزوائد ٩ ص ٤٠ ، رواه أبو يعلى فى الكبير عن شيخه جبارة بن المغلس وثقه ابن نمير وضعفه الجمهور وبقية رجاله رجال الصحيح .
(٤) أى اللحم المجفف .
(٥) أنظر البداية والنهاية لابن كثير ٤ ص ٢٩٣ ، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى ٩ ص ٢٠ .

النبيين عليه الصلاة والسلام عندما كان يمشى مع أصحابه ، فستر بثوب من الشمس ، فلما رأى ظله ، رفع رأسه فاذا هو قد ستر بملاءة فقال : — مه — وأخذ الثوب فوضعه وقال : (انما أنا بشر مثلكم)(١) .

ومن أصالة التواضع فى الخلق والسلوك أن يكون فى جميع الأحوال والأعمال — فهو فى بيته مع أهله — متواضع ، وهو فى حله وترحاله متواضع ، سأل الأسود عائشة رضى الله عنها فقال : ما كان يصنع صلى الله عليه وسلم اذا دخل بيته قالت : كان فى مهنة أهله(٢) فاذا حضرت الصلاة خرج فصلى وعند البيهقى ... قالت كان يخصف نعله ، ويخيط ثوبه ... ويخدم نفسه)(٣) وكذا حمل الداعية لحاجاته تواضع ، لأن النفس تأبى ذلك خاصة اذا وجد من يحملها ، فعلى الداعية أن يقضى حاجاته بنفسه ، قال أبو هريره رضى الله عنه : دخلت يوما السوق مع النبى صلى الله عليه وسلم فجلس الى البزاز فاشترى سراويل بأربعة دراهم ، وكان لأهل السوق وزان يزن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (زن وارجح فقال الوزان ان هذه لكلمة ما سمعتها من أحد فقال أبو هريرة : كفاك من الجفاء فى دينك ألا تعرف نبيك ووثب الى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يقبلها فحذف(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال ما هذا انما يفعل هذا الأعاجم بملوكها ولست بملك انما أنا منكم فوزن وأرجح ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أبو هريرة : فذهبت لأحمله عنه فقال : صاحب الشىء أحق بشيئه أن يحمله الا أن يكون ضعيفا فيعجز عنه ففيعينه أخوه المسلم(٥) .

... ...

---

(١) أنظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى ٩ ص ٢١ .
(٢) أى يخرزها .
(٣) البداية والنهاية ٦ ص ٤٤ .
(٥) أنظر مجمع الزوائد للهيثمى ٥ ص ١٢١ .
(٤) أى سحبها .

القناعة

من أعون الأشياء على الجهاد قلة مطالب المرء فى هذه الدنيا والاكتفاء الذاتى بما يحقق الحياة فى صورة معقولة ، فان المفهوم باللذات المشغوف بمآرب لا تنتهى يعيش عبد رغبته ويحاول قبول الأوضاع التى تريحه واسترضاء الأشخاص الذين ينيلونه ما يشتهى ، وهذا كله على حساب الدين ، ومن هنا كانت القناعة هى الحصن الذى يأوى اليه الداعية من خطر الأهواء ويعتصم به من مزالق الشهوات ، فلا تجره الى مرتع وخم يكون فيه أداة سوء لا رجل اصلاح ، وبهذه القناعة يأمن أن يستعمله الطغاة حسب ميولهم المنحرفة ، ويأسوا من اجتذابه الى صفوفهم أو ايقاعه فى حبائلهم فاذا التزم الداعية بالقناعة سلم من هذا كله وقدوته محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام حيث رفض فى مكة ما عرض عليه من مال وشرف ونساء (١) فى سبيل الدعوة الى الله ورضى بالكفاف الذى يقدر فى ظله على ابلاغ الدعوة وتجميع الرجال الشرفاء حوله ، روى ابن عباس قال : حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قال : فجلست فاذا عليه ازاره وليس عليه غيره واذا الحصير قد أثر فى جنبه واذا أنا بقبض من شعيره نحو الصاع وقرظ فى ناحية الغرفه واذا اهاب معلق فابتدرت عيناى فقال : ما يبكيك يا ابن الخطاب فقال : يانبى الله ومالى لأبكى وهذا الحصير قد أثر فى جنبك وهذه خزانتك لأرى فيها الا ما أرى وذاك كسرى وقيصر فى الثمار والأنهار وأنت نبى الله وصفوته وهذه خزانتك قال : يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ، وفى لفظ آخر وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٣٠١ .

الديباج والحرير فقال : (أولئك لهم طيباتهم وهى وشيكة الانقطاع[1] وأنا قوم أخرت لنا طيباتنا فى آخرتنا) .

والداعية القنوع انما يستعلى على شهوات الدنيا لأن شغله الشاغل وسعادته بالمثل الرفيعة التى يخدمها والتى تهب له طاقة روحية عالية وتدفع مسيره للدعوة مستنيرا بقوله صلى الله عليه وسلم " مالى وللدنيا ما أنا فى الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها[2]) حديث حسن صحيح .

وفى ثبات الداعية على مبادئه ولجوئه الى القناعة قد يقل نصيبه من المرفهات أو ينعدم ، بل قد يعيش فى مستوى خشن صعب ، ولا حرج[3] فى ذلك فلقد لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم الصوف واحتذى المخصوف وأكل غليظ الشعير[4] .

والدعاة يصابرون مر العيش اذا فرض عليهم ولا يهينون أو يتخاذلون فهم أقوياء الجانب فى سبيل الدعوة الى الله ، وينظرون الى غيرهم من علٍ - نظرة عطف وتواضع - ولا يقبلون المساومة مع الجاهلية المسيطرة التى قد تحاول استغلال ضوائقهم لأنهم يكدحون لله ويرفضون بيع الدين بعرض من الدنيا ، والقناعة الراسخة فى أنفسهم وأحوالهم تعطى هذه النتائج الحنيفة المترفعة ، ولا تستغرب أن ترى الداعية يرد المال اذا جاء من غير طريقه الشرعى ، أو كان مصيده للاستيلاء على ضميره ، وكم للمال من دسائس لا ينجو منها الاكبار النفوس ، قال حكيم بن حزام : كان محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أحب الناس الى فى الجاهلية ، فلما تنبأ وخرج الى المدينة خرج حكيم بن حزام الى الموسم فوجد حلة لذى يزن تباع بخمسين درهما فاشتراها ليهديها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) أنظر الترغيب والترهيب للمنذرى ٥ ص ١٦١ ، والزوائد للهيثمى ١٠ ص ٣٢٦ .
(٢) أنظر كتاب الترغيب والترهيب ٦ ص ٣٤ .
(٣) أى المخروز .
(٤) أنظر الترغيب والترهيب للمنذرى ٥ ص ١٦٣ .

فقدم بها عليه وأراده على قبضها فأبى عليه ، قال عبيد حسبت أنه قال : انا لا نقبل من المشركين شيئا ولكن ان شئت أخذناها بالثمن ، فأعطيتها اياه (١) حتى أتى المدينة فلبسها فرأيتها عليه على المنبر فلم أرى شيئا أحسن منه فيها يومئذ ثم أعطاها أسامه بن زيد رضى الله عنهما فرآها حكيم على أسامه فقال : يا أسامه أنت تلبس حله ذى يزن قال : نعم لأنا خير من ذى يزن ولأبى خير من أبيه ولأمى خير من أمه ، قال حكيم : فانطلقت الى مكة أعجبهم بقول أسامه (٢) .

هكذا القناعة تجعل الداعية سليم الجانب أشم الأنف ، وتجعله يشعر بأنه أعظم من ملوك الدنيا ، ثم هو لا يدع للجاهليين فرصة لاهانة الدعاة أو التطاول عليهم . أما اذا كان العطاء سليما ليس فيه أى ضرر أو مغمز فلا بأس به فعمر بن الخطاب رضى الله عنه لما أرسل له صلى الله عليه وسلم بعطاء فرده عمر فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : لم رددته ؟ فقال : يارسول الله أليس أخبرتنا أن خيرا لأحدنا أن لا يأخذ من أحد شيئا فقال ، صلى الله عليه وسلم : انما ذلك عن المسألة فأما ما كان عن غير مسألة فانما هو رزق يرزقكه الله ، فقال عمر : أما والذى نفسى بيده لا أسأل أحدا شيئا ولا يأتينى شيء من غير مسألة الا أخذته (٣) .

فقناعة الداعية موزونة بميزان خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم .

... ...

---

(١) أى الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) رواه مالك موسلا ، والبيهقى عن زيد بن اسلم عن أبيه مجمع الزوائد ٤ ص ١٥١ باب هدايا الكفار .

(٣) أنظر حياة الصحابة لمحمد يوسف ٢ ص ٢٣٠ . وعند أحمد ٢ ص ٣٢٣ عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من عرض له شيء من غير أن يسأله فليقبله فانما هو رزق ساقه الله اليه .

الحلم

فى الجاهلية والاسلام تعارف الناس على أن الحلم من شارات العظمة وأسباب السيادة ، وفى ذلك يقول عنترة :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب
ولا ينال العلا من طبعه الغضب

والدعاة الى الله مكلفون أن تطول أناتهم ويمتد صبرهم ويتحملوا بجلد ما يلقون من اعراض أو صدود فان التسرع هنا لا ينشىء خيرا أبدا .. ولما كانت المجتمعات حافلة بأنواع العلل فان علاجها يتطلب التأمل والتريث حتى يتم استئصالها ، والداعية طبيب لابد له من أن يحلم على المريض ، والمرض الذى يعالجه الداعية أشد خطرا من الأمراض البدنية فان مداواة الصداع والحمى أو غيرهما أيسر من مداواة الانحرافات النفسية والرذائل الخلقية كالكفر والنفاق والفسق والفساد فى النفوس الجامحة .

والواقع أن الزام الناس التقوى وفطامها عن الشرور يحتاج الى ممارسة طويلة خصوصا تلك النفوس التى تريد أن تفجر أمامها لتصل الى اللذة العاجلة ولو أعقبتها الويلات .

فبالحلم يسوس الداعية الناس ويكسب ثقتهم وطاعتهم وحبهم ، فالطفيل بن عمرو الدوسى عندما أسلم ذهب يدعو قومه الى الاسلام فأبطئوا عليه قال : ثم جئت رسول الله صلى الله على وسلم فقلت يارسول الله ، انه قد غلبنى على دوس الزنا فادع الله عليهم ، قال : (اللهم اهد دوسا — وفى رواية وائت بهم — ارجع الى قومك فادعهم وارفق بهم)

قال فلم أزل بأرض دوس ادعوهم الى الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق ، ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معي من قومي ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس)[1] .

واذا أنس الناس من الداعية الأناة وسعة الحلم ورقة الطبع أثمر ذلك قربهم منه وامتثالهم لما يدعو اليه ، وهذا ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ويحث عليه في كثير من سننه ، وطالما لفت أنظار الولاة والدعاة الى ضرورة أخذ الناس بالحسنى والالفة الجانب لهم وتأمل فيما قاله لعمرو بن مره الجهني — بعد ما أسلم وأرسله صلى الله عليه وسلم الى قومه يدعوهم ... لقد زوده بهذه الوصايا : عليك بالرفق والقول السديد ولا تكن فظا ولا متكبرا ولا حسودا)[2] .

فبدأ عليه الصلاة والسلام بالرفق لأن الجماهير تحتاج اليه ، وما يتيسر جمع شملها ولا امتلاك زمامها الا بهذه الشمائل الهادئة .

ان الداعية لا يغضب لعنف الرد وسوء الاجابة ، بل يطاول الناس ويتسع أمله في استقامتهم ، ان لم يكن اليوم ، فان غدا لناظره قريب . وقد كان الحلم سببا في اسلام كثير من الأشخاص في حياته صلى الله عليه وسلم منهم زيد بن سعنه الحبر الاسرائيلي رضي الله عنه حين أسلف رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا الى أجل معلوم فجاء قبل الأجل فتقاضاه بشدة حيث أخذ بمجامع قميصه ورداءه وقال : يامحمد الا تقضيني حقي[3] فوالله ما علمتم بني عبد المطلب الا مطلا ولقد كان بمخالطتكم علم — فرد عليه عمر بن الخطاب بقوله : أتقول هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع ؟ وتصنع به ما أرى ؟ فوالذي نفسي بيده لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي

---

(١) أنظر البداية والنهاية ٣ ص ١٠٠ .
(٢) المصدر السابق ٢ ص ٣٥١ .
(٣) بزيادة — لي — ليستقيم المعنى .

رأسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى فى سكون وتؤده فقال : يا عمر أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا أن تأمرنى بحسن الأداء وتأمره بحسن اتباعه ، اذهب به يا عمر فاعطه حقه وزده عشرين صاعا من تمر — مكان ما روعته (١) قال زيد : فذهب بى عمر فأعطانى حقى وزادنى عشرين صاعا من تمر فقلت ما هذه الزيادة يا عمر قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أزيدك مكان ما روعتك ، قال : وتعرفنى يا عمر ، قال : لا ، قلت : أنا زيد بن سعنه ، قال الحبر قلت : الحبر قال : فما دعاك الى أن فعلت برسول الله ما فعلت وقلت له ما قلت ؟ قلت يا عمر : لم يكن من علامات النبوة شيء الا وقد عرفت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما ، وقد أخبرتهما فأشهدك يا عمر أنى قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وأشهدك أن شطر مالى — ما أتى أكثرها مالا — صدقة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ... (٢)

وهذه الأمثلة تؤكد صدق المثل القائل : ضربت السيف والرمح فكان الرمح أقطع ، والواقع أن الخرق وحدة العاطفة وسرعة الانفعال لا تحقق أى خير فى حياة الداعية ، وكلما كان الحلم عميقا فى سيرته واضحا فى قوله وفعله ، جنى ثمرات أحلى ولقى نجاحا كبيرا .

ولابد أن يتدبر الداعية معنى الآية الشريفة (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (٣) .

... ...

---

(١) أى أفزعته .

(٢) قال الهيثمى ، فى مجمع الزوائد ٨ ص ٢٤٠ : رواه الطبرانى ورجاله ثقات ، وروى ابن ماجه طرفا منه .

(٣) أنظر سورة التوبة فى آخرها آية ١٢٨ .

الصدق

هناك أخلاق تجب على المؤمنين كافة ، عامتهم وخاصتهم لايستثنى منها أحد الا أنها بالنسبة الى الدعاة أوجب وآكد ، فاذا كان الصدق مثلا فضيلة تشيع بين جماهير المؤمنين وترتقب آثارها بين الصغار والكبار ، الا أن هذه الفضيلة الأساسية تعد دعامة فى بناء الداعية وصبغة لسلوكه وشرفا لا ينفك عنه ولأمر ما جاء فى المثل : ان كذبه المنبر بلقاء مشهوره — لأن الكذبه الصغيرة ضيقة الدائرة محدودة الفضيحة ، أما الكذبة التى يذيعها المنبر وتدوى فى المسامع فهى فادحة الضرر والخطر ... والمفروض فى الدعاة أنهم أشد الناس ضبطا لكلماتهم وتقيدا بها وانطلاقا منها ، ومن ثم فالصدق مفتاح كل خير والطريق الأوحد لكل رجل أخلص قلبه لله وقرر أن يحيا ليكافح الباطل بثقة ، ويعرف الناس بدينهم على خير وجه ، ولقد سبق الكلام عن صدق الداعية مع الله سبحانه فى اخلاصه وتضحيته وقوة ايمانه .

أما الصدق مع الناس فهو دليل الشهامة والاستقامة لأن الداعية يقدر ما يقول ، ويزن كل حرف يصدر منه فهو يذكره فى كل أحواله وينفذه بكل ما أوتى من قوة .

وكلما لمس الناس صدق الداعية التفوا حوله وتوطدت علاقتهم به لأنه اذا كان لا يكذب على المخلوق فكيف يكذب على الخالق ؟ ولهذا جعل الله مثابة الصادقين سببا فى نمو التقوى ، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)(١) ووعد الصادقين بالجزاء العظيم

---

(١) سورة التوبة آية ١٢١ .

قال تعالى : (ليجزى الله الصادقين بصدقهم)(١) . ولقد برزت هذه الصفة كثيرا فى حياة النبيين ، قال تعالى : (وأذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا)(٢) . وقوله عن ادريس (انه كان صديقا نبيا)(٣) .

واشتهر خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم قبل بعثته بالصدق حتى أن هرقل ملك الروم لما سأل أبا سفيان عن هذه الخصلة ، وعرف أنه عليه الصلاة والسلام منزه عن الكذب لم يعرف بشيء منه قط ، قال : اذا كان لا يكذب على الناس فكيف يكذب على الله (٤) .

وهذه النماذج تؤكد الصدق لدى الداعية وتعمقه فى نفسه ليصبح صفة راسخة فى أحواله وأفعاله .

والصدق خلق له ما بعده ، فان التزامه يقود الى ما هو سبيل النجاة ، ومناط الفضل فى الدنيا والآخرة .. نعم ، فالصدق داع وهاد الى البر وهو مفتاح لضروب أعلى من معالم التقوى والرضوان .

جاء فى الحديث (ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة ...) الحديث(٥) وحين التزام الثلاثة الذين خلفوا بالصدق نجاهم الله من الهلاك .

واذا كان للتاجر الصدوق مكانة عظيمة ، فكيف بالداعية فالمكانة أعظم والنتائج أكثر .

---

(١) سورة الاحزاب آية ٢٤ .
(٢) سورة مريم آية ٥٤ .
(٣) نفس السورة آية ٥٦ .
(٤) أنظر كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم لسعيد حوى ١ ص ٢٣ .
(٥) الحديث متفق عليه ، أنظر رياض الصالحين ص ٥٤٤ ، وكتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان لمحمد فؤاد عبد الباقى ٣ ص ١٩٨ .

أما اذا تطرق الكذب الى الداعية فهنا الخسران المبين ، قال الله تعالى : (ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب)[1] ، لأن الكذب يفسد على الداعية بضاعته ويأتى عليها بالوبال .

... ...

---

(١) سورة غافر آية ٢٨ .

الوفاء بالوعد

واذا أعطى الداعية وعدا بلقاء ، وفهم الناس منه أنه سوف يحاضرهم مثلا يوم كذا ، فلا يجوز أن يتخلف ، وعليه أن يقهر كل عذر ، فالوفاء من شمائله فريضة والنكث جريمة ، وقد عرفنا كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل الخلف فيه صفة من صفات النفاق ، وذلك في الحديث (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، اذا أؤتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر)(١) . وفي رواية : اذا وعد أخلف)

ولقد أثنى الله على عبده ونبيه اسماعيل عليه السلام فقال عز من قائل : (واذكر في الكتاب اسماعيل ان كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا)(٢) .

فصدق الوعد أساس متين للداعية يجعله أهلا للمهمة الكبيرة .

... ...

---

(١) متفق عليه ، أنظر رياض الصالحين ص ٢٩٤ ، كتاب اللؤلؤ والمرجان ١ ص ١٢ .
(٢) سورة مريم آية ٥٤ .

الأمانة

ومثل الصدق فى حق الداعية الأمانة لأن مكانة الأئمة والوعـــاظ والمتحدثين عن الله والمذكرين به عظيمة بين الخلائق ، والمعروف .. أن الناس تأتمن الدعاة على الأموال والأعراض والأسرار ، بل الداعى بحكـم وظيفته ملتقى لودائع مادية وأدبية بالغة الخطر ، فلابد أن يكون عند حسن الظن .

الأمانة صفة مهمة لا تنفصل عن كيان الداعية ، ولقد تمكنت الأمانـة فى الرعيل الأول فوصلت أقصى مراميها ، وتكون على حقيقتها المشرفـة جيل شريف النفس عفيف الطبع نظيف اليد ، مما جعل البعض يحمـل ايوان كسرى من المدائن الى المدينة لم يتغير فيه شيء (١) فجعل عمر بـن الخطاب يقول : ان الأيدى التى حملته لأمينة حقا أمينة والتاريخ يـروى لنا كيف أن رسول الله لما قرر الهجرة استخلف عليا ليرد الأمانات الـى أصحابها ، فلتكن للداعية أسوة عندما يستأمن على أموال الناس وأسرارهم نتيجة ثقتهم به وحبهم له ، فلا يخون ، قال تعالى : (يا أيها الذيـن آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) (٢) .

ولقد خص الله أنبياءه بهذه الصفة وجعلهم أمناء فى كل شيء ، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أمينا ووصفه قومه بالأمانة حتى سموه الأمـين ولقد حمله الأمانة الكبرى — الأمانة على وحيه ودينه وتبليغه الرسالـة ، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة صلى الله عليه وسلم ، وتدبر موقفه فى حجة الوداع

---

(١) البداية والنهاية ٧ ص ٦٧ بلفظ أن قوما أدوا هذا لأمناء .
(٢) سورة الأنفال آية ٢٧ .

عندما كان يصيح بالناس : ألا قد بلغت ؟ اللهم اشهد .

وأكبر أمانة يحملها الداعية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المحافظة على هذه الشريعة السمحاء ودعوة أهل الأرض اليها ، بعد ما شرفه الله بوراثة كتابها وحكمة نبيها .

والعلماء المسلمون وفي طليعتهم الدعاة مسئولون عما حملوا ، "..وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما"(١) .

... ...

(١) سورة الاحزاب : ٧ — ٨ .

الكرم والسخاء

التطلع الى ما بأيدى الناس خلق المتسولين ، أما الافضال على الآخرين وامتلاك قلوبهم فهو من شيم أهل الكرم والعطاء ، والداعى يجب أن يكون من هؤلاء ، بل يجب أن يكون فى طليعتهم ، والناس يأخذون على بعض المتدينين انهم يتعرضون للنوال ، وهذا هو التدين الكاذب ، فالداعية الصادق يهذل من عقله ويده العليا فى كل مجال ، فالبخل ليس له طريق الى الداعية ، لأنه آلى على نفسه أن يكون جنديا لله ، وقد وقع عقد الجنة مع ربه ، وينفذ عمليا قوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) .. الآية (١) ، فلم يبق له الا الكرم والبذل من أجل الله .

وقدوته فى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ، وقال مرة لبلال : " انفق بلالا ولا تخش من ذى العرش قلالا (٢) ، فلا يبالى الداعية بالمال — بل ينفق قدر الامكان ما دام يؤدى الى تأليف الناس بالاسلام وتقريبهم الى الله بصالح العمل .

ولأن النفس مجبولة على حب من أحسن اليها — فيجذب القلوب ، بالاحسان كما يجذبها بالنصح والعرفان ، والملاحظ أن الداعية حينما يكون كريما يعطى لله ويدعو الناس بين الحين والحين الى بيته يشبعهم من طعامه كما يشبعهم من علومه فهو الكاسب فى الحقيقة الموفق لشئون الدنيا والآخرة ، ففى الدنيا مثلا — فهو كالصياد للأسماك عندما يضع فى السنارة قطعة من اللحم صغيرة وفى النهاية تطلع تلك القطعة بسمكة

---

(١) سورة التوبة آية ١١١ .
(٢) أنظر الحلية لأبى نعيم ١ ص ١٤٩ .

فيها لحم كثير أضعافا مضاعفة من تلك القطعة الا أنه لا يكسب لنفسه وانما يكسب لدعوته ، وهو بالقليل ينفقه يكسب القلوب والمهج ، فالرسول صلى الله عليه وسلم أعطى صفوان مائة من الابل — من غنائم حنين ، قال صفوان بن أميه : مازال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني من غنائم حنين وهو أبغض الخلق الىّ حتى ما خلق الله شيئا أحب الى منه)(١) .

فصفوان هداه الله فأسلم ودخل فى الاسلام بما له كله القديم والحديث .

ولاشك أن الداعية الندى الكف الواسع الفضل المنزه عن آفات الحرص والبخل يكشف مسلكه عن ايمان عميق وثقة فى الله كبيرة .

والداعية فى خلقه هذا يجعل الناس كرماء ويصلون جميعا الى اقامة مجتمع متعاون على الخير متكافل فى السراء والضراء ، عاقبته الرضا والتوفيق ، قال الله تعالى : (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى)(٢) .

وفى الحديث عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا يدخل الجنة خب(٣) ولا منان ولا بخيل)(٤) .

ولهذا كان يتعوذ الرسول صلى الله عليه وسلم من البخل ونحوه من الرذائل والمثالب فقال : (اللهم انى أعوذ بك من الجبن والبخل)(٥) .

---

(١) أنظر البداية ٤ ص ٣٦٠ .
(٢) سورة الليل آية ٥ .
(٣) الخب : هو الخداع الخبيث .
(٤) أنظر كتاب الترغيب والترهيب ٥ ص ٦٠ .
(٥) الوابل الصيب لابن القيم ص ٢٧٦ ، والأذكار للنووى ص ٣٤٦ — ٣٤٧ .

وكلما أكثرنا المطالعة فى سير السلف الصالح نجد الكرم واضحا فى حياتهم وخاصة الدعاة منهم ، وكثير منهم يموت وعليه ديون أنفقها فى سبيل دعوته الى الله من اكرام للضيوف واستقبال للوفود ، من هؤلاء المجدد فى القرن الثانى عشر الهجرى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيره من المصلحين (١) .

... ...

---

(١) أنظر عنوان المجد فى تاريخ نجد ، ص ١١٣ .

ثقافة الداعية

القـرآن الكريم وتفسير

كل تعاليم الاسلام من عقائد وعبادات وأخلاق وشرائع ترجع فى أصولهـا الى القرآن الكريم ، فقد حوى من حقائق الغيب والحياة والنفس الانسانيـة ما لا يستغنى بشر عن الاهتداء به وهو نور يضئ ويهدى (١) (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا) .

وينبغى للداعية أن يحفظ القرآن كله ، ويستظهره حتى يسهل عليـه الاستشهاد بآياته فيما يعالج من قضايا ، واستحضار توجيهاته فيما يباشـر من شئون ، وحفظ القرآن كله مطلوب أن تيسر ذلك ، أو يحفظ أى قـدر يستطيعه منه ، وكلما انسعت ثروته القرآنية رسخت مكانته وزاد تأثيره فيمـن حوله ولابد أن يداوم على تلاوة كتاب الله بخشوع وتدبر واستيعاب ، يتمكن به من ذكر الشواهد الكثيرة ، ويحسن به أن يتلوه مجودا ويدرس أحكـام التجويد حتى يتلوه بدقة فان وجد بكاءا بكى والا تباكى .

وعلى الداعية أن يدرك خصائص الكتاب العزيز وأن يستبينها بعقلـه وقلبه :

١ — أولى ميزاته أنه كلام الله من ألفه الى يائه ليس لجبريل منه الا النقـل ولا لمحمد منه الا التلقى والحفظ ثم البيان ، قال الله تعالى (وانـه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) (٢) يحوى القرآن الصدق الكامل والعدل المطلـق (٣) (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم) .

---

(١) سورة النساء آية ١٧٤ .
(٢) سورة الشعراء آية ١٩٢ — ١٩٥ .
(٣) سورة الأنعام آية ١١٥ .

وكل الحق والخير والجمال فى القرآن فى مواعظه وأوامره ونواهيه وحكمته لأنه (من لدن حكيم خبير)[١] وكلمات الله هى العليا ولها الصدارة فى كل مجال وقدرتها خارقة فى تبديد الظلمات ، واكتساح الجهالات والأهواء والأوهام فلا أحد من المخلوقين يستطيع أن يعزل نفسه عن كلام الخالق مهما كان وفى أى زمان كان فالله سبحانه يختم كثيرا من الآيات بمثل هذه الفواصل (والله يعلم وأنتم لا تعلمون)[٢] (والله بكل شىء عليم)[٣] (ان الله عزيز حكيم)[٤] .

٢ — ميزة التيسير فى التلاوة والفهم والعمل (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر)[٥] (فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون)[٦] .

فيجب على الداعية أن يخوض القرآن سهلا ميسرا فلا يضعه فى اطار الألفاظ والتكلفات التى تخرجه عن يسره ولا يكثر من القيل والقال فى معانى القرآن أو يكرر بعضها مع اختلاف الألفاظ دون ثمرة أو رأى مفيد .

٣ — الخلود من ميزات هذا الكتاب العزيز لأنه ليس كتاب جيل أو عصر بل هو الدستور الأول للرسالة الخاتمة ، وقد تكفل الله بحفظه ، قال تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)[٧] وقال : وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)[٨] ، ومرت على نزول هذا القرآن أربعة عشر قرنا من الزمن ولم يزل كما أنزله وكما بلغه محمد صلى الله عليه وسلم فعلى الداعية أن يقرأ كتاب الله بهذه الروح وهذه الفكرة — انه كتاب الزمن كله — فلا يحمل على ثقافة عصر خاص لأن الثقافات تتطور وتتغير الأفكار ويبقى كتاب الله كما أنزل الله .

---

(١) سورة هود آية ١ .
(٢) سورة البقرة آية ٢١٦ .
(٣) سورة البقرة آية ٢٨٢ .
(٤) سورة البقرة آية ٢٠٩ .
(٥) سورة القمر آية ١٧ .
(٦) سورة الدخان آية ٥٨ .
(٧) سورة الحجر آية ٩ .
(٨) سورة فصلت آية ٤٢ .

٤ — الشمول — احدى ميزاته — حيث جمع الهداية الالهية والتوجيه الربانى فى شتى أمور الحياة ، وهو ليس لشخص أو فئة دون فئة بل هـــو للانسانية كلها (ان هو الا ذكر للعالمين)[١] دستور شامل تبيـــان لكل شىء (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء) .[٢]

فعلى الداعية أن يراعى هذا الجانب فلا يخاطب العقل وحده أو القلب وحده بل يخاطب الكيان الانسانى كله فيقنع العقل ويحرك القلب فـــى آن واحد ، نلمس هذا فى قوله تعالى : (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريـــم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ماشاء ركبك)[٣] ، فهذه الآيـــة تخاطب عقل الانسان وروحه ووجدانه يخاطب الذات الانسانية بكل خصائصها فلا يخاطب العقل وحده كما هو شأن الفلسفة ولا القلب وحده كما هو شـــأن بعض المذاهب والاتجاهات (وما كان الشمول فى العقيدة ليذهب مذهبـــا أبعد وأوسع من خطاب الانسان روحا وجسدا وعقلا وضميرا بغير بخس ولاافراط فى ملكة من هذه الملكات) .[٤]

فمن يرغب الناحية العقلية يجد فى القرآن ذلك ، ويكفى أن مشتقـــات العقل مثل يعقلون وتعقلون ذكرت فى القرآن (٥٨) ثمانيا وخمسين مـــرة ومشتقات الفكر (١٧) سبع عشرة مرة ، وذكر الألباب أى العقول (١٦) ست عشرة مرة ، وهذا غير الآيات الكثيرة التى اشتملت على كلمات ومشتقـات أخر مثل النظر والاعتبار والتدبر والحجة والبرهان ونحو ذلك ، ومن يبحث عن الحقيقة الروحية يجد ذلك فى القرآن فى مثل قوله تعالى : (يوم لا ينفـــع

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٤ .
(٢) سورة النحل آية ٨٩ .
(٣) سورة الانفطار آية ٦ — ٨ .
(٤) انظر كتاب حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ص ٣٦ .

مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم)[١] وقوله : (ومن يؤمن بالله يهد قلبه)[٢] وقوله (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) .[٣]

ومن طلب القيم الأخلاقية يجد فى القرآن طلبته فقد بين القرآن الخير والحق وجعل فعل الخير مهمة المسلم قال تعالى : (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)[٤] ، بل مطلوب من المسلم أن يدعو اليه (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير)[٥] .

وفى القرآن مساحة عريضة للأخلاق لا يتسع لها المقام ، ومن اطلع على كتاب (دستور الأخلاق فى القرآن للدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله يجد ما يرويه ذلك .

وكذلك مكانة الجمال فى القرآن حيث لفت الأنظار الى الاستمتاع بجمال المخلوقات فى السماء ونجومها ، قال تعالى : (ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين)[٦] ، وقال عن الأرض : (وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج)[٧] ، وقال: (وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون)[٨] ، وقال عن البشر وجماله :

---

(١) سورة الشعراء آية ٨٨ — ٩٨ .
(٢) سورة التغابن آية ١١ .
(٣) سورة ق آية ٣٧ .
(٤) سورة الحج آية ٧٧ .
(٥) سورة آل عمران آية ١٠٤ .
(٦) سورة الحجر آية ١٦ .
(٧) سورة الحج آية ٥ .
(٨) سورة النمل آية ٦٠ .

(خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير) [١] (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) [٢] ، وقال فى مجموع المخلوقات : (صنع الله الذى أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون) [٣] .

هذا فى خلقه أما القرآن العظيم فالاعجاز والجمال الكبير فى صيغته وحقائقه فيستمد الداعية من القرآن نورا لعقله وزادا لقلبه وريا لروحه ثم يفيضه على الآخرين ، عن طريق القول أو العمل ، ففى القول مثلا يجمع فى الموضوع الواحد آياته وألفاظه المتعلقة به ، ويفيده فى ذلك المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم — ان لم يستظهر القرآن — وكذلك المعانى اذ تحتاج الى فطنة وبصيرة حتى يتضح كل شيء فى هذا الموضوع — أهدافه — مقوماته وغير ذلك .

هذا فيما لو كتب أو خطب أو حاضر أو ألقى درسا — ومواضيع القرآن كثيرة تشمل الحياة كلها فى سائر شئونها .

ولابد للداعية أن يحسن الاستدلال بالقرآن على ما يريد ، فاذا وضع النص فى موضعه المناسب أزاح كل شبهة أو تعلة ، لأن القرآن أقوم القول قال تعالى : (ومن أصدق من الله قيلا) [٤] . فالمؤمن يسمع ويطيع وغيره يسكت ويخرس أمام بيان القرآن ، قال تعالى : (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من كان بعيد) . [٥]

---

(١) سورة التغابن آية ٣ .
(٢) سورة التين آية ٤ .
(٣) سورة النمل آية ٨٨ .
(٤) سورة النساء آية ١٢٢ .
(٥) سورة فصلت آية ٤٤ .

حسن الاستدلال مهم للداعية — أدخل رجل على المأمون كان يمشى فى الناس فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر دون أن يكون مأمورا من قبل الخليفة فقال له المأمون : لم تأمر وتنهى وقد جعل الله ذلك الينا ونحن الذين قال الله فيهم (الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوالزكاة وأمروا بالمعروف ونهو عن المنكر) (١) فقال الرجل : صدقت بأبى أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن — غير أنا أولياؤك وأعوانك فيه ، ولا ينكر ذلك الا من جهل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) (٢) وقال صلى الله عليه وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) (٣) فأعجب المأمون بكلامه وسر به وقال : مثلك يجوز أن يأمر بالمعروف فامض على ماكنت عليه بأمرنا وعن رأينا) (٤) . وهكذا حين أحسن الرجل الاستشهاد بالقرآن والسنة ، انقطعت حجة الخليفة ولم يجد بدا من اقرار الرجل على ماهو عليه ، وفى مقابل ذلك دخل واعظ على المأمون فوعظه وعنف فى القول فقال : المأمون يارجل : ارفق فان الله بعث من هو خير منك الى من هو شر منى وأمره بالرفق ، بعث موسى وهارون الى فرعون فأوصاهما بقوله (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) (٥) فكان موقف المأمون هنا أقوى لأن الدليل القرآنى معه .

ويستدل الداعية بالمتفق عليه لا بالمحتمل والمختلف فيه — لأن الدليل اذا تطرق اليه الاحتمال يسقط الاستدلال به — ويتجنب الداعية الاستدلال بما ليس بدليل مثل أن يستدل بقوله تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله) (٦) . على أن العلم ثمرة التقوى ، والآية لا تدل على ذلك ، وأفضل

---

(١) سورة الحج آية ٤١ .
(٢) سورة التوبة آية ٧١ .
(٣) الحديث متفق عليه أنظر رياض الصالحين ص ١١٨ .
(٤) انظر أحياء علوم الدين للغزالى ٢ ص ٣١٧ .
(٥) سورة طه آية ٤٤ ، انظر احياء علوم الدين ٢ ص ٣٣٤ .
(٦) سورة البقرة آية ٢٨٢ .

من ذلك الاستدلال بقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ..) (١) .

ويحذر الداعية من الانحراف والتحريف وسوء التأويل لآيات الكتاب لأن الله ذم أهل الكتاب لما فعلوا ذلك ، كما يحذر من اخضاع النصوص للواقع الزمنى المخالف لكثير من تعاليم الاسلام كتحليل الفوائد الربوية فى البنوك ونحوه ، أو الوقوع فى تعصب مذهبى أو اتجاه سابق أو فكرة غالبة ، ولهذا كره بعض العلماء — ان يعتقد ثم يستدل — اذ أن المنهج السليم أن يستدل ثم يعتقد ... !

والداعية يربط بعض الموضوع ببعض الآخر ، بأن يطلع على كل نصوصه دون تجزئة وتفكيك فى القضية الواحدة ، ولابد من اتباع المحكم وترك المتشابه بأن نؤمن به كما فعل السلف الصالح دون تعمق فى التأويل .

ولابد أن يعرف الداعية علوم القرآن لأنها مدخل دراسة القرآن ذاته وما أكثر الكتب فى هذا الموضوع مثل الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى والبرهان فى علوم القرآن للزركشى ، ومناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى ، وبحوث الذكتور صبحى الصالح ومناع القطان وغيرهم ممن أدلى بجهد فى هذا السبيل فيعلم ناسخ القرآن من منسوخه والعام والخاص ونحو ذلك .

أما علم التفسير فمهمته أساسية للداعية ، وقد ألف فى هذا كتب كثيرة منها ما فقد ومنها ما بقى ومنها ما طبع ومنها ما يزال مخطوطا — منهم من سلك التفسير بالمأثور ومنهم من سلك التفسير بالرأى ، ولكل من هذين النوعين ميزاته وعيوبه ، ولا يكتفى الداعية بكتاب واحد فهناك تفسير ابن كثير وابن جرير

---

(١) سورة الحديد آية ٢٨ .

الطبرى وتفسير المنار والقاسمى وفى ظلال القرآن ، فيستفيد منها ويحذر من الغلو أو التقصير ويبتعد عن الحشو والاستطراد ويهتم بلباب التفسير . واذا وجد مسألة فى التفسير فيها عدة أقوال اختار منها ما ترجح لديه ثم يبين سراختياره وترجيحه لأن ذلك المنهج اذا كان مطلوبا من كل عالم أو طالب علم فهو من الداعية ألزم .

أما الأشياء التى لا تعد من مادة التفسير كالمباحث النحوية الطويلة والمجادلات الكلامية فلا يلتفت اليها ، ويبين أنوار الهداية فى كلمات الله وتحقيقات ذوى القلوب الحية مثال ذلك قوله تعالى : (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (١) .

فقال قتادة وحسن البصرى تعليقا على الآية : با يعتم الله فأغلى ثمنهم وقال الحسن أيضا : نفس هو الذى خلقها وأموال هو الذى رزقها ، وقول شمر بن عطيه : ما من مسلم الا ولله فى عنقه بيعة وفى بها أو مات عليها ثم تلا هذه الآية ، فهذه الكلمات الاشراقية التى تحرك القلوب وتحى العزائم لأن فيها صفاء الاخلاص وحرارة الصدق .

هذا وفى التفسير اسرائيليات تشوّه الثقافة الاسلامية ، فالأمور المعلوم صحتها لدينا أو كذبها نكتفى بها ، أما الأمور التى لا تصدق ولا تكذب فنقف كما وقف الوحى عندها ، ولا يجوز حكاية اسرائيليات فى هذا الباب لأنه لا فائدة تعود علينا فى دين أو دنيا مثل عدد أهل الكهف وأسماء الطيور

---

(١) سورة التوبة آية ١١٢ .

التى أحياها الله لابراهيم ونحو ذلك ، فتحدث عنهم فيما قد يجوزه العقل ولا يحيله أو يبطلها ، ويغلب على الظن بصدقه وينسب ذلك لمن قاله ، لا أنه رواية فى تفسير آية من كتاب الله ، ففى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج) (١) .

وليحذر الداعية من الاسرائيليات الضارة — مثل قصة الغرانيق وقصة سليمان وداود حول قوله تعالى : (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا) (٢) وقوله : (وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسور والمحراب) (٣) وتفسير الآيات ٤١ — ٤٤ من سورة النمل فى قصة ملكة سبأ أثرا طويلا عن ابن عباس ، ولنتعظ بكلام ابن عباس حيث قال : يامعشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذى أنزل الله على نبيه أحدث أخبار الله ، تقرؤونه محضا لم يشب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا : هو من عند الله ليشتروا به ثما قليلا ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم والله ما رأينا منهم أحدا قط سألكم عن الذى أنزل اليكم ، وهذه الموعظة رواها البخارى فى ثلاثة مواضع من صحيحه (٤)

وليحذر الداعية كذلك من الروايات الموضوعة مثل ما نقله بعض المفسرين فى قصة زينب بنت جحش وزوجها زيد بن حارثة فى قوله تعالى : (واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) (٥) ، حيث

---

(١) من حديث رواه البخارى ، انظر فتح البارى ٦ ص ٤٩٦ . وانظر رياض الصالحين ص ٤٨٦ .
(٢) سورة ص آية ٣٤ .
(٣) سورة ص آية ٢١ .
(٤) فى بحث الدكتور القرضاوى ص ٣١ ، وفى البخارى بشرح ابن حجر ١٣ ص ٣٣٤ .
(٥) سورة الاحزاب آية ٣٧ .

جعلت القصة حبا عاطفى زعموا أن زينب ظهرت للنبى صلى الله عليه وسلم يوما بعد زواجها من زيد فرآها فتعلق قلبه بها ورجع وهو يردد : سبحان مقلب القلوب ، ولكنه كتم هذا الحب ... الخ حتى نزلت الآية .

وهذه القصة لا أساس لها من الصحة تعلق بها الأعداء من المبشرين والمستشرقين يتخذوها وسيلة للطعن فى محمد صلى الله عليه وسلم ، قال ابن كثير عند تفسير الآية المذكورة : ذكر ابن حاتم وابن جرير هنا آثارا عن بعض السلف رضى الله عنهم — أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها ، وقد روى أحمد أيضا من رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضى الله عنه فيه غرابة تركنا سياقه أيضا [١] ، وقد رد كثير من المعاصرين هذه الروايات مثل الشيخ محمد الغزالى فى فقه السيرة ود . هيكل فى حياة محمد .

وليتجنب الداعية كذلك الأقوال الضعيفة والآراء الفاسدة كبعض اختيارات شيخ المفسرين ابن جرير الطبرى — على جلاله قدره ومنزلة كتابه فى التفسير — كاختياره الضعيف فى تفسير قوله تعالى : (واهجروهن فى المضاجع) [٢] ، بأن معناها قيدوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار — وهو القيد الذى يقيده به [٣] ، والمراد تقييد النساء لاكراههن على ما تمتنع عنه — ولا غرو أن يسمى الزمخشرى هذا التفسير بتفسير الثقلاء [٤] وكذلك اختياره لآيات المائدة (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (فأولئك هم الظالمون) (فأولئك هم الفاسقون) [٥] انها فى أهل الكتاب — والأصل ان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب — وقد ذكرت هذه الآيات عند حذيفه بن اليمان فقال رجل : ان هذا فى بنى اسرائيل ، فقال : نعم

---

(١) تفسير بن كثير ٥ ص ٤٦٦ .
(٢) سورة النساء آية ٣٤ .
(٣) تفسير الطبرى ٥ ص ٦٥ — ٦٦ .
(٤) تفسير الزمخشرى ١ ص ٥٢٤ — ٥٢٥ .
(٥) سورة المائدة آيات ٤٤ — ٤٥ — ٤٦ .

الاخوة لكم بنو اسرائيل ان كان لكم كل حلوه ولهم كل مره يعنى كيف يوصف بنو اسرائيل بالكفر أو الظلم أو الفسق اذا لم يحكموا بما أنزل الله عليهم ولا توصفون انتم بذلك اذا لم تحكموا بما أنزل الله عليكم ، فلابد من ترك القول الضعيف مهما كانت مكانة القائل ، قال على رضى الله عنه : لا تعرف الحق بالرجال — اعرف الحق تعرف أهله .

... ...

السنة النبوية

هى المصدر الثانى لثقافة الداعية . اذ هى مبينة للقرآن الكريم والسنة تشمل أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وأوصافه وسيرته فهى سجل حافل لحياته وجهاده عليه الصلاة والسلام — ولا يستغنى داعية يريد أن يحدث أو يدرس أو يحاضر أو يخطب أو يكتب ، عن الرجوع الى هذا المنهل العذب ليستقى منه بقدر ما يتسع واديه فيرتوى ويروى .

وقد وضح ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة أخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به) رواه الشيخان عن أبى موسى مرفوعا (١) فأهل العلم الفقهاء

---

(١) أنظر رياض الصالحين ص ٤٨٦ ، فى مسلم ٤ ص ١٧٨٧ ، فى فتح البارى ١ ص ١٧٥ .

هم الأرض التى قبلت الماء وأنبتت العشب ، والحفاظ على الأرض التى أمسكت الماء ، والأرض السبخة مثل أهل الجهل والضلال الذين لم ينتفعوا بهدى النبوة .

والجدير بالداعية أن يقدم فى كتب السنة الأهم منها مثل الكتب الستة ومسند الدارمى وموطأ مالك ومسند أحمد ، وهناك مختصرات قد يكتفى بها من لم تسعفه الهمة والوقت بقراءة الأصول ذاتها مثل التجريد الصريح للزبيدى مختصر جامع البخارى حذف منه المكررات والمعلقات والأسانيد ، وكذلك مختصر صحيح مسلم للمنذرى بتحقيق الألبانى ، وكتاب جامع الأصول لابن الأثير ، جمع فيه كتب كثيرة كالصحيحين وسنن أبى داود والترمذى والنسائى وموطأ مالك بدلا من سنن ابن ماجه لأن فيه كثيرا من الضعيف والموضوع ، ولهذا ودّ البعض لو كان مسند الدارمى مكانه — بعد حذف المكرر منه — ومجمع الزوائد للهيثمى الذى جمع زوائد مسانيد أحمد والبزار وأبى يعلى ومعاجم الطبرانى الثلاثة وهو مطبوع فى عشرة أجزاء ، المقصود زوائد هذه الكتب الستة على اعتبار أن ابن ماجه منها — وقد قام العلامة محمد بن محمد بن سليمان (م بدمشق سنة ١٠٩٤ هـ) بجهد مشكور فى الجمع بين كتابى ابن الأثير والهيثمى وأضاف زوائد الدارمى وابن ماجه فكان هذا الكتاب بحق موسوعة حديثية جمعت أكثر من عشرة آلاف حديث من أربعة عشر كتابا وسمى كتابه — جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد ، — وهناك لون آخر من التجميع بحسب أوائل الحديث وفقا لترتيب الحروف الهجائية كما فعل الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير — وقد أضاف زيادات ضمها الشيخ النبهانى فى كتاب سماه الفتح الكبير بزيادة الجامع الصغير ، وهناك كتاب الجامع الكبير — الذى حاول السيوطى أن يجمع فيه كل ما وصل اليه من كتب الحديث ، وكتاب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال — للشيخ علاء الدين على المتقى من علماء الهند رتبه على الأبواب والموضوعات ، وهناك كتب أخرى متخصصة

لتجمع نوعا معينا من الأحاديث ، كأحاديث الأدعية والأذكار مثل كتاب الأذكار للنووى ، والكلم الطيب لشيخ الاسلام ابن تيمية ، وأحاديث الآداب والفضائل وما يتعلق بها مثل كتاب — الأدب المفرد للبخارى ، ورياض الصالحين للنووى وشعب الايمان للبيهقى ، وأحاديث الترغيب والترهيب ، للحافظ المندرى ، أو الأحاديث المتعلقة بالأحكام الفقهية مثل عمدة الأحكام للحافظ المقدسى اذ يشمل أحاديث الصحيحين فقط ، وكتاب الالمام فى أحاديث الأحكام لابن دقيق العيد ، ومنتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار للمجد ابن تيمية ، وبلوغ المرام من أدلة الأحكام للحافظ ابن حجر .

ولا يستغنى الداعية كذلك عن كتب شرح الحديث لما فيها من الفوائد المختلفة فهى مفاتيح لمغاليق ما أشكل من الأحاديث ومعرفة ما تضمنته الأحاديث من أحكام وآداب وتشريع وتوجيه ، ولا يمكن الاعراض عنها فهذا مناف للعلم والمنطق والتاريخ ، ومن هذه الكتب :

١ — شروح البخارى مثل عمدة القارى للعينى وارشاد السارى للقسطلانى وفتح البارى لابن حجر الذى قال فيه الشوكانى : لا هجرة بعد الفتح .

٢ — شروح صحيح مسلم وأبرزها : شرح النووى وشرح الأبى والسنوسى .

٣ — شروح سنن أبى داود مثل : معالم السنن للخطابى ، تهذيب السنن لابن القيم وعون المعبود للديانوى ، وبذل المجهود للسهانفورى ، والمنهل العذب المورود لمحمود خطاب السبكى .

٤ — شروح الترمذى مثل عارضة الأحوذى لابن العربى ، وتحفة الأحوذى للمباركفورى .

٥ — شروح النسائى أعنى تعليقات السيوطى والسندى على السنن الصغرى .

٦ — شروح الموطأ مثل : المنتقى لابن الوليد الباجى ، وتنوير الحوالك للسيوطى والمسوى للدهلوى ، وأوجز المسالك لمحمد زكريا الكاندهلوى .

٧ — شرح المسند فى الفتح الربانى للشيخ أحمد البنا — ترتيب وشرح وتخريج المسند وكذلك تعليقات الشيخ أحمد شاكر على الأجزاء التى صدرت من المسند .

٨ — شرح مشكات المصابيح المسمى — مرقاة المفاتيح للعلامة على القارى فى خمسة مجلدات ، ومرعاة المفاتيح للمبارك فورى .

٩ — شرح الجامع الصغير للعلامة المناوى فى كتابه " فيض القدير " فى ست مجلدات ، وقد اختصرت فى شرح مختصر سماه " التيسير " وقد طبع فى مجلدين .

١٠ — شرح رياض الصالحين وهو المسمى : "دليل الفالحين " .

١١ — شروح الأربعين النووية والخمسين الوجيه وأعظم شروحها بلاشك هو شرح ابن رجب الذى سماه " جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم " .

١٢ — شروح أحاديث الأحكام مثل : الاحكام — شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد وعليه حاشية الصنعانى المسماه : " العدة " ومثل : نيل الأوطار — شرح منتقى الأخبار للعلامة الشوكانى ، وسبل السلام شرح بلوغ المرام للصنعانى .

ولابد للداعية فى مجال دراسة السنة الاهتمام بالسيرة النبوية خاصة الجزء العملى من السنة ، ويسجل مواقفه وهديه صلى الله عليه وسلم فى كافة شئون الدنيا والدين — حيث نجد الاسلام ملموسا فى حياة خير البشر صلى الله عليه وسلم ، ولما سئلت عائشة عن خلقه عليه السلام قالت : كان خلقه القرآن (١) — فكان صلى الله عليه وسلم نموذجا حيا للفضائل والأخلاق التى دعا اليها القرآن ، وكان حيا فى حياتهم فالعدل مثلا محققا فى جميع المجالات مع النفس والأسرة والأقارب والأصدقاء والأعداء وكل صور العدل ومظاهره ، والسيرة النبوية توضح الشورى التى هى أساس الحياة السياسية والاجتماعية ، فالدارس لغزوات بدر وأحد وخيبر وغيرها يلمس ذلك المبدأ الجليل .

كما بينت السيرة روائع الأخلاق كالأمانة والصدق والوفاء والصبر والسخاء

---

(١) مسند أحمد ٦ ص ٩١ .

والشجاعة والرحمة وغيرها ، ففى حياته صلى الله عليه وسلم تتجلى القيم التى جاء بها الاسلام ، ولهذا ينبغى للداعية الموفق أن يطلع عليها ويعزز حياته العلمية بها ، فاذا تحدث مثلا عن التواضع فلا يكتفى بسرد الآيات والأحاديث فى فضله حتى يذكر تواضعه صلى الله عليه وسلم فى أهله ومع أصحابه فقد كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب شاته ويطحن بالرحى مع الجارية والغلام ، وكان يجلس مع صحابته كواحد منهم حتى يأتى الغريب فلا يعرفه من بينهم فى حضر أو سفر .

هذا وللسيرة مصادر شتى غير كتب السيرة المعروفة مثل سيرة ابن هشام وشرحه للسهيلى وامتاع الأسماع للمقريزى أو السيرة الحلبية ونحوها فلا بد من الانتفاع بتلك المصادر ما أمكن ، ومنها ما يلى :

١ — القرآن الكريم وتفاسيره وبخاصة المأثور منها .

٢ — كتب الحديث وهى سجل حافل لحياته كلها .

٣ — كتب الشمائل مثل الشمائل المحمدية للترمذى وقد شرحها أكثر من واحد وزاد المعاد من هدى خير العباد لابن القيم ونحوه .

٤ — كتب التاريخ العام مثل تواريخ الطبرى وابن الأثير وابن كثير ففيها فصول ضافية عن السيرة وبخاصة ابن كثير .

٥ — كتب دلائل وخصائص النبوة التى تعنى بما ظهر على يديه صلى الله عليه من الخوارق والمعجزات وما نبأ به من الغيوب .. الخ .

فلابد للداعية أن يستحضر الأحاديث المتصلة بموضعه من دواوين السنة المختلفة سواء كانت موثقة على الأبواب مثل الكتب الستة والموطأ ومسند الدارمى وسنن البيهقى والمستدرك ومجمع الزوائد ورياض الصالحين والترغيب والترهيب وغيرها كالمسند ونحوه — وليحذر من الأحاديث الضعيفة كما يحذر سوء الفهم للأحاديث الصحاح والحسان التى وردت بها كتب السنة وتلقاها العلماء بالقبول .

فبعض الناس يتخذ من الحديث ((الذى رواه مسلم فى قصة تأبير النخل قوله (أنتم أعلم بأمر دنياكم) [١] مستندا لعزل التشريع الاسلامى فى المجالات الاقتصادية والسياسية ونحوها ، والحديث انما يقصد بأمر دنيانا الشئون الفنية المتعلقة بالوسائل والكيفيات كوسائل الصناعة والزراعة فقط دون .. المقاصد فهى شاملة لكل الحياة حيث أن أطول آية فى كتاب الله لتنظيم شأن دنيوى وهو كتابه الدين ، والبعض يضع أحاديث الفتن فى موضع يفهم منها أن الشر قد عم وأن سيل الفساد قد طم وأن لا سبيل الى الخلاص ولا أمل فى اصلاح ، وان الأمور تسير من سيئ الى أسوأ حتى تقوم الساعة حتى ترسخ ذلك فى أذهان كثير من العامة بل بعض الخاصة . فاذا دعوتهم للاسلام فى عمل جماعى ايجابى تؤدى به الجماعة الواجب عليها ، شهر وافى وجهك هذه الأحاديث وأقرب مثل هنا حديث (بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء) وهو حديث صحيح رواه مسلم [٢] وغيره ، فهل يتصور أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال هذا الحديث ليثبط عزائم أمته عن الدعوة والعمل لدينهم : لا ثم لا ، انما أراد أن يحذرهم لينتبهوا ، انه بمثابة اشعال الضوء الأحمر علامة على الخطر حتى يتفادى السائرون السقوط فى الحفر أو الاصطدام بالغير ، ولم يرد أبدا أن يغلق باب أمل أو طريق عمل على أهل الخير .. كيف وقد قال فى آخر الحديث فطوبى للغرباء ، وفى بعض روايات الحديث عند غير مسلم قيل ومن الغرباء يارسول الله قال : الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدى من سنتى [٣] ، ففيه دعوة صريحة الى اصلاح ما أفسد الناس من منهج النبوة والعمل الجاد لرد الشاردين الى الطريق المستقيم ، وفى رواية أخرى للحديث قيل : من الغرباء قال : النزاع من القبائل أى الذين نزعوا عن أهليهم وعشيرتهم وهاجروا بأبدانهم أو بعقولهم وقلوبهم فى سبيل الاسلام ، وفيه أيضا قيل من الغرباء يارسول الله قال : ناس صالحون قليل فى ناس كثير ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم ، اذا هم طائفة

---

(١) أنظر كتاب قبسات من الرسول لمحمد قطب ص ١٨٤ .
(٢) صحيح مسلم ١ ص ١٣٠ .
(٣) رواه الترمذى ٣ ص ٣١٩ .

قائمة على الحق يؤدون دور الصحابة فلم تثنهم غربتهم عن الدعوة والجهاد وان كان من يحصيهم أكثر ممن يطيعهم فلا ينعزلون ولا يترهبنون ، وفيه حث كل مسلم أن يكون واحدا من هؤلاء أو يكون عونا لهم على الأقل . فالحديث دعوة الى البناء والايجابية وليس اليأس والفرار بدعوى فساد الزمان :

نعيب زماننا والعيب فينا ∴ وما لزماننا عيب سوانا

ومثله حديث (كيف أنتم اذا تداعت عليكم الأمم كتداعيكم على قصعة الطعام)[1] ... الحديث . نبه الرسول صلى الله عليه وسلم الى المؤامرات الدولية التى تحاك لها فى المستقبل كأنه يراها رأى العين ، لم يقصد تيئيس الأمة بل أراد أن يحذرها من الضعف بحيث تصير الى تلك الحالة التى تطمع فيها الأمم ، فأول مراحل العلاج أن تعرف سبب المرض .

فعلى الداعية الذى درس السنة أن يعالج أحاديث الفتن بذكر ما يقابلها من المبشرات التى تنير القلوب بأشعة الأمل فى مستقبل المسلمين مثل ما رواه ابن حبان فى صحيحه (ليبلغن هذا الأمر — أى هذا الدين — ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزا يعز الله به الاسلام وذلا يذل به الكفر)[2] وعن ثوبان مرفوعا (ان الله زوى الأرض[3] فرأيت مشارقها ومغاربها وان أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ...) الحديث ، وحديث (لاتزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله ...) الحديث[4] وحديث المدينتين قسطنطينة ورومية ، وحديث (ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[5] وحديث

---

(١) أنظر المسند ٢ ص ٣٥٩ .
(٢) مجمع الزوائد للهيثمى ٦ ص ١٤ .
(٣) أى ضمها . تحفة الأحوذى بجامع الترمذى ٦ ص ٣٩٨ .
(٤) البخارى ٩ ص ١٢٥ .
(٥) أبو داود ٤ ص ١٥٤ ، الحاكم ٤ ص ٥٢٢ ، فيض القدير ٢ ص ٢٨٢ .

(لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال)[١] ، (لا تقوم الساعة حتى تقاتلون اليهود)[٢] وغير ذلك كثير من الأحاديث المبشرة .

فعلى الداعية أن يقاوم حملة التشكيك فى الأحاديث الصحاح التى شنها الخصوم من مبشرين ومستشرقين وملحدين — وقد أثرت للأسف فى بعض من ينتمون الى الاسلام حتى رأينا من يشكك فى دواوين السنة الأصلية حتى صحيح البخارى نفسه — فترد أحاديث صحيحة اتباعا للهوى أو تفسر الأحاديث كل على مزاجه وتتخذ وسيلة للطعن — ولقد صادف هذا الغزو تخلفا فكريا فى مصادر الاسلام وتطاول ذلك ليرد الأحاديث المتفق عليها التى تلقتها الأمة بالقبول كحديث (بنى الاسلام على خمس) الذى يحفظه الخاص والعام والصغير والكبير والرجل والمرأة — زعموا أنه من وضع المستعمر لأنه لم يذكر الجهاد ، وحديث (بئس أخو العشيرة)[٣] ، وحديث (الحجر تقول يامسلم ورائى يهودى فاقتله) ونحو ذلك .

فعلى الداعية أن يتسلح بالعلم فى هذا المجال والكتب التى يستفاد منها فى رد هذا الغزو وفضحه ما يلى :

١ — السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ، للدكتور مصطفى السباعى .

٢ — السنة قبل التدوين — دفاع عن أبى هريرة ، الدكتور عجاج الخطيب .

٣ — دراسات فى الحديث النبوى — باللغة الانجليزية ، للدكتور محمد مصطفى الأعظمى .

٤ — الحديث والمحدثون محمد أبو زهو .

٥ — الأنوار الكاشفة ، لعبد الرحمن المعلمى اليمانى .

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى ٣ ص ٢٨١ .
(٢) فى مسلم ٤ ص ٢٢٣٨ ، وفتح البارى ٦ ص ١٠٣ .
(٣) فتح البارى ١٠ ص ٤٧١ .

وعلى الداعية كذلك أن يتجنب الأحاديث المشكلة على جمهور الناس لغير ضرورة لأن لها تفسيرات قد لا يهضمونها مثل سجود الشمس كل يوم تحت العرش وحديث الذباب وما شابه ذلك ، قال على رضى الله عنه " حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون " وقال ابن مسعود رضى الله عنه " ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة[1] ، ويتجنب أحاديث الرخص وما شجر بين الصحابة والاسرائيليات — قال صلى الله عليه وسلم (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع)[2] ، ويحذر الداعية كذلك الأحاديث الموضوعة الواهية ، وقد حذر علماء السنة من رواية الحديث الموضوع الا مع التنبيه عليه ، وروى مسلم عن سمره مرفوعا —(من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين)[3] ، لأن هذه الأحاديث كدرت صفاء الثقافة الاسلامية ، وقد دخلت كثيرا من فروعها حتى فى الفقه وعلى كثير من الدعاة ذوو الطابع الشعبى ، وقلما تسمع خطيبا أو مدرسا أو محدثا فى الاذاعة أو كاتبا فى مجلة الا ويروى حديثا أو أكثر من هذه الأحاديث المردودة .

أما ما اشتهر من أن الحديث الضعيف تجوز روايته فى فضائل الأعمال والقصص والترغيب والترهيب ونحو ذلك ، نحب أن ننبه هنا الى عدة أمور :

١ — أن هذا الرأى غير متفق عليه لأن من العلماء من رفض الأخذ بالحديث الضعيف فى كل مجال كيحيى بن معين وجماعة من الأئمة ، وقد شنع البخارى ومسلم فى المقدمة على رواة الأحاديث الضعيفة ، ومال اليه القاضى أبو بكر بن العربى رأس المالكية فى عصره ، وأبو شامة رأس الشافعية فى عصره ، وهو مذهب ابن حزم وغيره .

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريره ١ ص ٩ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) صحيح مسلم ١ ص ٧ وجامع الترمذى ٥ ص ٣٦ .

٢ ــ اذا وجد فى الصحيح والحسن ما يتضمن المعنى المراد فلا معنى للجوء الى الضعيف ٠

٣ ــ الضعيف لا يجوز أن يضاف الى النبى صلى الله عليه وسلم بصيغة الجزم قال صاحب التقريب[1] اذا أردت رواية الضعيف بغير اسناد فلا تقل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ، وما أشبهه من صيغ الجزم بل قل روى عنه كذا أو بلغنا عنه كذا أو ورد عنه أو جاء عنه أو نقل عنه وما أشبهه من صيغ التمريض ٠

٤ ــ ان العلماء الذين أجازوا رواية الحديث الضعيف لم يفتحوا الباب على مصراعيه وانما اشترطوا ما يلى :

أ ــ ألا يكون الحديث شديد الضعف ٠

ب ــ أن يندرج تحت أصل شرعى معمول به ثابت فى القرآن والسنة الصحيحة ٠

جـ ــ ألا يعتقد عند العمل به ثبوته عن النبى صلى الله عليه وسلم ويكون فى فضائل الأعمال فلا يترتب عليه حكم شرعى ، ولا يشتمل على مبالغات يمجها العقل أو الشرع أو اللغة أو الوعيد الشديد على أمر صغير أو الوعد العظيم على أمر حقير ــ لأن عامة عصرنا لا تقبل المبالغات ومن أمثلة ذلك ما تمجه اللغة ما رواه ابن أبى الدنيا عن شقى بن مانع أن فى جهنم واديا يدعى أثاما فيه حياة وعقارب ٠٠ الخ ، يشير الى قوله تعالى : (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) مع أن أثاما كلمة وعيد بالهلال معروفة قبل الاسلام وبعده ٠ أو يمجه الشرع مثل ما روى أن ابن عوف يدخل الجنة حبوا بسبب غناه ــ وهى وان قصد بها التحذير من فتنة المال والطغيان لكن تعارض الصحاح من

---

(١) تدريب الراوى فى شرح التقريب للسيوطى ص ١٩٥ ٠

الحديث لأن ابن عوف من العشرة المبشرين بالجنة وأنه من خيار الصحابة ويمثل الغنى الشاكر — نعم المال الصالح للرجل الصالح (١) .

وسبب تسرب هذه الأحاديث الضعيفة الى الدعاة اعتمادهم على كتب لا تعنى بانتقاء الأحاديث التى بها ، ولا حتى مجرد العزو الى من خرجها — مثل كتب الوعظ والتصوف والتفسير ونحوها — ظانين أن هذا يعفيهم من البحث فى درجاتها — وخاصة كتب الرقاق تجمع الغث والسمين .

فالداعية اذا رجع الى كتاب الاحياء مثلا للغزالى ، يرجع الى تخريج الحافظ العراقى ، وفى الترغيب الى المقدمة التى بين فيها درجات الحديث والمصطلحات ، والجامع الصغير أن يراجع فيض القدير أو المختصر " التيسير " للمناوى ولا يكتفى باشارات الجامع ، لكثرة ما أصابها من التحريف على يد النساخ أو الطابعين ، ويطلع على تخريج أحاديث الهداية للزيلعى .

وهناك كتب مهمة يطلع عليها الداعية فيما يتعلق بالأحاديث المشتهرة على الألسن مثل المقاصد الحسنة للسخاوى ، وتمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث لابن الديبع الشيبانى ، وكشف الخفاء ومزيل الالباس فيما اشتهر على ألسنة الناس للعجلون وهو أجمعها وأوفاها ومرتب على حروف المعجم ، وهناك كتب لا يستغنى عنها مثل الموضوعات لابن الجوزى واللالىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة للسيوطى وتحذير الخواص من أكاذيب القصاص له كذلك ، والمنار المنيف فى الصحيح والضعيف لابن القيم ، والموضوعات الكبرى والصغرى للشيخ على القارى ، وتنزيه الشريعة المرفوعة من الأحاديث الشنيعة الموضوعة لابن عراق والفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة للشوكانى والأسرار المرفوعة للكنوى ، والأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها فى الأمة للألبانى .

---

(١) الترغيب ٥ ص ٣٠٨ .

علم العقيدة

ليس المقصود دراسة منظومات المتأخرين مثل الخريده أو الجوهرة ونحوهما أو العقائد النسفيه وما يتبعها من شروح وحواش أو المطولات الكلامية مثل شرح المقاصد ، والمواقف وما شابهها ، فان كثيرا من مباحث هذه الكتب لا يحتاج اليه العقل المعاصر أو يستسيغها . فيجب توفير الجهد الذهنى الضخم الذى يبذل فى هضم هذه الكتب وحل ألغازها وفك طلاسمها — لما هو أجدى فى الدفاع عن العقيدة وتثبيتها — لهذا نرى فى دراسة العقيدة ما يلى :

١ — كون كتاب الله تعالى وصحيح السنة ، المصدر الفذ للعقيدة المنشودة بعيدا عن الشوائب والزوائد والخرافات والبدع التى لحقت بها على مر العصور ، وبهذا تبقى العقيدة على صفائها ووضوحها وبساطتها ولا نجعل آراء مدرسة معينة أصلا ، نحمل القرآن عليه .

٢ — اتباع منهج القرآن فى مخاطبة العقل والقلب معا ، من أجل تكوين الايمان الصحيح فلا نعول على العقل وحده كالفلاسفة ، ولا نركز على القلب وحده كالصوفية ، لأنه لا يتفق مع شمول المنهج الاسلامى القائم على اقتناع العقل وانفعال القلب ، وصدق الارادة .

٣ — الاهتمام بأدلة القرآن لاثبات معتقداته واقناع المخاطبين والرد على خصومه مثل أدلة القرآن على وجود الله ، وقد نوه الى هذا ابن رشد فى " مناهج الأدلة " والعقاد فى كتاب " الله " ونديم الجسر فى "قصة الايمان " وغيرهم ، وكذلك الاستدلال على توحيد الله والبعث ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهذه كلها أدلة عقلية برهانية صريحة وليست خطابية أو اقناعية كما وهم بعض المتكلمين .

٤ ــ صرف العقل الى مشكلات الزمن المعاصر والاشتغال بقضايا العقيدة الكبرى ، مثل وجود الله سبحانه والحياة الأخرى والقدر ، أما المشكلات التاريخية مثل خلق القرآن أو الصفات وعلاقتها بالذات هل هى عين أم لا عين ولا غير ٠٠ الخ ٠ فينبغى أن تدرس كتاريخ للفكر الاسلامى ولا ننفق جهدا ووقتا نحن فى حاجة اليهما لمواجهة معضلات زماننا ٠

٥ ــ الاستفادة من ثقافة العصر وخصوصا فى ميادين العلوم البحتة كالفلك والطب والفيزياء وغيرها لتأييد قضايا العقيدة وتثبيتها كما فعل ذلك كثير من المؤلفين فى زماننا من الأجانب والمسلمين كصاحب العلم يدعو الى الايمان ، وأصحاب : الله يتجلى فى عصر العلم ، وصاحب قصة الايمان ، والاسلام يتحدى ٠٠٠ والله جل جلاله ٠٠٠ وغيرها ٠

٦ ــ أن نتبنى طريق السلف فى صفات الله تعالى من غير تكييف ولا تمثيل ولا تخريف ولا تعطيل ولا تأويل[1] ولا تجسيم ولا تخييل ، نفى مجمل (ليس كمثله شيء) واثبات مفصل (وهو السميع البصير)[2] وهى التى انتهت اليها أساطين علم الكلام من الأشاعرة وغيرهم مثل ابن الحسن الأشعرى فى كتاب " الابانة " وامام الحرمين ــ الجوينى ــ فى كتاب العقيدة النظامية ، والغزالى فى لجام العوام عن علم الكلام والفخر الرازى فى أقسام اللذات حيث يقول فيه :"لقد تأملت المناهج الفلسفية والطرق الكلامية ، فلم أرها تشفى عليلا أو تقع غليلا ، ورأيت خير الطرق طريقة القرآن ــ اقرأ فى الاثبات (الرحمن على العرش استوى) واقرأ فى النفى (ليس كمثله شيء) ومن جرب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى ٠

٧ ــ نتتبع شبهات المبشرين والمستشرقين والشيوعيين وغيرهم من خصوم الاسلام وتلاميذهم ونرد عليها ردا علميا فكريا بلسان العصر ٠

---

(١) شرح الطحاوية ص ٣٩ ٠
(٢) سورة الشورى آية ١١ ٠

التصوف

الذى يبحث فى الجانب الأخلاقى والعاطفى من الثقافة الاسلامية ، يرى أنه قد تسربت اليه عوامل أجنبية مسيحية أو هندية أو فارسية أو يونانية الى جوار العوامل الاسلامية . ودخلت أفكار غريبة من شتى المصادر ، حتى انتهى بعض أنواع التصوف الى القول بالحلول أو الاتحاد ، أو وحدة الوجود، وكان لبعضهم كلام عن قدوم النور المحمدى أو ما يسمونه الحقيقة المحمدية ، وكلام عن الولاية والأولياء والكشف والمواجيد والأذواق وتحكيمها فى النصوص الدينية ، وكالتفرقة بين الحقيقة والشريعة وأن يكون المريد عند الشيخ كالميت بين يدى الغاسل — وغلوهم فى الزهد الى حد يخرج عن وسطية الاسلام الى رهبانية النصارى — من هذه الوجهة وقف كثير من الحريصين على التمسك بالسنة موقف الريبة من هذا الاتجاه الصوفى ، وأعلن البعض حربا على التصوف كله قديمه وحديثه حسنه وقبيحه ، ودعا الى نبذ هذا التراث لأنه سبب الانحرافات الفكرية والسلوكية التى ابتلى بها المسلمون أخيرا ، ونريد أن نؤكد للداعية هنا ما يلى :

١ — أن التصوف الفلسفى كله مرفوض من أساسه ، وإذا درسناه فلنرد عليه ولنبين منافاته للدين .

٢ — الذى يعنينا من التصوف الجانب الأخلاقى والنزوى الذى قال فيه ابن القيم فى المدارج "اجتمعت كلمة الناطقين فى هذا العلم على أن التصوف هو الخلق" ، وعبر عنه الكتانى بقوله " التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى التصوف " .

٣ — أن ننتقى من التصوف ما يخدم العقيدة الاسلامية من الأخلاق ، وندع كل ما فيه ريبة وننتفع بمن نقد الصوفية مثل ابن الجوزى فى تلبيس ابليس وغيره .

ومن الانصاف أن نبين أن فى التراث الصوفى فوائد لا تنكر ، منها :

١ — أنه يجمع كثيرا من أقوال الصالحين وحكم الزهاد وأهل التقوى .

٢ — فيه لفتات روحية مشرقة فى فهم الآيات والأحاديث والتعليق عليها لا توجد عند غيرهم .

٣ — درسوا آفات النفس ومداخل الشيطان اليها وكيفية العلاج والوقاية ولهم معارف ماليس لطائفة غيرهم .

٤ — فى أقوالهم حرارة وحيوية يلمسها قارئها وذلك نتيجة المجاهدة النفسية .

٥ — ان الذين وضعوا أسس الصوفية رفضوا كل محاولة لاخراجه عن الشرع وقيدوه بالقرآن والسنة ، قال الجنيد (من لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الأمر لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة وكذلك جاء عن أبى حفص والدارانى وابن أبى الحوارى والسرى السقطى وغيرهم ، كما نقله القشيرى وغيره(١) .

٦ — من أئمة الدعوة السلفية من تكلم فى التصوف وألف فيه ، ورد على باطله وأشاد بما فيه من حق ، لأن الصوفية انتشرت فى العالم الاسلامى — يتضح ذلك فى رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية التى ظهرت فى مجلدين من مجموع فتاويه أحدهما تحت عنوان " التصوف " والثانى تحت عنوان " السلوك " وكذلك مؤلفات تلميذه المحقق العلامة ابن القيم فى ذلك ، وهى كثيرة منها "طريق الهجرتين" و " عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين " و " الداء والدواء " ، وأكبرها " مدارج السالكين شرح منازل السائرين " فى ثلاثة مجلدات وفيه وزن علوم التصوف بميزان الكتاب والسنة .

---

(١) أنظر مدارج السالكين ٢ ص ٤٦٤ ، وما بعدها .

النظام الاسلامى

ينبغى للداعية أن يدرس النظام الاسلامى دراسة جيدة ، وأن يستوعب حقائق الدين كما قررها الكتاب الكريم ونفذها الرسول والخلفاء الراشدون ، فيدرك أن الاسلام رسالة متكاملة وأن الله جل شأنه جعله نظاما للحياة الفردية والاجتماعية والمادية والمعنوية ولا تغنى دراسة التفسير والحديث والفقه ونحوها عن هذه الدراسة ، لأنها تعطى نظرات متفرقة لجوانب منه دون الربط بينها وفهم الاسلام فهما صحيحا يتمثل فى عدة أمور يجب التحرز منها ، وهى كالآتى :

١ — أن يزاد عليه ويلصق به ماليس منه من رواسب الديانات السابقة وشوائب النحل والمذاهب شرقية وغربية ، بعد أن أكمله الله للأمة وأتم عليها به النعمة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) [١] والكامل لا يقبل الزيادة كما لا يقبل النقص ، ولهذا شدد الرسول صلى الله عليه وسلم على الابتداع فى الدين .

٢ — أن ينقص منه ما هو من أجزائه أو يؤخذ بعضه دون بعض كما فعل بنوا اسرائيل بدينهم اذ آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض ، وفى عصرنا قامت محاولات لتجزئة الاسلام أو اهدار بعض تعاليمه كالذين يريدون عقيدة بغير شريعة أو دينا بلا دولة أو صلاة بدون زكاة أوسلاما بلا جهاد أو زواجا بلا طلاق ... الخ ، والاسلام وحدة متكاملة لا يقبل التفكيك (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة) [٢] .

---

(١) سورة المائدة آية ٣ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٠٨ .

٣ — تشويه تعاليم الاسلام في العقيدة والعبادة والأخلاق والتشريع فتعرض على غير حقيقتها بالهوى والجهل والظلم كما شوهت فكرة القضاء والقدرة في العقيدة أو فكرة الحج في العبادة أو فكرة الزهد في الأخلاق أو فكرة الطلاق وتعدد الزوجات وضرب الزوجة الناشز في نظام الأسرة وفكرة الجهاد في نظام الدولة وفكرة الحدود في نظام العقوبات.

٤ — اختلال التوازن بين القيم والتعاليم فبعضها يعطى دون حقه ، والبعض الآخر أكثر من حقه ، ويقدم ما يستحق التأخير ويؤخر ما يستحق التقديم مع أن الاسلام قد أعطى كل عمل من الأعمال قيمة (ووضعا خاصا) فلا توضع الفروع محل الأصول والنوافل مكان الفرائض وتقديم أعمال الجوارح على أعمال القلوب ، أو القربات الفردية القاصرة على العبادات الاجتماعية المتعدية ، بل يوضع كل شيء في مرتبته الشرعية دون غلو ولا تقصير أو تقديم ما حقه التأخير.

فينبغي التوعية بالكتابة وغيرها لتفادي هذه الأخطار الأربعة الزيادة فيه — النقص منه — التشويه له — الاخلال بتوازنه . وأن ندرس الاسلام خالصا مصفى من الشوائب والفضول والزيادات التي ألصقت به على مر العصور — ويجب العودة الى نقاء الاسلام الأول " اسلام القرآن والسنة ، اسلام الصحابة وتابعيهم باحسان قبل ظهور الفرق والبدع والفتن ، الاسلام التام العناصر الجميل الصورة المتماسك بعقائده وتصوراته وعباداته وآدابه وأخلاقه ونظمه وتشريعاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمدنية والجنائية مع وجوب الربط بينها وشدها الى توحيد الله تعالى ، الاسلام المبرأ من تشويه المشوهين وتحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين والرجوع الى المصادر الأصلية للاسلام مع العناية بالدليل وحسن التعليل والاهتمام بابراز خصائص الاسلام ، ربانيته — انسانيته — شموليته — وسطيته — واقعيته .

وعرضنا للاسلام ينبغى أن يكون متوازنا واضح التقاسيم محدد المفاهيم مرتب التعاليم يقدم فيه الأهم على المهم والمهم على غير المهم وتوضح المبادئ والأحكام فى مراتبها الشرعية العقيدة قبل العمل والعبادة قبل المعاملة والفرائض قبل النوافل والكبائر قبل الصغائر والاركان قبل غيرها ، ونستفيد من كتابات المعاصرين من رجال الفكر فى أنحاء العالم الاسلامى ونذكر على سبيل المثال لا الحصر (وان كان كل بشر يؤخذ من كلامه ويترك الا المعصوم صلى الله عليه وسلم ، ففى مجال العقيدة والأسس الفكرية ما يلى من الكتب الحديثة :

١ ــ مبادئ الاسلام للمودودى .
٢ ــ العقائد الاسلامية لحسن البنا .
٣ ــ خصائص التصور الاسلامى لسيد قطب .
٤ ــ عقيدة المسلم لمحمد الغزالى .
٥ ــ نظام الاسلام (العقيدة والعبادة) لمحمد المبارك .
٦ ــ الاسلام يتحدى لوحيد الدين خان .
٧ ــ الله جل جلاله لسعيد حوى
٨ ــ الرسول صلى الله عليه وسلم لسعيد حوى أيضا .
٩ ــ الايمان والحياة ليوسف قرضاوى .

وفى مجال العبادة والشعائر :
١ ــ الأركان الأربعة للندوى .
٢ ــ العبادة فى الاسلام ليوسف قرضاوى .

فى مجال الأخلاق :
١ ــ ربانية الا رهبانية للندوى .
٢ ــ خلق المسلم لمحمد الغزالى .
٣ ــ دستور الأخلاق فى القرآن لمحمد عبد الله دراز .

وفى مجال التشريع والنظام الاجتماعى :

١ ــ العدالة الاجتماعية فى الاسلام لسيد قطب ٠

٢ ــ خطوط رئيسية فى الاقتصاد الاسلامى لمحمود أبو السعود ٠

٣ ــ منهاج الاسلام فى الحكم لمحمد أسد ٠

٤ ــ نظام الاقتصاد لمحمد المبارك ٠

٥ ــ الحكم والدولة لمحمد المبارك أيضا ٠

٦ ــ الاقتصاد الاسلامى مدخل ومنهاج لعيسى عبده ابراهيم ٠

٧ ــ الفكر الاسلامى المعاصر (الحكم والمجتمع) لمحمد البهى ٠

٨ ــ الفكر الاسلامى المعاصر (الأسرة والتكافل) لمحمد البهى أيضا ٠

٩ ــ معركة المصحف لمحمد الغزالى ٠

١٠ــ ركائز الايمان بين العقل والقلب لمحمد الغزالى أيضا ٠

١١ــ اشتراكية الاسلام للدكتور مصطفى السباعى ٠

١٢ــ الثروة فى ظل الاسلام للبهى الخولى ٠

١٣ــ فقه الزكاة ، ومشكلة الفقر وكيف عالجها الاسلام للدكتور يوسف القرضاوى ٠

١٥ــ التشريع الجنائى الاسلامى لعبد القادر عودة ٠

١٦ــ الاسلام عقيدة وشريعة لمحمود شلتوت ٠

١٧ــ نظام الحكم فى الاسلام للدكتور محمد عبد الله العربى ٠

١٨ــ نظرية الاسلام وهديه فى السياسة والدستور للمودودى ٠

١٩ــ الربا والاقتصاد الاسلامى والحجاب للمودودى أيضا ٠

٢٠ــ مشكلتنا فى ضوء النظام الاسلامى لحسن الهنا ٠

٢١ــ الاسلام وقضايا المرأة المعاصرة لبهى الخولى ٠

الفقـــه

لابد للداعية من قدر مناسب من الثقافة الفقهية بحيث يحوف أهـــم الأحكام الشرعية فى العبادات والمعاملات والآداب ، وما لا يستحضره يكـون قادرا على مراجعة حكمه فى مصادره ومظانه الموثوقة وذلك مهم للداعية مـــن عدة نواح :

١ ـ ليستطيع أن يجيب السائلين عن الحلال والحرام وشئون العبـــادة والأسرة ونحوها مما يكثر الناس السؤال عنه ويلجأون فى العادة الى الدعاة يلتمسون منهم الفتوى .

٢ ـ ليصحح الانحراف والأخطار التى تقابله فى ضوء الأحكام الشرعية ، فلا ينكر أمرا مجتهدا فيه بين الأئمة ـ اذ لا انكار فى المسائل الاجتهاديـــة الا فى حدود معينة ولا ينكر المنكر اذا ترتب عليه منكر أكبر منه ، وقـــد حكى ابن القيم عن شيخ الاسلام ابن تيمية أنه مر على قوم من التتـــار جلسوا ، يشربون الخمر فأنكر عليهم بعض أصحابه فقال الشيخ : دعهم وما هم فيه فان الله انما حرم الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصـــلاة وهؤلاء تصدهم الخمر عن سفك الدماء ونهب الأموال . وينبغى أن يقـدم الأهم على المهم والكلى على الجزئى والفـرض على النافلـة .

٣ ـ أن يطعم دروسه وعظاته بالأحكام المهمة التى تحتاج اليها النـــاس فى وقتها كالزكاة والصيام والحج وغيرها يعطى خلاصات أساسية لكـــل منها بأسلوب سهل قريب مقبول لا يطغى وعظه على فقهه ولا فقهه عـــلى وعظه وأن يراعى ما يلى :

أ ـ ربط الأحكام بأدلتها من الكتاب والسنة أو الاجماع والقيـــاس والاستحسان والاستصلاح وغيرها من الأدلة ـ فلا فقه بلا دليل :

لأن تعريف الفقه هو : معرفة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية ، فالدليل يكسو الفتوى نورا وجمالا ، وهناك كتب لفقه الحديث مثل :

١ — الأحكام لابن دقيق العيد .
٢ — نيل الأوطار للشوكانى .
٣ — سبل السلام للصنعانى .
٤ — الروضة الندية لصديق خان .
٥ — كتب ابن تيمية وابن القيم .
٦ — فقه السنة للسيد سابق ، وغيرها .

٤ — أى يتعرف الداعية على المذاهب الفقهية المتبوعة — وأدلتها ، ولا مانع من ترك المذهب فى بعض المسائل التى يشعر بضعف أدلتها الى مذهب يرى أنه أسعد بالدليل لأن الأئمة جميعا قالوا : اذا صح الحديث فهو مذهبى . فالداعية لا يدع السنة الصحيحة الصريحة بحجة تقيده بمذهبه . ففى تعرف الداعية للمذاهب ، فوائد جمة ، فان كان مالكيا وهو فى بيئة حنبلية أو كان حنبليا أو شافعيا وهو فى بيئة حنفية أوالعكس فلا ينكر على الناس مالا يجوز أن ينكر ، واطلاع الداعية على كتاب : " بداية المجتهد ونهاية المقتصد " لابن رشد يفيده كثيرا فى الفقه المقارن .

وينبغى للداعية أن يوضح الأحكام الفقهية من تعليل ودليل ، وثمرة ذلك فى النفس والحياة وربطها بالفلسفة العامة للاسلام فى حفظ (الدين — المال — العقل — العرض — النفس) لتقبلها النفوس وتتبناها — لأن الحاجة لذلك فى زماننا ألزم لأن كثير الناس لا يسلم ، ويريد البحث والقناعة — ورحم امرءا عرف زمانه وخاطب أهله بما يعرفون .

علم أصول الفقه

علم أصول الفقه مهم للداعية حتى يعرف الأدلة المتفق عليها بين فقهاء الأمة ، وهى الكتاب والسنة ، والتى اتفق عليها الجمهور الاجماع والقياس ، واختلفوا فيها بعد ذلك ، بين مثبت ونافٍ ومضيق وموسع ومتوسط ، وهى أدلة : ما لا نص فيه من الاستحسان والاستصلاح والاستصحاب وشرع من قبلنا وقول الصحابى وما الى ذلك مما تفرقت فيه وجهات النظر ... فكيف نستنبط الدليل من المصدرين الأساسيين الكتاب والسنة ومن الذى يجوز له الاستنباط أو يجب عليه ، ومن الذى يحل له التقليد أو يحرم عليه . فهناك مسائل كثيرة بعضها اتفقوا عليه وبعضها اختلفوا فيه ولكل وجهه هو موليها .

ولابد للداعية أن يعرف الراجح من المرجوح ليأخذ بالراجح ويقنع الآخرين بالمرجوح ان استطاع أو يعذرهم ، وليس من الضرورى للداعية أن يقرأ المطولات لأن هذا شأن المتخصص ، وحسب الداعية أن يقرأ ما يعطيه فكرة ملائمة مثل : جنة الناظر لابن قدامه أو ارشاد الفحول للشوكانى وهو أوسع أو كتابا حديثا مثل أصول الفقه للخضرى أو علم أصول الفقه للشيخ خلاف .

ويعرف الداعية نبذة عن تاريخ الفقه الاسلامى ونشأة المذاهب وتطورها وغلبة الجمود والتقليد على الاجتهاد والاستنباط فى العصور الأخيرة ويكفى فى هذا : تاريخ التشريع الاسلامى للخضرى أو خلاصة تاريخ التشريع الاسلامى لخلاف .

الثقافة الأدبية واللغويـــة

تلزم الداعية هذه الثقافة لزوم الوسائل والأدوات ، فاللغة بمفرداتها ونحوها وصرفها ، لازمة للسان وصحة الأداء والفهم أيضا .

فالداعية حين ينصب المرفوع ويرفع المنصوب ولا يفرق بين فاعل ومفعـــول بـــه ، ينفر منه السمع ويمجـــه الطبع وشر ما يكون اللحن فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

والأدب بشعره ونثره وأمثاله وحكمه ووصاياه وخطبه مهم للداعية يتفتق بـــه لسانه ويجود أسلوبه ويرهف حسه ، ويقفه على ابواب العبارات الرائقة والأساليب الفائقة والصور المعبرة والأمثال السائره والحكم البالغة ويفتـــح له نافذة على الروائع والشوامخ ، ويضع يده على مئات بل الألوف من الشواهد البليغة التى يستخدمها الداعية فى محلها المناسب .

وقد جاء فى الحديث أن من البيان لسحرا وأن من الشعر لحكمة ، وقـــد يسمع النبى صلى الله عليه وسلم الشعر من أكثر من شاعر ، فاستجاده واستزاد منه ، ومن أصحابه شعراء معروفون مثل حسان بن ثابت ، وكعب بن مالـــك ، وعبد الله بن رواحه ، وغيرهم . وأذن لحسان أن يذود بلسانه ، وينافح عـــن الدعوة الاسلامية ، ويرد هجو شعراء قريش ، وقال له صلى الله عليه وســـلم : " اهجهم وروح القدس معك "(١) ، وهناك شعر جيد لعلى رضى الله عنه أحد الخلفاء الراشدين ، وقال عمر رضى الله عنه علموا أبناءكم السباحة والرماية وركوب الخيل ورووهم ما يجمل من الشعر .

---

(١) مسند أحمد ٤ ص ٢٩٨ .

ولا غرو أن جعل الله الآية الكبرى والمعجزة العظمى ، لخاتم رسله معجزة بيانية أثرت فى خصومها وأنصارها على سواء (القرآن الكريم) .

ومن الجوانب المهمة فى الثقافة الأدبية ، ما تحكيه كتب الأدب من حوار وقصص وأخبار ، كثيرا ما تكون لها قيمة أخلاقية وتربوية ، فيلتقطها الداعية ذو الحس المرهف لينقلها من مجال المتعة بالقراءة الى مجال الدعوة والتوجيه ، مثال ذلك ما حكاه ابن عبد ربه الأندلسى فى كتابه العقد الفريد : ان رجلا يقال له ابن سلكه دخل الحجاج يشكو اليه مظلمة حلت به على أيدى رجاله فكان مما قاله للحجاج : عصى عاص من عرض العشيرة فحلق على اسمى ، (١) وهدم منزلى وحرم عطائى (يعنى الرجل أن هذا كله أصابه بذنب واحد من العشيرة) قال الحجاج : هيهات أما سمعت قول الشاعر :

جانيك من يجنى عليك وقد ∴ تعدى الصحاح مبارك الجرب
ولرب مأخوذ بذنب عشيرة ∴ ونجا المقارف صاحب الذنب

فقال الرجل : أصلح الله الأمير ، انى سمعت الله عز وجل يقول غير هذا ، قال : وما ذاك ، قال : يقول الله تعالى : — أى على لسان أخوه يوسف — (قالوا ياأيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين . قال : معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون) (٢) ، قال الحجاج : على بيزيد بن أبى مسلم ، فمثل بين يديه فقال : افكك لهذا عن اسمه وأصلك له بعطائه وابن له منزله ، ومر منادیا ينادى صدق الله وكذب الشاعر (٣) . وهذا يبين أن للشريعة الاسلامية سلطانها وهيبتها حتى على طغاة الحكام .

---

(١) أى وضع داخل دائرة حمراء ، كما يفعل امام المواد التى يرسب فيها التلميذ ، وبتعبير العصر وضع اسمه فى القائمة السوداء .
(٢) سورة يوسف آية ٧٨ — ٧٩ .
(٣) أنظر العقد الفريد ١ ص ٣٠ — ٣١ .

فالداعية الموفق يجد لهذه المناسبات ، وكذلك للملح والطرائف الأدبية مكانها ووقتها لينتفع بها ، فيثبت معنا معنيا ، أو ليروح بها عن سامعيه كما قيل : ان القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة .

كما يستطيع الداعية أن يقتبس كثيرا من النصوص الأدبية — وبخاصة الشعر الرفيع — فينقلها من موضوعها الأصلى الذى سبقت فيه الى موضوع يراه الداعية أليق لها وأحق بها ، وهو كثير ، قال بعضهم : حضرت مجلس الشبلى فقام اليه رجل من أصحابه فقال له : أوصنى فقال : لقد وصاك الشاعر بقوله :

قالوا توق ديار الحى ان لهم .·. عينا عليك اذا ما نمت لم تنم

وكثيرا ما استعار أهل المحبة ، لله أشعار العشاق ، من أمثال قيس وجميل وكثير فاستعملوها هم فى أغراضهم الربانية ، ولم يلتفتوا الى أنها قيلت فى ليلى أو بثينة ونحوهم ، بل ربما بقيت هذه الأسماء فلم يهالوا بها — وقد أنشأ أبو فراس الحمدانى أبياتا من قصيدة يخاطب بها أميره وابن عمه سيف الدولة ، فنقلها الصالحون الى من لا يجوز أن يخاطب بها غيره ، وهو الله جل جلاله ، وهى قوله :

فليتك تحلو والحياة مريرة .·. وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر .·. وبينى وبين العالمين خراب
اذا صح منك الود فالكل هين .·. فكل الذى فوق التراب تراب

وبعض الناس ينسبها الى رابعة العدوية والحقيقة أنها لم تنشأ الا بعد رابعة العدوية بزمن طويل .

الثقافة التاريخية

من الثقافة اللازمة لمن نصب نفسه للدعوة الى الله " التاريخ " فهو ذاكرة البشرية وسجل أحداثها وديوان عبرها والشاهد العدل لها أو عليها ويهمنا فى ذلك تاريخ الأمة الاسلامية خاصة ، والانسانية بصفة عامة ، أعنى المواقف الحاسمة منه ، والملامح الرئيسية فيه لأنه لا يتصور أن يدرس الانسان تاريخ البشر كافة ولو كان متخصصا فكيف بغير المتخصص .

ويحتاج الداعية الى التاريخ لأمور :

١ — أنه يوسع آفاقه ويطلعه على أحوال الأمم وتاريخ الرجال وتقلبات الأيام ليرى الانسان سنن الله فى المجتمعات بلا محاباة ولا جور — ترقى الأمم وتهبط وتقوم الدولة وتسقط وتحيا الحضارات وتموت وتتسام الشعوب وتصحو وينجح القادة ويفشلون ، يقول الله سبحانه (أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) .(١)

٢ — التاريخ شاهد على ما يدعو اليه الدين من قيم ومفاهيم فهو مرآة تتجلى فيها عاقبة الايمان والتقوى ونهاية الكفر والفجور وكيف يجنى من يغرس الخير ويحصد من يزرع الشوك ، قال تعالى : (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا فى البلاد هل من محيص ، ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)(٢) ، وقال (لقد كان فى قصصهم

---

(١) سورة الحج آية ٤٦ .
(٢) سورة ق آية ٣٦ — ٣٧ .

عبرة لأولى الألباب)[١] ، وكثيرا ما يعقب القرآن على نهاية الأمم تعقيبات تبرز ما وراءها من دروس مثل قوله بعد قصة ثمود " فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون . وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون)[٢] ، وقوله بعد قصة سبأ (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور)[٣] ، وبعد قصة موسى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون)[٤] . فيستشهد الداعية للمعانى والقيم التى يدعو اليها بأحداث التاريخ ومواقف الأبطار وغيرهم لأنه أعون على تثبيتها فى العقول والقلوب ، فقد تنسى الكلمات ولكن قلما تنسى الوقائع .

٣ — كثيرا ما يعين التاريخ على فهم الواقع ولاسيما اذا تماثلت الظروف وتشابهت الدوافع وهذا ما جعل العرب قديما يقولون :"ما أشبه الليلة بالبارحة" وجعل الغربيين يقولون" التاريخ يعيد نفسه" ، وفى القرآن اشارة الى هذا المعنى فى قوله تعالى : (لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم)[٥]

وفيه قضايا حاضرة لها جذورها فى التاريخ ، فالصدام بين الاسلام والمسيحية فى هذا العصر لا يعرف حق المعرفة مالم يعرف صراع الحروب الصليبية وما دفع اليها من بواعث وما صحبها من دمار وما خلفته من آثار ونتائج — بل منذ معركة (مؤتة) وغزوة تبوك فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم واليرموك وفتوح الشام ومصر وافريقية فى عهد الراشدين .

---

(١) سورة يوسف آية ١١١ .
(٢) سورة النمل آية ٥٢ — ٥٣ .
(٣) سورة سبأ آية ١٧ .
(٤) سورة الأعراف آية ١٣٧ .
(٥) سورة البقرة آية ١١٨ .

٤ — ان بعض جوانب التاريخ لها صلة وثيقة بعمل الداعية واهتماماته ، وأعنى الجانب العقلى أو الفكرى فى التاريخ مثل تاريخ الأديان ، نشأتها وتطورها وأهم الشخصيات والوقائع المؤثرة فى سيرها وما آلت اليه فى النهاية ومثل ذلك تاريخ النحل والفرق ... تاريخ الفلسفات والمدارس الفكرية ، تاريخ الحضارات الكبرى ولاسيما الجانب الثقافى منها .

تنبيهات للدعاة فى مجال التاريخ :

١ — أن يهتم بالمغزى الأخلاقى للتاريخ واتجاهات الأحداث فيه ونتائجها .

٢ — أن يعى الوقائع التاريخية التى تخدم رسالته وتعمق فكرته وتقديم الشواهد الحية لها وخاصة تاريخ العصور الوسطى فى أوروبا وحركات الاصلاح التى قام بها لوثر بيكون وغيره وأسبابها ونتائجها ، والثورة الصناعية فى أوروبا ونتائجها وحركة الاستعمار ونتائجه ونحو ذلك من الأحداث المهمة يلتقطها بحسه من مصادر قد لا يلتفت اليها ، كثير من رجال التاريخ ، فقد فيلتقطها من مخطوطات ومراجع تاريخية متخصصه لذلك العصر ، ومن قصص القرآن الكريم والحديث والآثار ، خصوصا عصر الراشدين والقرون الأولى ومن كتب الأحكام مثل الأموال والخراج وكتب الأدب والرحلات والحسبة والفتاوى وغيرها .

٣ — أن يهتم الداعية بسير الرجال ومواقف الأبطال خاصة الدعاة والعلماء والصالحون الذين تتمثل فيهم الأسوة الحسنة ، وتبرز الشخصية الاسلامية مجسدة فى مواقف وأعمال كما نلمس ذلك فى كتب الطبقات والتراجم ، كوفيات الأعيان فيه الوفيات بشكل عام وطبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب خاص برجال الحديث وصفوة الصفوة وحلية الأولياء للزهاد والصالحين ، وكتب طبقات الفقهاء والحكماء والأطباء واللغويين والنحاة ... الخ . فليس التاريخ لرجال السياسة والملوك وحدهم فكم من

فئات أخرى تسهم فى صنع التاريخ وتترك بصمات فى حياة الناس أكثر من السلاطين والأمراء والزعماء السياسيين .

٤ — أن يهتم برصد الحوادث فى التاريخ الاسلامى بأسبابها وعللها المعنوية والأخلاقية ، فالذى يطالع تاريخنا بدقة يجد أن المد والجزر والنصر والهزيمة والازدهار والذبول والغنى والفقر ، كلها ترتبط بمقدار صلة الأمة بالاسلام أو انفصالها عنه ، وحسبنا نظرة عجلى الى عصر الراشدين أو عمر بن عبد العزيز أو صلاح الدين ، والعكس فى عصور أخرى .

٥ — أن تكون الدعوة والرسالة محور التاريخ الاسلامى فى تربية الأجيال وتكوين الأمة والدولة والحضارة والثقافة الاسلامية والتأثير فى العالم كله وقدرة الاسلام على الانتشار عند القوة والمقاومة والضعف ، واعتناق الناس للاسلام عن اختيار ورضا كالسلاجقة والتتار والأتراك ونحوهم .

* ويجب على الداعية أن يركز على حقائق تاريخية أغفلت عمدا أو سهوا وهى كما يلى :

١ — ابراز الجاهلية العربية والعالمية التى يتردى فيها العالم والعرب خاصة بلا افراط ولا تفريط لأن هناك من يخلع على هذه الجاهلية حللا حسنا ويضخم مالها من حسنات ، متغاضيا عن المثالب كما فعل (المستشرقون والمبشرون والقوميون العرب) ، ودون ذلك فيما سمى "المجتمع العربى" أدبا وتاريخا حيث تجاهلوا ما كان عليه من فساد العقائد والأخلاق والتقاليد والنظم وصدق الله حيث قال (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين)[1] وقال عمر رضى الله عنه (انما تنقض عرا الاسلام عروة عروة اذا نشأ فى الاسلام من لا يعرف الجاهلية)

---

(١) سورة الجمعة آية ٢ .

لأنه لا يعرف ماذا قدمه الاسلام من هداية واصلاح للجاهلية ٠

٢ — الاهتمام بحركات الاصلاح والتجديد فى تاريخ الاسلام ورجال التجديد الذين يبعثهم الله بين حين وآخر ليجددوا لهذه الأمة أمر دينها قد يكون منهم الخلفاء كعمر بن عبد العزيز أو السلاطين كصلاح الدين أو الفقهاء والدعاة كالشافعى والغزالى وحسن البصرى وابن الجوزى وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب — وقد يكون جماعة أو مدرسة اصلاحية لها خصائص الاصلاح وسماته ٠

٣ — الالتفات الى دور الاسلام ورجاله فى حركات المقاومة والتحرير منذ وطئت جيوش الاستعمار فلم يسلم من المقاومة الباسلة فى كل بلد دخله وأريقت الدماء وسقط الشهداء ولم تزل المقاومة على مر الزمن حتى كان التحرير وكان العلماء والدعاة وراء هذا الجهاد ضد المعتدين بريطانيا كان أو فرنسيا أو ايطاليا أو أسبانيا أو غير ذلك وقد شهد بذلك مؤرخون غربيون مثل " برنارد لوسيف "وغيره(١)

* وعلى الداعية أن يعى الحقائق الآتية :

١ — ليس كل ما تحويه كتب التاريخ صحيحا مائة فى المائة فكم بها من تشويهات ومبالغات وتحريفات تكذبها الحقائق الثابتة بالأدلة الناصعة والاستقراء والموازنة فى مصادر أخرى ، وكم لعبت الأهواء والعصبيات السياسية والدينية والمذهبية دورها ، فى كتابة التاريخ ورواية وقائعه وتلوين أحداثه وتصوير أبطاله ايجابا وسلبا ، وخصوصا اذا علمنا أن التاريخ يكتبه عادة المنتصرون الغالبون ، وللغلبه بريقها التى تعشى أعين المؤرخين عن سوءات الغالبين فى حين تضخم أخطاء المغلوبين وتطمس فضائلهم عن قصور أو غفلة ٠

---

(١) أنظر فى كتابه للغرب والشرق الأوسط (ترجمة) د ٠ نبيل صبحى ص نقلا عن بحث القرضاوى ص ٧٠ ٠

واذا نظرنا الى أمثل عصور الاسلام " تاريخ العصور الأولى التى انتشر فيها الاسلام " وجدناه قد ظلم وشوه فيأخذ المعاصرون من تلك الكتب بحجرها وبجرها ويقولون نحن على الطريقة العلمية فصدرنا الواقدى أو الطبرى أو ابن الأثير .. الخ . جزء كذا ، صفحة كذا ، طبعة كذا ، وهكذا يصنع المستشرقون وأساتذة التاريخ فى الجامعات والذين يكتبون عن التاريخ فى المجلات وغيرها — ولم يدرسوا كيف كتب تاريخ تلك العصور ، لنأخذ مثلا تاريخ الطبرى الذى هيمن عليه التجميع دون الانتقاء أو التمحيص للأسانيد والوقائع المروية وعذره فى ذلك أمران :

— أنه يروى الحوادث بسندها الى من رواها ، ويرى أنه برئ من المهده اذا ذكر السند وقد قيل (من أسند فقد حمل — أى حمله البحث فى سنده ، ولهذا قال الطبرى فى مقدمة تاريخه " فما كان كتابى هذا مما يستنكره قارئه أو يستثنيه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها فى الصحة ولا معنى فى الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت ذلك من قبلنا وانما أتى من قبل بعض ناقليه الينا وانما أدينا ذلك على نحو ما أدى الينا)[1] ، فكما حمل الرواه التهمة حمل الدارس كذلك ان يفتش عنهم فى كتب الرجال ومصادر الجرح والتعديل وسيجد عددا منهم ساقطا بالمرة وآخر مختلفا فى توثيقه وتضعيفه وعددا آخر من الثقات المقبولين ، فالواقدى كذبه جماعة من أئمة الحديث ، وهشام بن محمد الكلبى وأبوه متهمان بالكذب ، وأبو مخنف لوط بن يحيى تالف محترف ، وسيف بن عمر التميمى كان يضع الحديث واتهم بالزندقة وضعفه غير واحد ، وغيرهم كثير من المجروحين والمتروكين ، فلهذا لا يقيم المحققون وزنا لروايات الأخباريين ، قال السيوطى : "لأن الغالب عليهم الاكثار والتخليط فيما يروونه "[2]

---

(١) تاريخ الطبرى ١ ص ٢٥ .

(٢) التدريب على التقريب للسيوطى ٢ ص ٢٠٧ نقلا عن بحث د . القرضاوى ص ٧٢ .

وعذر الطبرى فى عدم تمحيص ما رواه أنه لا يترتب عليه حكم شرعى من تحليل أو تحريم ونحو ذلك ، وليس له صلة بكلام الله ورسوله فى التفسير والحديث . وغفر الله له هذا التساهل الذى شوه فجر الاسلام ، وقد قام القاضى أبو بكر بن العربى بالدفاع عن الصحابة وتحقيق مواقفهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فى كتابه القيم (العواصم من القواصم) وقد أخرج الجزء الخاص منه بالصحابه وعلق عليه : محب الدين الخطيب رحمه الله وجزاهما عن الاسلام خيرا .

— كما يتنبه الداعية لما يتعرض له التاريخ من التشويه والتحريف فى تدوينه ، ففى عصرنا هذا يتعرض للأهواء والعصبيات والتيارات الفكرية فى تفسيره وتوجيه وقائعه .

فالمستشرقون فى الغالب يبحثون فى التاريخ ليبنوا فكرة أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس برسول الله ، والاسلام ليس بدين الله ، وأن أصحابه ليسوا الا مغامرين فى سبيل الدنيا — واذا كان هذا رأيهم فى الصحابة فكيف من بعدهم — لا دين عندهم الا اليهودية والمسيحية ، والاسلام نسخة محرفة منهما ، ولا عقرية عندهم الا للغربيين ، ولا حضارة الا لليونان والرومان والمسلمون نقلة لهما — ويغفلون أحداثا قيمة كفتوحات أسبانيا وغيرها ، كأسباب الحروب الصليبية ، ويضخمون أحداثا تافهة وكاذبة ويعتمدون أخبارا ضعيفة من أى كتاب ، ولو كان الأغانى للأصفهانى .

والماركسيون يفسرون التاريخ تفسيرا ماديا (وفقا لفلسفتهم) ويحاولون تطبيق ذلك على نشأة الاسلام وظهوره وانتشاره ، ويعتسفون ذلك ، ويحملون الأحداث ما لا تحتمل ، ويقسمون الصحابة الى يمين ويسار ، ويديرون صراعا موهوما بينهما .

وكذا من كتاب المسلمين يخلصون على حوادث التاريخ الاعيب السياسة ويتخيلون العلاقة بين عمروخالد أو بين عثمان وعلى أو بين على وطلحة والزبير ، من أمثال العلاقة بين الطامحين من رجالات الأحزاب وتجار السياسة فى عصرنا .

والقوميون العرب يوجهون التاريخ كله وجهة قومية ، فالاسلام — فى نظرهم — وثبة من وثبات العبقرية العربية ، ورسول الاسلام ذاته بطل قومى ، جادت به أمة العرب على الانسانية والحضارة الاسلامية — حضارة عربية — ورجال الاسلام وعلماؤه على مدار التاريخ أبطالا عربا .

ولا ننكر أن العرب هم عصبة الاسلام الأولى ، وفيهم بعث خاتم النبيين ، وبلسانهم نزل الكتاب الخالد وفى أرضهم الحرمين ، ولكن هذا شيء ، وتحريف التاريخ شيء آخر — فالاسلام له مميزاته وأرضه وشعوبه وأهدافه وقيمه ونظمه وعالميته مما لا يخفى على أحد .

... ...

الثقافة الانسانيـة

لابد أن يلم الداعية الماما مناسبا بأصول ما يعرف الآن باسم العـــلوم الانسانية مثل علوم النفس والاجتماع والاخلاق ، وقد فصلنا القول فى التاريـخ وخصصناه بالذكر لأهميته الخاصة للداعية .

وهذا اللون من الثقافة الانسانية يحتاجه الداعية لعدة أسباب :

١ ــ أن له علاقة وثيقة بموضوع الدعوة ، بل موضوعهما واحد ، وهو الانســان فى الماضى أو الحاضر فردا كان أو جماعة مفكرا لنفسه أو مقلدا لغـيره ، الانسان منتجا أو مستهلكا .

٢ ــ ان الالمام بهذه العلوم يعين على فهم الناس ، وبخاصة الذين تثقفـوا بهذه العلوم وأصبحت جزءا من تكوينهم الفكرى ، والداعية مأمور أن يخاطب الناس على قدر عقولهم وأن يبين لهم بلسانهم ليفهموا عنه ، ولا يستطيع ذلك مالم يكن بينه وبينهم جسر مشترك من الثقافة ، يقرب المسافة ويزيـل الهوة أو الفجوة العقلية بين عالم الدين والمثقفين بالعلوم الحديثة .

٣ ــ ان لهذه العلوم فى كثير من الأحيان رشحات ضارة على الثقافة المعاصـرة وسموما تتفشها فى شتى المجالات لا يكاد يسلم منها كتاب أو مجلـــة أو صحيفة أو اذاعة أو غيرها ــ ومن لم يعرف مصادر هذه الرشحـــات والسموم لم يستطع أن يقاومها بأسلوب علمى رصين بل لعلها تتسلل الـى نفسه وتؤثر فى فكره وقلبه ولسانه وهو لا يشعر ، ولهذا قيل : عرفـت الشر لا للشر ولكن لتوقيـه .

* تنبيهات لدارس العلوم الانسانية

١ ــ ان هذا اللون من العلوم (مهما قيل فيه) يخضع لكثير من التفسيرات تبعا

للمدارس المختلفة وتبعا لتفكير الدارس وثقافته واتجاهه .

٢ — أنها تنسوب اليها اسرائيليات حديثه كما تسربت الى كتبنا من قبل الاسرائيليات القديمة ، اسرائيليات مثل فرويد فى علم النفس ودوركايم فى علم الاجتماع وماركس فى الاقتصاد .

٣ — موضوعها ليس المادة الجامدة بل الانسان المتحرك المتغير فالاستنتاج الظنى له مجال فسيح ، ولذا تنقض اليوم ما أبرمته بالأمس ، وتنقض فى الغد ما تبرمه اليوم ، وينفى فيلسوف ما يبالغ غيره فى اثباته وتأكيده وتهدم مدرسة ما بنته أخرى .

٤ — أن عرض المادة العلمية — ولو كانت سليمة لاغبار عليها — يتأثر بعقيدة صاحبها وفكرة وثقافته وتؤثر بالتالى فى قارئها ، وهذا واقع فى عرض العلوم البحتة كالفيزياء والأحياء وغيرها ، فالمادى يقول : خلقت الطبيعة ، والمؤمن يقول : خلق الله — فكيف بالعلوم الانسانية — فمن المهم أن تقدم هذه العلوم لطلاب الدعوة بأقلام اسلامية مأمونة لا يخشى من تأثير الغزو الفكرى والاسرائيليات الحديثة على عقولها .

علم النفس

لا أريد بعلم النفس ما كان من أجزاء الفلسفة أو مدرسة التحليل النفسى والنظريات التى لا دليل على صحتها — انما أريد علم النفس التجريبى الذى انتهت اليه الدراسات النفسية الحديثة وقام على أساس الملاحظة والتجربة والقياس والاختبار ، ويطبق على البشر لا على الورق ، ويعتمد على الرياضيات والأرقام لا على مجرد التأمل والافتراض ، وعلم النفس بهذا المفهوم يفيد الداعية فى أكثر من جانب :

١ — فى بيان الآثار الطيبة والثمار النافعة للايمان والتدين فى نفسية صاحبه وسلوكه فى الحياة يقول د . هنرى لنك فى كتابه : العودة الى الايمان الذى طبع قبل سنوات ٤٧ مرة فى أمريكا وقد أجرى أكثر من ثلاثة وسبعين ألف (٠ ٠ ٠ر٧٣) اختبار نفسى على عشرة آلاف نفس خرج بنتيجة هامة هى (ان كل من يعتنق دينا أو يتردد على دار العبادة يتمتع بشخصية أقوى وأفضل ممن لادين له ، ولا يزاول أية عبادة ، وفى كتاب / الرجل العصرى يبحث عن روح / يقرر الدكتور : كارل يونج أنه لم يجد مشكلة واحدة من مشكلات أولئك الذين بلغوا منتصف العمر لا ترجع فى أساسها الى افتقار الايمان والخروج على تعاليم الدين ، ولم يبرأ واحد من هؤلاء المرضى الا حين استعاد ايمانه واستعان بأوامر الدين ونواهيه على مواجهة الحياة — ويكفى هذا ردا على الذين يزعمون أن الدين أفيون مخدر للشخصية الانسانية ، يقول الفيلسوف الأمريكى الشهير (وليم جيمس) " أن أعظم علاج للقلق ولاشك هو الايمان " ، وينقل د . بل كارينجى عن الدكتور : أ . أ . بريل ، قوله : " ان المرء المتدين حقا لا يعانى مرضا نفسيا قط ، ويعقب على ذلك كارينجى بقوله " وعندى أن أطباء النفس ليسوا الا وعاظا من نوع جديد فهم لا يحضوننا على الاستمساك بالدين توقيا لعذاب الجحيم فى الدار الآخرة فحسب ، وانما يوصوننا بالدين توقيا للجحيم المنصوب فى هذه الدنيا ، جحيم قرحات المعدة والانهيار العصبى والجنون ٠ ٠ ٠ الخ ٠

٢ — انه يفيد فى فهم كثير من النصوص الدينية والتعبير عنها تعبيرا يلائم عقلية العصر وروحه ، فقوله تعالى : " قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا "(١) يدلنا على أن التفكير النافع الجدير بأن يوصل صاحبه الى الحق هو تفكير الانسان مع رفيق له أو وحده بعيدا عن تأثيرات العقل الجمعى وايماءاته التى كثيرا ما تجرف الانسان

---

(١) سورة سبأ آية ٤٦ ٠

عن الصواب والاتزان وهذا ما يقرره علم النفس ، وقوله صلى الله عليه وسلم (لا يقضى القاضى وهو غضبان)[١] يشير الى الانفعال وتأثيره وخصوصا اذا اشتد على سلامة الادراك وصحة التفكير وهو ما يقرره علم النفس .

٣ — يزيد الداعية فهما لأسرار كثير من الأحكام الشرعية فيزداد ايمانا بكمال عدل الله وحكمته فيما شرع — ويكون أقدر على بيان ذلك لغيره من الناس ، فقوامة الرجل على المرأة لم يكن محاباة لجنس الرجال ولا حيفا على جنس النساء — كيف والله خالق الذكر والأنثى جميعا وهو ربهما ، يقول الدكتور يوسف مراد : " كثير من البحوث التى استخدم فيها مقاييس التقدير الذاتى للشخصية والتى طبقت على مجموعة من الذكور والاناث الكبار تبين أن هناك فروقا بين الجنسين فى النواحى الانفعالية ، ومما يمثل هذه الدراسات ، بحث للتقدير الذاتى بمقاييس (برنورويتر) وكان من نتائج تطبيقه أنه تبين أن الرجال بالتأكيد أكثر ثباتا من النساء وانهم أقل تعرضا للأعصاب وأكثر اعتمادا على أنفسهم وأقل انطواءا وأكثر سيطرة وأكثر ثقة فى أنفسهم من النساء "[٢].

٤ — يعين الداعية على فهم نفسية من يدعوه من الأفراد أو الجماعات ودراسة اهتماماتهم وما تؤثر فى نفوسهم ليخاطبهم على قدر عقولهم ويعطيهم بقدر ما يقبلون ويطيقون دون أن ينفرهم أو يثقل عليهم أو يجلب لهم الملل والسآمة ، قال صلى الله عليه وسلم (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)[٣].

... ...

---

(١) رواه البخارى ومسلم ٣ ص ١٣٤٣ ولفظه (لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان).
(٢) ميادين علم النفس ٢ ص ٦٠٦ ، ٦٠٧ نقلا عن بحث د. القرضاوى ص ٨٣ .
(٣) رواه الشيخان عن أنس . صحيح مسلم ٥ ص ١٤١ ، فتح البارى . ١ ص ٥٢٤ .

علم الاجتماع

العلم الذى يعنى بدراسة المجتمع البشرى فى مختلف جوانبه ويعمل على تحليل ظواهره والكشف عن القوانين التى تحكم مسيرته ، والغربيون ينسبون تأسيس هذا العلم الى (أوجست كونت) الفيلسوف الفرنسى ويسمونه — أبا الاجتماع — جاهلين أو متجاهلين الوثبات التى حققها العلامة عبد الرحمن بن خلدون فى هذا العلم كما يلاحظ ذلك بوضوح من دروس — مقدمته — الفذة فى فلسفة التاريخ .

ولهذا العلم مدارس عديدة واتجاهات متباينة ولكل منها مناهجه فى البحث والتحليل من المنهج التاريخى الى التطورى والمقارن والوظيفى والصورى أو النظرى الى ما جد ويجد من مناهج يعلمها الله وحده — قال أحد النقاد عن علم الاجتماع : انه علم ذو أكبر عدد من المناهج وأقل عدد من النتائج — ويحسن بالداعية أن يطلع على نبذة من أصول هذا العلم وأهم مقرراته وأحدث ما انتهى اليه رجاله .

فكثيرا ما يتخذ بعض ما يحويه هذا العلم سلاحا لضرب الدين وتعويق دعوته من مثل ما سماه كونت (قانون الدورة الثلاثة الذى يقضى بأن دور الدين قد انتهى كما انتهى دور الميتافيزيقا الفلسفية ، ولم يبق الا دور العلم التجريبى وما قرره غير كونت : من اعتبار الدين ظاهرة اجتماعية ، وتفسير كل دعوات الأنبياء على أنها من صنع البشر ، وما قرره دركايم أن الفرد دمية يحرك خيوطها المجتمع ، مما يتنافى مع المسئولية الفردية التى يؤكدها الدين ويقيم عليها بناء التكليف وفكرة الثواب والعقاب .

ومن الضرورى أن تعرض أسس هذا العلم من منطلق فكرى منسجم مع العقيدة ونظرة الاسلام الى الدين والحياة والانسان والتاريخ حتى يتخذ وسيلة

لفهم أوضاع المجتمع ودراسة مشكلاته دراسة علمية ومعرفة أسباب المشكلة ومحاولة علاجها علاجا جذريا لا مسكنا .

الفلسفة والمنطق والأخلاق

يحسن بالداعية أن يلم بالفلسفة وعلم الأخلاق ، ويعرف اتجاهات الفلسفة المادية والروحية والوضعية والمثالية ، لا ليعتنق آراء الفلاسفة أو يتهين وجهة نظرهم فى الالهيات أو الأخلاقيات أو الاجتماعيات ولكن يستفيد من الماما بذلك نواحى أخرى منها :

١ — فهم الأفكار والفلسفات التى غزت كثيرا من عقول أبناء المسلمين اليوم وأصبح لها دعاة من أساتذة الجامعات ورجال الأدب والثقافة والاعلام — فهذا تطورى وآخر وضعى وثالث ماركسى ورابع وجودى الى غير ذلك من المدارس الغربية أو الشرقية الواقعية أو المثالية اليمينية أو اليسارية ، تختلف اتجاهاتها وتتفق على رفض الاسلام ، ولا يقبل أحد منا السكوت على هذه الأفكار والفلسفات — على طريقة العامة المعروفة — وهى تغزونا فى عقر دارنا وتأسر اليها أبناءنا — فلا نستطيع مقاومتها فكريا مالم نحسن فهمها وتصورها ، وقد قيل : الحكم على الشىء فرع من تصوره .

٢ — أن يتمكن الداعية من الرد على الفكر المخالف للاسلام بسلاح الفكر نفسه وهذا ما فعله الغزالى فى كتابه — تهافت الفلاسفة — وشيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه — الرد على المنطقيين — وكتاب موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول — فلولا هضمهما للأفكار الفلسفية ما استطاعا نقضها من القواعد ، وهذا ما يجب أن يضعه كل داعية للاسلام مع الأفكار الواحدة الهدامة بمعرفة الأصول والمنابع لكثير من التيارات والمذاهب الفكرية الحديثة وينقدها نقدا علميا كما يعرف التحريفات التى دخلت على الأديان الكتابية ذاتها كالتثليث والصلب والفداء والبنوة لله وتصور

اليهود عن الله بالفقر والعجز والتعب والنسيان واتهام الأنبياء بالموبقات ، ويطلع على تخبطات الفكر الانسانى فى الغيبيات الذى قال عنها (كانت) فى نتائج البحوث العقلية الميتافيزيقية (انها أشبه بورق نقد بغير ضمان .

٣ — أن ينتفع الداعية الى الله بما يجده من نتاج العقل وثمار الحكمة مؤيدا لما معه من حق خالص جاء به الوحى فيزداد ايمانا بما هدى اليه من وحى الله فيستريح ويريح ، قال تعالى : (قل ان هدى الله هو الهدى)(١) وفى الحديث : (الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها) رواه الترمذى وابن ماجه ولا عجب ان يتفق العقل والنقل ويلتقى نور الفطرة السليم بنور الوحى الصادق لأن الكل من آثار رحمة الله بعباده وآثاره لا تتناقض فان بدا لنا شىء من التناقض بين العقل والنقل فلابد أن يكون النقل غير صحيح أو العقل غير صحيح ، ومن المهم جدا (كون هذا العلم) مأمون المخاطر والزلل يتميز بالنضج والايمان العميق بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق والتحرر من سيطرة أى فكر غازى دخيل .

علم الاخلاق

علم الأخلاق بنظرياته المختلفة ومدارسه المتعددة ، هو جزء من الفلسفة وليس علما كما زعم (ليفى برول) من فلاسفة المدرسة الاجتماعية الفرنسية — لأن العلم يبحث عن ما هو كائن ، وهذا يبحث عما يجب أن يكون وموضوعه احدى القيم الرئيسية الثلاث التى تتشدها الفلسفة وهى الحق والخير والجمال وتختص فلسفة الأخلاق بالبحث عن الخير كما هو معلوم .

ومن أفضل ما كتب فى ذلك :

١ — الدين — للدكتور محمد عبد الله دراز .

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٠ .

٢ ــ الجانب الالهى من التفكير الاسلامى ٠

٣ ــ الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ٠

٤ ــ تهافت الفكر المادى التاريخى ــ للدكتور محمد البهى ٠

٥ ــ قصة الايمان بين الدين والعلم والفلسفة ــ لنديم الجسر ٠

٦ ــ التفكير الفلسفى فى الاسلام ــ للدكتور عبد الحليم محمود ٠

٧ ــ نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ومناهج البحث عند مفكرى الاسلام ــ للدكتور على سامى النشار ٠

٨ ــ المرشد السليم فى المنطق القديم والحديث ــ للدكتور عوض الله حجازى ٠

... ...

الثقافة العلمية التجريبية

ولسنا نعنى هنا مدلول أهل اللغة أو المنطق أو الكلام أو الاصطلاح القديم ، انما نعنى المفهوم الاصطلاحى الحديث الذى شاع عند الغربيين ونقله الينا الناقلون من أهل العربية وهو : ما قام من المعارف على الملاحظة والتجربة وخضع للقياس والاختبار مثل علوم الفيزياء والكيمياء والأحياء — النبات والحيوان — والجيولوجيا والفلك والتشريح والطب وغيرها .

ولا نريد للداعية أن يتعمق فى دراسة هذه العلوم فان هذا غير مقدور له فالطاقة أقل والعمر لا يتسع والمعارف لا تنتهى أو تقف عند حد ...

انما نريد أن يطالع بعض الكتب الميسرة فى ذلك المجال مما يعد لغير المتخصصين ، وكذلك المقالات العلمية التى قد تنشر ليقرأها جمهور المثقفين ، فى بعض المجلات — والمفروض أنه واحد من المعنيين بهذه الأبحاث — وذلك بعد أن يكون قد درس الأصول المهمة من هذه العلوم فى المرحلتين الاعدادية والثانوية دراسة تمكنه من متابعة الفكر العلمى ولو بقدر مقبول فيما يجد من المكتشفات .

والثقافة العلمية مهمة فى عصرنا للمثقفين عامة وللدعاة خاصة وذلك للأسباب الآتية :

١ — انها مهمة لفهم الحياة المعاصرة ، والعلم هو المحرك لكثير من أمورها وفى بيوتنا الكهرباء والأجهزة الحديثة والأدوات العصرية حتى المسجد نفسه ، نجد فيه ساعة جدارية ومكبرات للصوت ، وقد نجد فيه أجهزة للتسجيل وكلها من انتاج العلم الحديث .

ولا يحسن بالداعية أن يعيش فى دنيا يسيرها العلم ويدير رحاها ، ولا يدرك الأوليات والأساسيات لهذا العلم .

٢ — أن بعض ما يعزى الى العلم — وتحتويه كتبه ومقرراته يتخذ وسيلة للتشكيك فى الدين مثل نظرية النشوء والارتقاء فى الكائنات الحية ، وتعرف بنظرية التطور لدارون وغيره ، فلابد من معرفة شيء عن هذه النظرية وقيمتها من الناحية العلمية ، حتى يمكن للداعية اتخاذ موقف محدد منها ، بناء على دراسة صحيحة ، لا على خيالات أو اشاعات والحكم للشيء أو عليه فرع تصوره .

٣ — من الحقائق العلمية ما يمكن للداعية استخدامه فى تأييد الدين وتوضيح مفاهيمه ونصرة قضاياه والذب عنه ، بدفع شبهات خصومه ومفتريات أعدائه وذلك يبدو فى عدة صور منها :

أ — تقريب بعض المعتقدات والحقائق الدينية من أفهام أهل العصر وتأييدها بمنطق العلم التجريبى نفسه ، والمؤمن الواعى يستطيع نظم أدلة لاثبات وجود الله تعتمد على الفكر الحديث ، كما يستطيع أن يدحض الشبهات الكثيرة بعد دراسة حسنة للعلوم العصرية من رياضيات وفلك وفيزياء وكيمياء واحياء وطب وغيرها كما هو واضح فى كتاب اكريس موريسون (الانسان لا يقوم وحده) والمترجم الى العربية تحت عنوان (العلم يدعو الى الايمان) ، وكتاب الله يتجلى فى عصر العلم لثلاثين عالما من قمم العلم فى أمريكا فى الوقت المعاصر وكتاب مع الله فى السماء للدكتور أحمد زكى .

وكان الفلاسفة قديما ، ينفون أن يرى الانسان عمله فى الآخرة بعد أن فرغ منه فى الدنيا لأن الأعمال أعراض والعرض لا يبقى زمانين ، فقوله تعالى : (يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم)(١) وقوله : (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء)(٢)

---

(١) سورة الزلزلة آية ٦ .
(٢) سورة آل عمران آية ٣٠ .

الآية وما شابهها من آيات فسرها القدامى بأن المراد بالأعمال جزاؤها فجاء العلم الحديث يثبت أن أقوال الانسان وأعماله كلها موجودة فى الفضاء ، وانها يمكن أن تسجل وتصور وتبقى ولو بعد حدوثها بزمن طويل وان لم يوفق الانسان لاختراع آلة تقوم بهذه المهمة حتى الآن ، ولكن العلم لا ينفى امكانها . ومعنى هذا أن كل لنسان يمكن أن يواجه ، بقوله وعمله طيلة حياته فى صورة — فيلم — تسجيلى ناطق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، وبهذا يرى عمله حقيقة لا مجازا .

ب — يستطيع العلم بمكتشفاته أن يؤكد كثيرا من الأحكام الشرعية ببيان ما اشتملت عليه من جلب المصالح للناس ودرء المفاسد عنهم ، وبذلك يزداد الذين آمنوا ايمانا ويعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق ويضعف جانب المرتابين والمشككين فى كمال الشريعة الاسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، فعلم الطب بقدرته أن يعطينا صورة لما تجنيه أم الخبائث (الخمر) على شاربيها ومدمنيها من أضرار جسيمة على الأفراد والأسر والمجتمعات ماديا ومعنويا يفيدنا كثيرا اذ تتكشف من مدارسته حكمة تحريم الخمر فى الاسلام ، ولعن كل من شارك فى صنعها ونشرها بالاتجار والتقديم وكذلك المخدرات والتدخين ، يضر متناوله عاجلا أو آجلا زيادة على الضرر الخلقى والنفسى والاجتماعى ، وكذلك ما يسببه انتشار الزنى من أمراض تناسلية وغيرها للجنسين بالاضافة الى آثاره السيئة على الانسان والأخلاق والأسر والمجتمع كل ذلك يفسر ويؤكد معنى قوله تعالى : (انه كان فاحشة وساء سبيلا)[1] .

وتبين علوم الأحياء والطب ووظائف الأعضاء وغيرها ، حقيقة الفوارق الفطرية بين الذكر والأنثى — الرجل والمرأة — وأن تجاهل هذه الفوارق الطبيعية فى التشريع والتربية والتعليم والتوجيه

---

(١) سورة النساء ٢٢ .

لا يعقب الا أسوأ النتائج ولابد لكلا الجنسين من عمله اللائق به ، وثقافته الملائمة لوظيفته فى الحياة ، وبهذا يتلاقى منطق العلم مع منطق الدين والفطرة السليمة ، يقول الدكتور الكسيس كاريل فى كتابه — الانسان ذلك المجهول — ان ما بين الرجل والمرأة من فروق ليست ناشئة عن اختلاف الأعضاء الجنسية وعن وجود الرحم والحمل واختلاف طريقة التربية ، وانما تنشأ عن سبب جد عميق وهو تأثر العضوية بكاملها بالمواد الكيماوية ومفرزات الغدد التناسلية ... فكل خجيرة فى جسمها تحمل طابع جنسها وكذلك الحال بالنسبة الى أجهزتها العضوية — ولاسيما الجهاز العصبى ، وأن القوانين العضوية — الفيزيولوجية — كقوانين العالم الفلكى لا سبيل الى خرقها ، ومن المستحيل أن نستبدل بها الرغبات الانسانية ونحن مضطرون لقبولها كما هى . فالنساء يجب أن ينمين استعداداتهن فى اتجاه طبيعتهن الخاصة ، دون أن يحاولن تقليد الذكور فدورهن فى تقدم المدنية أعلى من دور الرجال ، فلا ينبغى لهن أن يتخلين عنه ..

ويغفل الناس عادة شأن وظيفة الولادة بالنسبة الى المرأة مع أن هذه الوظيفة ضرورة لكمال نموها ، ولذلك كان من الحمق صرف المرأة عن الأمومة فلا ينبغى أن يتلقى الفتيات والفتيان ثقافة واحدة ولا أن يكون لهم أسلوب واحد فى الحياة ، وعلى المربين أن يعتبروا الفروق الجسمية والعقلية بين الذكر والأنثى ، فبين الجنسين فروق لا يمكن أن تزول ، ومن الواجب اعتبارها فى بناء العالم المتمدن .

جـ — استخدام حقائق العلم الحديث لتأييد حقائق الدين وذلك بتعميق مدلولات بعض النصوص ، ففى قوله تعالى عن النحل : (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس)(١) ، فان علوم الأحياء

---

(١) سورة النحل آية : ٦٩ .

أو الكيمياء والطب والصيدلة والأغذية والزراعة تحدثنا بخبرة وعمق عن عسل النحل وألوانه وما فيه من شفاء ، وفيم يكون وكيف يكون ؟

وفى قوله تعالى : (انا كل شيء خلقناه بقدر) (١) (خلق كل شيء فقدره تقديرا) (٢) ، أمكن للعلم بشتى فروعه أن يفيض فى بيان دقة التقدير فى كل ما خلق الله فى الكون ، فحجم الكرة الأرضية وبعدها عن الشمس بمسافة محددة ودورانها حول نفسها بسرعة معينة وبعد القمر عنها بمسافة محددة كذلك استمالها على كمية المياه فى بحارها ومحيطاتها بهذا المقدار ، ووجود الغازات فيها بنسب ومقادير معلومة وغيرها وغيرها .. كل ذلك يدل على روعة التقدير الالهى وعظمته وشموله لكل ما فى الكون من مخلوقات ، وبهذا يعمق العلم فى قلوبنا وعقولنا معنى النص القرآنى فنزداد به هدى ويقينا ، ونحو ذلك .

د — بيان سبق القرآن بكثير من الحقائق التى كشف عنها العلم الحديث ، فبعض العلماء أفرط فى ذكر ذلك وبعضهم منع ، وآخرون اعتدلوا ، فلستخدموا النص بتحفظ وهذا ما أراه .. فلا نتعسف التأويل أو نخرج الألفاظ والتراكيب عن مدلولاتها أو نحمل النصوص على نظريات لم تصح حقائق علميه — ومن استخدم العلم فى بيان سبق القرآن الشيخ العلامة رشيد رضا رحمه الله فى تفسير المنار وفى بعض كتبه كالوحى المحمدى حيث يتحدث فيه عن معجزات القرآن الفلكية والطبيعية ونحوها فيقول (وأما أخبار القرآن عن عالم الغيب المادى من تكوين وتاريخ فمن معجزاته الايجابية أنه جاء فيه كثير من التعبيرات التى كشف العلم والتاريخ فى القرون الأخيرة من معانيها مالم يخطر فى بال أحد من أهل العصر الذى نزل فيه ، ومن معجزاته السلبية أنه لم يثبت على توالى القرون بعد نزوله شيء قطعى ينقض شيئا من

---

(١) سورة القمر آية ٤٩ .
(٢) سورة الفرقان آية ٢ .

أخباره القطعية ، على أن أخباره هذه انما جاءت لأجل الموعظة والعبرة والتهذيب ويكفى فى مثل هذا أن تكون الأخبار على المألوف عند الناس ولا ينتقد عليها اذا لم تشرح الحقائق الفنية والوقائع التاريخية ، لأنها ليست مما يبعث الرسل لبيانه ، ومنها مالا يمكن الوقوف عليه الا بالتعمق فى العلم أو الاستعانة بالآلات التى لم تكن معروفة عند المخاطبين الأولين بالوحى بل لا يصح أن يأتى فيها ما يجزمون بانكاره بحسب حالتهم العلمية لئلا يكون فتنة لهم ولقد قال نبى الانسانية (أنتم أعلم بأمور دنياكم) رواه مسلم فى صحيحه (١) ، ومن دقائق تعبير القرآن فى النوع الأول (التكوين التى اختلف فى فهمها الناس ، ان مادة الخلق — دخان — وهو عين ما يسمى السديم ، وأن السموات والأرض كانتا رتقا أى مادة واحدة متصلة ففتقهما الله وجعل كلا منهما خلقا مستقلا وبث فيهما أنواع الدواب ، ولم يكن أحد يعتقد أو يتصور أن فى شىء من هذه الأجرام السماوية حيوانا وانه جعل من الماء كل شىء حى وانه خلق جميع الأحياء النباتية والحيوانية أزواجا فجعل فى كل منهما ذكرا وأنثى وأنه جعل كل نبات موزونا يعنى أن عناصره متوازنة على نسب مقدرة ، وانه أرسل الرياح لواقح ، وأنه يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل والتكوير هو اللف على الجسم وهو صريح فى كروية الأرض ودورانها اللذين كانا موضوع الجدال والنضال بين العلماء الى عهد قريب بعد الاسلام وأمثال هذا فيه كثير ، حتى أن بعض آياته فى الشمس والقمر والنجوم وسبحها فى أفلاكها وجريانها الى أجل مسمى ، وفى تناثر الكواكب عند خراب العالم لا تفهم فهما صحيحا الا فى ضوء علم الفلك الحديث (٢) .

---

(١) الوحى المحمدى محمد رشيد رضا ص ٢٠٧ — ٢٠٨

ان الداعى الى الله الذى يحسن استخدام حقائق العلم فى المجالات التى ذكرناها يجد طريقه الى أذهان الناس وعواطفهم سهلا ممهدا ويقع كلامه من نفس المثقفين المعاصرين موقع القبول وحسن التأثير ، ولعل هذا من أظهر الأسباب وراء نجاح بعض الدعاة المرموقين فى عالمنا العربى والاسلامى اليوم .

... ...

الثقافة الواقعية

وهى من أهم ما يلزم الداعية من ألوان الثقافة غير ما تقدم ، ونعنى بها الثقافة المستمدة من واقع الحياة الحاضرة ، وما يحدث فى دنيا الناس الآن داخل العالم الاسلامى وخارجه . فالداعية مع استيعابه لكل ما تقدم من علوم اسلامية وانسانية وتجريبية يجب أن يعرف عالمه الذى يعيش فيه ، وما فيه من مذاهب ونظم وعوامل وتيارات وقوى ، وما يعانى أهله من متاعب وبخاصة وطنه الاسلامى الكبير من المحيط الى المحيط بآلامه وآماله وأفراحه ومآسيه ومصادر قوته وعوامل ضعفه ، وكذا وطنه الصغير وما فيه من صراعات وأفكار وقضايا ، نعم ان الداعية لا ينجح فى دعوته مالم يعرف من يدعوهم وكيف يدعوهم وماذا يقدم وماذا يؤخر ولهذا أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا لما أرسله الى اليمن فقال له (انك تأتى قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم اليه : شهادة أن لا اله الا الله ...) الحديث ومعنى هذا أنهم لو كانوا مجوسا أو ملاحده أو نحو ذلك لكان عليه أن يدعوهم بطريقة أخرى .

ومن هنا يجب على الداعية فى عصرنا أن يدرس الآتى :

١ ـ واقع العالم الاسلامى : بمعرفة خلاصة مركزة عن أوضاعه الجغرافية والاقتصادية والسياسية ، وتوزيع سكانه وأسباب تخلفه وتفرقه ، وعوامل تقدمه ووحدته وامكانات تكامله اقتصاديا ، وتضامنه سياسيا وعسكريا فضلا عن تقاربه اجتماعيا وثقافيا ، ويلقى الضوء على فكرة ـ الجامعة الاسلامية ـ أو الكتلة الاسلامية أو التضامن الاسلامى باعتباره خطوة فى طريق " الخلافة الاسلامية " ـ وكذا مشكلة الأقليات والأكثريات الاسلامية المضطهدة فى الفلبين وقبرص وارتيريا فى الحبشة والاتحاد السوفييتى وأوربا الشرقية ـ ألبانيا ويوغسلافيا ـ وفى الصين والهند .

٢ـ واقع القوى العالمية المعادية للاسلام :ـ وتتمثل فى المثلث الرهيب ـ اليهودية العالمية ـ الصليبية العالمية ـ الشيوعية الدولية ـ وهى قد تختلف فيما بينها لكنها متفقة علينا . لابد من دراسة الأسباب فى كيدها لنا : الحقد . الطمع . الخوف . الاستعلاء ... الخ . وسائلها فى حربنا : الحرب السياسية والاقتصادية والفكرية ، خطورة الحرب الأخيرة وأساليبها وأجهزتها ، التبشير : مؤسساته وامكاناته الهائلة ، الغارة النصرانية على العالم الاسلامى ، الصراع بين الاسلام والتبشير فى افريقية ، التخطيط لتنصير أندونيسية أكبر بلد اسلامى ، محاولات التنصير فى العالم العربى ـ التعاون بين التبشير والاستعمار ، وأخيرا بين التبشير والشيوعية ، فيعرف الاستشراق : وسائله أهدافه ، اسهامه فى احياء التراث الاسلامى وكتابات المستشرقين ومدى علميتها ، المنصفون والمتحاملون من المستشرقين ، سموم الفكر الاستشراقى وآثارها فى عالمنا العربى والاسلامى وتلاميذ المستشرقين الغزو الشيوعى : عن طريق الخبراء والمساعدات والمؤسسات الثقافية والبعثات التعليمية والتدريبية الى البلاد الشرقية وتأييد الأحزاب الشيوعية فى الداخل بالتمويل والتوجيه ، المؤسسات المشبوهة ،

والماسونية وما تفرع عنها — خطرها وأساليبها الماكرة وتعلقها في الطبقات الأرستقراطية ، الغزو من الداخل : عن طريق العملاء وعبيد الفكر الغربي والأحزاب الموالية من ليبرالية ويسارية ، احتضان الفرق المنشقة على الاسلام كالبهائية والقاديانية وتأييد الحكام العلمانيين ... الخ . فينبغي هنا التنبيه على أمرين :

أ — عدم التهويل أو التهوين من شأن القوى المعادية ومخططاتها حتى لا نيأس من مقاومتها أو الاستهانة بها .

ب — الاستفادة من الصراع القائم بينها بذكاء واستغلال الفرص المناسبة لذلك كالصراع بين روسيا والصين ، وقد كان السلف يقولون : اللهم اشغل الظالمين بالظالمين واخرجنا من بينهم سالمين .

واقع الأديان والفرق المعاصرة

اليهودية :

توراتها المحرفة وتلمودها الرهيب ونظرته الى الخالق وأنبيائه ، والأمميين وانعكاس ذلك على الحركة الصهيونية وقيام اسرائيل .

المسيحية :

طوائفها وكنائسها المختلفة وما بينها من صراع ، محاولة التقارب بين بعضها والبعض الآخر ، محاولات تقربها من اليهودية ، وثيقة الفاتيكان بتبرئة اليهود من دم المسيح ، محاولات ما يسمى التقارب الاسلامي المسيحي وقيمتها .

الهندوكية الوثنية :

عقائدها وطوائفها ، موقفها من المسلمين .

الهوذيـة :

ومدى انتشارها في بلاد الشرق الأقصى ، وأثرها في حياة أتباعها .

ومن الفرق المعاصرة :

■ الرافضة (الشيعة الامامية) ، عقيدتها ، نظرتها لبعض الخلفاء والصحابة ، اتصالها باليهودية العالمية ، فرقها المختلفة ومـــدى انحرافها .

■ الأباضية : في عمان ، عقيدتها ، نظرتها في تاريخ الصحابة والخلفاء ، أحكامها المخالفة ومعرفة انحرافها . وكيفية الاصلاح

■ الباطنية : كالدروز والاسماعيلية والنصيرية وما اليها من فرق ، ومـدى انحرافها وعلاقتها باليهودية العالمية ومكانتها في التاريخ الماضي والحاضر ، ودرجة عدائها ، وهل يمكن اصلاحها .

واقع المذاهب السياسية المعاصرة

من شيوعية ورأسمالية واشتراكية وديمقراطية وديكتاتورية وتعدد مدارسهـا واختلاف تطبيقاتها ، نرى ذلك في النظرية الشيوعية الماركسية ومـــدى اختلافها في التطبيق (فلينين وخلفاؤه في روسيا ، غير ماو في الصـين وغير تيتو في يوغوسلافيا ، ثم ستالين ومن بعده خروشوف الى بريجنيف ، فقد عجزت الشيوعية عن تحقيق فلسفتها الخيالية في مساواة الدخول ، وزوال الدولة .. الخ).

■ الشيوعية في أحزاب أوربا الغربية : تخلى بعض زعمائها عن بعض المفاهيم الأساسية للماركسية كنظرية الصراع الطبقي ، موقف الشيوعية من الأديـــان

عامة والاسلام خاصة، موقفها من القيم الأخلاقية ، موقفها من الحريات .

■ الرأسمالية المعاصرة : ومدى مغايرتها للرأسمالية فى بداية نشأتهـــا ، الرأسمالية فى أمريكا وأوروبا واليابان ، آثار الرأسمالية الآن وموقفها من الديـــن والرأسمالية العلمانية ، معنى قيام أحزاب ديمقراطية .

■ الاشتراكية : وكثرة مدارسها واختلاف ما بينها من اصلاحية الى علميـة ، الجامع بين الاشتراكيات المختلفة ، الفرق ما بين الاشتراكية والشيوعيـــة ، الاشتراكية والدين ، معنى قيام أحزاب اشتراكية مسيحية فى أوروبـا .

■ الديمقراطية : معناها وأنواعها ، ادعاء الشيوعيين والرأسماليـــين والاشتراكيين لها ، ديمقراطية الصراع السياسى أو الاجتماعى أو التحالـــف السياسى ، أزمة الديمقراطية فى العالم .

■ الدكتاتوريـة : معناها وأنواعها، دكتاتورية الطبقة ، دكتاتورية الحـزب ، دكتاتورية الزعيم ، التجربة الفاشية والنازية ، الدكتاتورية فى عالمنا اليوم .

موقف الاسلام من هذه المذاهب :

الاسلام نسيج وحدة ، ما وافق الاسلام منها فى شىء خالفه فى أشياء ، تميز الاسلام عنها فى غاياته ووسائله ، خطأ اضافة الاسلام الى مذهب منها ، استغناء أمتنا بما عندها ، عن استيراد مذهب أجنبى عنها .. جناية الحلول المستوردة على أمتنا ، حتمية الحل الاسلامى .

واقع الحركات الاسلامية المعاصرة

الحركات الاقليمية ، الحركات العالمية ، الحركات الجزئية ، الحركـــات

الشاملة ، أهم هذه الحركات فى العالم الاسلامى : حركة الجماعة الاسلامية فى باكستان والهند ، حزب ماشومى فى أندونيسية ، الحركة الاسلامية فى تركيا (نجم الدين أربكان فى حزب السلامة الوطنى) ، جماعة التهليغ فى الهند والباكستان والعالم ، الاخوان المسلمون فى مصر والعالم العربى وهى كبرى الحركات الاسلامية الحديثة .

* الدعوة الاسلامية فى العالم الاسلامى : مؤسساتها ووسائلها ، المساجد ورسالتها وما ينقصها وما يمكن أن يقوم به مؤتمر رسالة المسجد ، المجلات الاسلامية ودورها ، معرض الكتاب الاسلامى ، الكتب الاسلامية ، مكانة المرشدون وطلبة العلم ، مكانة الجامعات والمعاهد الاسلامية ، وأهميتها ووظيفتها فى تخريج الشهاب وبنائهم الفكرى والثقافى ايجابيا وسلبيا ، دور رئاسة البحوث والافتاء والدعوة ووزارات الأوقاف التى عقدت لأجل الدعوة ، ودور المؤتمرات والشئون الاسلامية فى العالم الاسلامى الحسن والقبيح.

* الدعوة الاسلامية فى خارج العالم الاسلامى : فى آسيا وافريقيا ، فى أوروبا وأمريكا ، المراكز الاسلامية ، الجمعيات الاسلامية ، الاتحادات الطلابية ، المدارس الاسلامية ، أهمية التنسيق والترابط بين هذه المؤسسات ، الحذر من مؤامرات القوى المعادية عليها . وجوب مقاومتها من داخل العالم الاسلامى ماديا وأدبيا ، دور الأزهر الشريف ورابطة العالم الاسلامى وغيرها من المؤسسات فى نشر الدعوة ومعاونة دعاتها .

واقع التيارات الفكرية المعارضة للاسلام

ونعنى بها التيارات الموجودة داخل العالم الاسلامى مثل : التيار الليبرالى الموالى للمعسكر الغربى ويمثله كتاب وصحف ومجلات وأحزاب التيار القومى ، القومية العربية أو الطورانية والفارسية ونحوها وهو تيار علمانى أيضا ينادى بفصل الدين عن الدولة .

واقع الفرق المنشقة على الاسلام

وأبرزها وأخطرها ، البهائية والقاديانية . أما الأولى فهى دين جديد مخالف للاسلام كل المخالفة ، وأما الثانية فهى فرقة مارقة تدعى نبوة جديدة بعد أن ختمها محمد صلى الله عليه وسلم ، وكلتاهما تحظى بمساندة القوى المعادية للاسلام .

معرفة اللغات الحية

قال تعالى : (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)(١) .. من الضرورى للداعية فى هذا العصر أن يدرس اللغات الحية كالانجليزية والفرنسية والأسبانية والفارسية والأردية والتركية والصينية ، وعلى الأقل أن يعرف واحدة منها ، وان قدر أن يلم بالكل أو البعض أو واحدة بالتفصيل قراءة وكتابة وتحدث ، ويلم بأخرى الماما سريعا ، وهذا يرجع الى قوة الداعية وعزمه ، فعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم - حتى يخاطب الناس بلسانهم .

واقع البيئة المحلية

لابد للداعية أن يعرف أحوال البيئة سواء كان من أبناء البلد ، أو من غيره ، فان كان منعزلا ، فالحال أن يخرج من قوقعته الخاصة ليتمكن من الرؤية الكاملة ويتجرد من عواطفه وانتماءاته الخاصة ليشعر ابناء المجتمع جميعا أنه داعية ، وليس يمثل فئة من الفئات أو أى اتجاه بشرى مخالف للاسلام ، وان كان من غير أبناء ذلك المجتمع فعليه أن يبذل جهده فى معرفته سواء كان بدراسة الكتب المتخصصة ولا سيما الحديثة منها وعن طريق العارفين بها المعتدلين ، وأن يسمع من يمثل فئاته ان كان ثمة فئات مختلفة ، فاذا

---

(١) سورة ابراهيم آية ٤ .

كان المجتمع مسلما فعليه أن يعرف درجة فهمه للاسلام وتوعيته وصفته العامة واتجاهاته المذهبية الفقهية والعقدية سلفيا كان أو غيره أو له طريقة صوفية معينة ، أو تأثره بفكرة أجنبية حديثة أو قديمة كأعياد الميلاد وغيرهـــا ، وأن يعرف ما عليه أكثرية الشعب والمثقفون والمسئولون الحاكمون ، ويعرف جملة التقاليد الشائعة سواء في العادات أو العبادات ، ومدى قربهـــا أو بعدها عن الاسلام ، ويعرف الفئات البارزة في كيان المجتمع ، ففي بـــلاد الاسلام في عصرنا مثلا :

(١) فئة مؤمنة بالاسلام وراثيا ملتزمة لجملة من العبادات والأحكـــام ، ولكن فيها من البدع والخرافات والتقصير في الواجبات وفســـاد التصور والجهل واختلاط السلوك الاسلامي الشيء الكثير .

(٢) فئة تأثروا بالتيارات اللادينية شرقية كانت أو غربية ، وتضم هذه الفئة أبناء المسلمين أنواعا متفاوتة .

وعلى الداعية أن يعرف مشكلات البيئة ، فكل بيئة اجتماعية لها مشكلاتهـــا الخاصة ، ومن هذه المشكلات ما هو مشترك بين المجتمعات في مختلف البلدان ، فالداعي الى الله يضع في اعتباره هذه المشكلات ، ومن هذه المشكلات مثلا : مشكلة الفقر والتخلف والكسل والظلم بأنواعه ، والمعاصي والجهل والخرافات والتبرج والاختلاط والأثرة والخلافات ونحوها ... فينطلق الداعية مـــن مرتكزات قوية تمكنه من الاتصال بالجمهور عن طريق قضايا تهمه وتحرك عقلـه ومشاعره .

هذه معالم سريعة لما ينبغي أن تقوم عليه ثقافة الواقع ، ولا يخفـــى أن هذه الثقافة لا تستمد من الكتب وحدها فهي ثقافة نامية متجددة مستمرة يمكنه أن يجدها في المجلات والدوريات والنشرات الرسمية وغير الرسمية .

والداعية ذو العقل اليقظ والحس المرهف يستطيع أن يأخذ مددا جديدا من كل ما حوله من وقائع الحياة اليومية من أخبار الصحف ، ووكالات الأنباء ، وتعليقات المعلقين ، ويمكنه أن يعد لذلك سجلا أو أرشيفا يدون فيه ما يهمه من هذه الوقائع والأخبار ، ويصنفها ويضعها عند الحاجة فى مكانها ، فان أحداث اليوم هى تاريخ الغد الذى يدرسه الدارسون ويحلله الناقدون ، على أن لهذه الأخبار والأحداث مزية على الأحداث والأخبار الماضية وهى جدتها وحضورها فى الأذهان ، ولهذا يكون لها أبلغ الوقع والتأثير بل يستطيع الداعية أن يتلقى معلوماته عن الواقع من مصادره الحية المباشرة بلقاء الناس ومخاطبتهم ومخالطتهم ومشاهدة أحوالهم والاستماع الى أحاديثهم فى الحضر والسفر لأن المخالطة والمعاشرة تكشف الحقائق وتسير العمق ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام (المسلم الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذى لايخالطهم ولا يصبر على أذاهم)[1] ، الحديث عن ابن عمر ، رواه الترمذى وابن ماجه . ويسافر معهم فان السفر نصف العلم ويسفر عن أخلاق الرجال ولهذا كان علماؤنا الأولون أكثر الناس ترحالا فى طلب العلم من أهله فى مواطنهم ، قال الشاعر العربى :

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما قد حدثوك فما راء كمن سمعا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

---

(١) أنظر مجموعة الحديث ص ٣٦٥ .

البيان والتربية

البيـــان

هناك سباق كبير بين شتى الدعوات لاستهواء الأفكار وتكثير الأنصار .

والداعية المسلم أولى الناس بالقدرة على التأثير ، والبراعة فى جـــذب الآخرين ، ولماذا يتأخر فى ذلك المجال ورأس ماله من الحق ضخـــم ، وسنده كتاب أعجز الجن والانس ؟

ان البيان جسر مهم للداعية لوصله الى الآخرين ، ولهذا دعا موســـى صلى الله عليه وسلم ربه بقوله (واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى) (١)

ولقد كثر التعبير فى القرآن الكريم — عن البيان — ليوضح أهميته للداعية ورد ذلك فى قصص الأنبياء بتعابير مختلفة كقوله تعالى : (بلسان عربـــى مبين) (٢) وقوله (وأخى هارون هو أفصح منى لسانا) (٣) وقوله (وقـــد جاءكم بالبينات من ربكم) (٤) وكلمة — مبين — جاءت فى أكثر من موضع ، تؤكد الميزة الجميلة فى القرآن الكريم ، وتكشف عن قدرته على دعم الحـــق ودمغ الباطل .

فعلى الداعية التدرب على اجادة البيان بجميع صوره قبل دخولـــه الميدان. يقول عمر رضى الله عنه (تفقهوا قبل أن تسودوا) (٥) ، وهـــذا عام فى كل شىء فلابد من الاستعداد لتحمل المسئولية.

---

(١) سورة طـه آية ٢٦ — ٢٨ .
(٢) سورة الشعراء آية ١٩٥.
(٣) سورة القصص آية ٣٣ .
(٤) سورة غافر آية ٢٨ .
(٥) فتح البارى ١ ص ١٦٥.

وللبيان فنون كثيرة حسب كل عصر ، ففى عصرنا هذا هناك المحاضرة والخطبة والدرس والتأليف والمقالة والحديث العادى والندوة والحوار وغير ذلك ، وسنوجز الكلام عن تلك الفنون .

المحاضرة

هى معلومات مرتبة تعالج موضوعا معينا — ولها طابع علمى خاص (١) لا يحتاج للتحمس والانفعال ، لأن أساسها المنطق العلمى الهادىء ، والاجتهاد فى السيطرة على العقل بالمقدمات المرتبة والنتائج النيرة ، وقد يحتاج أثناء المحاضرة الى خرائط ورسوم " أفلام علمية واجتماعية " وهى وسائل لها أثرها فى التوضيح والاقناع ، وعلى الداعية أن يراعى فى محاضرته مايلى :

(١) أن يكون الموضوع المختار من صميم ما تجرى به الحياة ، ليصدق على الوتر الحساس ، ويملك انتباه السامعين ، وما أكثر المواضيع التى تفرضها الحياة بأحداثها الكثيرة .. ولأمر ما نزل القرآن منجما حسب الحوادث ومقتضيات الأحوال . (٢)

فيكون الموضوع المعالج لايضاح ما خفى على الأذهان ، وللدفاع عن حق مهاجم ، وازالة أوهام سائدة ونحو ذلك .

ولكل طبقة وضعها الخاص ، فمحيط الزارع غير محيط العمال أو المدرسين والطلبة ، ويلاحظ أن جمهور المحاضرة أكثر استثارة بالنسبة لجمهور الخطبة ونحوها .

---

(١) أنظر كتاب كيف تدعو الناس لعهد البديع صفر ص ٧٢ .
(٢) أنظر كتاب تذكرة الدعاة للبهى الخولى ص ٢٩٥ .

(٢) لابد من دراسة الموضوع دراسة متعمقة وافية ، اذ لا مجال للارتجال هنا ، فالنصوص مصححة ، والعناصر بارزة مرتبة ينتهى الى خاتمة يحسن السكوت عليها ، ويلاحظ أن المحسنات اللفظية والمهارات الرنانة قد تعيب المحاضرة ، فلا مكان لها فى هذا الميدان .

(٣) توكيد كل عنصر بالأدلة المقنعة ، وينبغى أن يكون للمحاضرة هدف ثمين — فلا مصلحة للداعية فى موضوعات ليس لها هدف ، واذا كان الداعية فى موضوع دينى اجتماعى كالعزة مثلا — وهى ألا يذل مخلوق لمخلوق — فهذا الموضوع مليء بالنصوص المثيرة الموجهة من كتاب الله وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهى شواهد تغرس العزة والاباء فى نفس المسلم — اذ الانسان فى الغالب يذل لأحد أمرين :

أ — ليدرك منفعة شخصية .

ب — ليدفع ما قد يؤذيه فى نفسه أو ماله .

والنصوص تقرر أن النفع والضر بيد الله وأن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوا شخصا أو يضروه لم يقدروا الا باذن الله . ومادة الموضوع كثيرة ومشبعة لمن بحث وحاضر والمهم أن يطلع ويستوعب .

(٤) يحذر الداعية أن يقسم المحاضرة تقسيما فلسفيا ، وأن يغوص وراء الفروض والعلل بل يراعى فهم الناس ، ولا يقصر الفائدة على الثواب الأخروى فحسب ، لأن كل شيء له آثار عاجلة تتعلق بها النفوس ، وحكم قريبة تهفوا اليها .

ولا بأس بعد ذلك من احياء المشاعر الالهية وبث الخير والتقوى فى القلوب ، وارتقاب ما عند الله فى دار الخلود ، . . ولا بأس للداعية أن يكرر القاء محاضرته مرات ، مادام الجمهور مختلفا أو الحاجة ماسة ، وعليه أن يتفقد نفسه عقب كل مرة يلقى فيها

محاضرته فيوازن بين موقفه آخر مرة وسابقتها ليزداد قدرة على التوضيح وسهولة فى السياق وتمكنا أكثر — ولا يظن أن فى تكرارها عيبا أو قصورا — حتى وان صاحبه أحد ممن كان معه سابقا .

وكلما أكثر الداعية تحضير المحاضرات المتعددة النواحى ، زيت معرفته ويضاعف ثروته ، ومكنه ذلك من احكام القيادة واحسان التوجيه ، وجرت عادة المحاضرات فى نهايتها — أن يقوم المحاضر بالاجابة على أسئلة الجمهور ومناقشاتهم ، فعلى الداعية أن يتسع صدره لذلك بكل أناة وحلم .

الخطبة

من وسائل البلاغ ، ومن أجل الطرق لدفع الجماهير ، وامتلاك زمامها واثارة مشاعرها .

يلزم الداعية اجادة هذا الفن والرسوخ فيه ، سواء كانت الخطب التى يلقيها — تعبدية — كخطبة الجمعة والعيدين والاستسقاء ، أو خطبا توجيهية — فى مناسبات تفرضها الظروف والأحوال .

وتفارق الخطبة المحاضرة فى عدة أشياء منها الآتى :

(١) يغلب على المحاضرة صبغة تقرير الحقائق ، أما الخطبة فيغلب عليها صبغة تحريك العواطف والمشاعر .

(٢) عناصر المحاضرة أشبه بالقواعد والأحكام ، أما عناصر الخطب فأشبه بالخواطر العارضة والمعانى الطارئة ، دون سطحية أو مجازفة فى حكم .

(٣) تحتاج المحاضرة الى الشرح والاستشهاد . أما الخطبة فشأنها الاسترسال مع ما يحضر من الخواطر والمعانى .(١)

غالبا ما تكون الخطب ارتجالية دون المحاضرات ، فعلى الداعية أن يهتم فى خطبه بما يلى :

(١) حسن اختيار الموضوع ، بأن يضيف جديد الى ثقافة المستمعين ويختار أكثر المواضيع تنويرا وتثقيفا ، وهذا يرجع الى ظروف المكان والزمان والأشخاص والحالة الاجتماعيةالعامة ونحو ذلك ، ويختار الألفاظ السهلة المألوفة بدلا من الوحشى الغريب ، وأمثلة ذلك مبسوطة فى كتب البلاغة ، والداعية لا يجوز له أن يتمحل المواقف أو يتكلف الألفاظ والعبارات والأساليب ، بل ينبغى أن يكون أداؤه أداء صادقا ذا سجية سهلة ، يقول الله تعالى : (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) .(٢)

فيلاحظ الداعية المقاطع القصيرة الواضحة العبارات التى تنفذ الى القلوب ، ويتجنب المعانى التى تحتمل التأويل ، حيث لاداعى لها ، وقد يسيء الفهم بعض المستمعين — ويحسن بالداعية فى خطبته الابتكار والتجديد ، ولا بأس أن يذكر مختارات من الشعر ، وجملا من القطع الأدبية ، وتحديد موعد الخطبة مهم ، فينبغى اختيار الزمن الذى لا يشق على السامعين الحضور فيه ، ويتجنب أوقات الحر الشديد أو البرد القارس ، أو التحدث عقب خطبة طويلة أو فى حالة خاصة كتجهيز ميت أو اللحاق برفقة السفر .

واختيار المكان كاختيار الزمان فبعض الأماكن لا تصلح كجوار المصانع ودور اللهو أو المواقع النائية ، وأكثر ما يدور فى هذا الموضوع يرجع الى ذكاء الداعية .

---

(١) تذكرة الدعاة للبهى الخولى ص ٣٠٢ .
(٢) سورة ص آية ٨٦ .

(٢) حسن الأداء — موقف الخطابة ليس سهلا ولايحسنه من الدعاة الا القليل — فينبغى أن يكون الداعية سليما من العاهات بعيدا عن العيوب المنفرة .

ومعروف أن الكلمة المسموعة أقوى أثرا من المقروءة ، لأن المسموعة تنبض بالحياة والانفعال ، فيستمد الداعية العون من الله مبتدئا باسم الله ، ويكون مستحضرا لمادته العلمية — لأن الموضوع لابد أن يكون واضحا فى ذهنه وان أدى الى تدوين رؤس المسائل فى وريقة صغيرة يرجع اليها بلمحة سريعة ، ولو حدث أن ذاكرة الداعية فرغت من المعانى المرتبة ، فانه ينهى الحديث بلباقة .

وعلى الداعية كذلك أثناء الخطبة ، أن يشوق سامعيه ويثير اهتمامهم ويمهد للموضوع بمقدمة أو حكاية أو نكتة ..

ولقوة الصوت وضعفه دخل فى تجديد الانتباه — يترفق فى مواطن الرفق ويقوى فى مواطن القوة ، اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب على المنبر يحمر وجهه وتنتفخ أوداجه كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم .(١)

ومقتضى ذلك أن يكون الصوت مناسبا للسامعين سواء كان عاديا أو مذاعا ، والداعية قائد مرموق فليكن مرغبا للناس فى الخير مبشرا لهم بالغفران والجنة ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (بشروا ولا تنفروا) الحديث متفق عليه .

ويستدل بالمعقول والمنقول ، وهناك أمور للعقل فيها مجال كادراك أسرار الكون وخصائص السلوك والعلاقات الانسانية ونحو ذلك ، وعليه أن يخاطب الناس بما يفهمون ، فان الحجة المفحمة كالطعام الجيد يهضمها العقل وينتفع بها .

---

(١) أنظر صحيح مسلم بشرح النووى ٦ ص ١٣٥ .

ويلاحظ عدم الاطالة لأنها تضر الدعوة .

وعلى الداعية أن لا يغفل عن ربه أو يعجب بنفسه ، أو يرائي الناس ولا يساوره حب الشهرة ونحو ذلك ، ويعلم أن الطاقة الذهنية محدودة والسامع يقدر على المتابعة بانتباه نحو ربع ساعة أو ثلث ساعة وبعدها يصيبه الاعياء والشرود .

المقالة

جمهور القراء كالطفل الممعود (١) ، لا يغريه الطعام الجيد ولا يحسن الافادة منه ، وبعض القراء يقرأ ما لا يسمن ولا يغني .

فالداعية بما حباه الله من الفطنة والذكاء واللباقة ، يراعى فى كتابة المقالة حالة القراء — سواء كانت المقالة : فكرة أو اقتراحا أو توجيها خلقيا أو تعليقا اجتماعيا — ولن يعدم الداعية نتيجة مثمرة فى محاولاته المتكررة لاجتذاب الجماهير ، وليتجنب الداعية التزمت أو رفع الأسلوب بحيث لايفهمه الا القلة ، فينبغى أن يكون المقال وسطا فى عباراته فلا هو عامى ولا هو يحتاج لمراجعة القواميس ومواضيع هذا الميدان كثيرة : مثل عناية الاسلام بالمرأة ، وحقوق الانسان والتكافل الاجتماعى ، والعدل ، والاخاء ، والحرية ، وما أشبه ذلك من القضايا التى هى فى صميم الحياة .

وليكن الداعية كاتبا صاحب هدف شريف ، فهناك من يكتب للتسلية وهناك من يكتب لأنه موظف مكلف بالكتابة .

---

(١) أى الذى بمعدته مرض .

أما الداعية فهو يعبد الله بقلمه ، كما يسبحه بلسانه ، ومن هنا فهو يتناول الموضوع باسم الله ويعالجه بروحه الربانى ، ويزن حقائقه بالميزان الالهى ، ولا حرج على الداعية اذا ذكر فى كلامه أحيانا عبارة متداولة أو مثلا سائرا مما يعين على بيان الحقيقة — ولكن ذلك فى نطاق الضرورة ، لأن الحفاظ على اللغة العربية هدف اسلامى خطير .

ولا يكن همه الاطالة وملء الصفحات ، ولأمر ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم الثرثارين المتفيهقين الذين يخاطبون الناس بما لا يفهمون (١) .

وكان صلى الله عليه وسلم يعدل عن لهجته الأصلية ليخاطب بعض وفود القبائل بما يفهمون فى لهجتهم مثل ما روى عنه (ليس من البر أم صيام أم سفر) (٢) .

ودراية الداعية بفنون البلاغة وحال النفس البشرية تجعله بعد تلك النتائج يفوز بنتائج طيبة ، خاصة وأن طريقه الخير يرشحه بعون الله وتوفيقه (ان الله مع الذين اتقو والذين هم محسنون) (٣) .

هناك مجالات دينية كثيرة بعضها رائج متداول ، وبعضها كاسد مردود ، وآفة بعض الكتابات الدينية غرابة الموضوع حينا ، وغرابة الأسلوب حينا وتفاهة العرض حينا آخر .

وقد يكون الداء الملحوظ عجز عدد من أصحاب المقالات الدينية عن التجاوب مع الجماهير أو بتعبير آخر لا يملكون المفاتيح التى تدار فى كثير من الأقفال فتبقى النفوس أمامهم مغلقة .

ولا نريد من الداعية حين يكتب مقالا أن تلحقه هذه الآفة .

---

(١) مسند أحمد ٤ ص ١٩٣ ، ١٩٨ .
(٢) مسند أحمد ٥ ص ٤٣٤ .
(٣) سورة النحل آخر آية ١٢٨ .

الحديث العام

الداعية يخدم رسالته بكل قدراته وخبراته وعلاقاته المختلفة بالنـــاس في البيت أو المدرسة أو الشارع أو السيارة .

لأن الداعية رجل متحمس لفكرته فتجده يتحدث مع الناس في كل مناسبة تعرض له ، بل لعله أحيانا يوجد المناسبات — دون تكلف — كي يشـرح ما عنده ويقنع غيره بما يريد .

والحديث العام له مكانة لا تقل من حيث الفائدة عن المحاضرة والخطبة ونحو ذلك وكان للحديث العام في العهد المكي ميدان فسيح ، بل انفـرد بالساحة غالبا دون الخطب والمحاضرات والدروس الرتيبة ، ولا شك أن في الناس شذوذ وكبرياء ، وربما لوحظ عليهم تنقص لأصحاب المبادئ وميل للجدل ورغبة في الانتصار ، وعلاج ذلك سهل للداعية الحكيم . وقد بيـن القرآن الكريم علاج ذلك ، فقال تعالى : (واهجرهم هجرا جميلا)(١).

ولابد من اللين في الحديث العام ، والاحساس باتجاهات المجلس ومـن أين تهب التيارات مؤيدة أو معارضة ، وعليه مراعاة ما يأتي :

(١) أن يكف عن المضي في الحديث بأدب وحكمة ، ثم — ان بدا له — يستأنف الحديث برفق والا فلا ، لأن الجدل غالبا يؤدي الـى الغضب والحقد والفرقة والسباب وقد نهى الله عن سب آلهة الكفار فيسبوا الله عدوا بغير علم ، وكذلك نهى رسول الله صلى الله عليـه وسلم عن المراء(٢) .

---

(١) سورة المزمل آية ١٠ .

(٢) أي الجـدال . قوله (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) الآيـة ١٠٨ من سورة الأنعام ، وسنن ابي داود ٢ ص ٥٥٣ ، والترمذي ٤ ص ٣٧ .

(٢) أن يترك الداعية التحدى فى جميع صوره لأنه صائد ، والصيد أمامه فلا يثيره — والتحدى آخر سلاح استعمله الرسل بالمعجزة ، وهى خاصة بهم ، ونحب أن نؤكد ضرورة الأخذ باللين ، ونسيان التحدى ، وترك كل ما يؤدى الى ردود الفعل المزعجة ، وليخفض جناحه لمخاطبه — اذا أحس منه الابتعاد ، حتى يتيح له فرصة العودة ، ولو الى مجلس آخر اذا عز انتباهه فى هذا المجلس .

والشخص الذى يتحدى الداعية مريض بحاجة للعلاج وهو سهل اذ يكفى أن يظهر الداعية للمخاطب الود والتقدير ويشعره من خلال الاشارة والحركة الهادئة : أن الداعية خالى الذهن من تحدى ذلك الشخص له ، وبذلك يعالجه .

(٣) أن يترك الداعية التفاصح والتعالى لأن الناس يكرهون من يتحدث عن نفسه ، وينكرون تميزه عنهم ، ويتحدث الداعية فى نصائحه لا كلفة فيها ولا فوارق ، يخاطب مستمعيه كأنهم مثله ، والفضل لله سبحانه . قال تعالى : (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين)(١) .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

الـدرس

الدرس من فنون البيان ، وقدرة الداعية على استيعاب معانيه وتفصيل حقائقه من عوامل نجاحه ، واقبال الخاصة والعامة عليه فان الناس ينتظرون من الدروس الخير الكثير ويسارعون اليها .

وقد يكون الدرس أشق من المحاضرة من ناحية عمقه واختصاصه بشرح آية أو حديث أو تشريع ، واستمرار الداعية على أدائه فى المسجد أو أى قاعة معدة يجعل جمهور الحاضرين مرتبطا به بل قد يكون نواة مدرسة فكرية مهمة .

وعادة ما يكون الدرس حافلا بالحقائق التى تحرك الفكر والرقائق التى تحرك القلوب وتخاطب الوجدان .

فالداعية يستخرج ما يشاء من المعانى فى الآية أو الحديث أو الفقه أو أى علم يشرحه ، ويربط بعضها ببعض ويبين علاقتها بالعصر وحوادثه ، ويورد أخبار الناس فى القديم والحديث .

والدرس ميسور للداعية فى أى وقت ، فما عليه الا أن يجلس فى ذلك النادى أو المكان المناسب ، فيأتى اليه تلامذته الراغبون فى العمل لا للاستماع فقط ، بل لاشباع مشاعر التجمع على الحق والأخوة فى الله وبامكان الداعية أن ينشىء صلات روحية تعارفية بينه وبين مستمعيه ولابد للداعية أن يكون يقظا أثناء الدرس وقبله وبعده فلا يجرح الأشخاص حاضرين كانوا فى المجلس أو غائبين ، بل يستعمل أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان يقول

(ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا)[١] اذا رأى شيئا يكرهه . وهناك أشخاص تباح غيبتهم ، وذلك معروف من السنة كالمجاهر بالاثم ، وفي الشهادة والاستشارة وما الى ذلك من أغراض مشروعة .

ويكون الداعية لبقا حاضر البديهة يلمح في وجوه الحاضرين المتأثر من غيره ، ويهيىء لكلامه أو فكرته بمقدمات وأدلة وقياسات يستطيع أن يقنع السامع — ولو كان السامع يعتقد خلاف ذلك من قبل — ويستفيد الداعية من تجاربه وتجارب غيره ، والأحداث التي تعرض له مثل ما روى عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فأخذ منها غصنا يابسا فهزه حتى تحات ورقه فقال ياسلمان : الاتسألني لم أفعل هذا قلت : لم تفعله قال : ان المسلم اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت خطاياه كما تحات هذا الورق وقرأ : (أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)[٢] فالقلوب والعقول تتقبل بعد هذا التمهيد الجميل ، ما يملى عليها .

ويلاحظ الداعية احاطة الموضوع بالحكم التي تستشرف النفس لهما وتدعو الى الاعجاب والعمل بما تشير اليه من خير .

---

(١) رواه البخاري ، وفي رياض الصالحين ص ٦١٣ .
(٢) سورة هود آية ١١٤ . وتفسير ابن كثير ٢ ص ٤٩٨ .

الموعظة

للرقائق المأثورة اشراقات نفسية محببة ، وغالبا ما يلقى الواعظ كلمتـــه ضمنا اياها هذه الرقائق فيستثير بها الكامن ، ويميط عن الضمير حجبا كثيفـــة وغالبا ما تتأثر النفس بما يلقى اليها ، لأن عدها استعدادا لتقبل هـــذه النصائح الغالية ، ولكن قلما تبقى النفس على هذا المستوى الرفيع دائمـــا ، وذلك يتطلب من الداعية معاودة النصح كلما لاحت له فرصة لتشق الموعظـــة المؤثرة طريقها الى النفس وتهزها هزا وتدع فى كيانها أثرا باقيا ، وترقـــى بالسلوك الانسانى ، ان قريبا أو بعيدا وما أحسن ما قيل : النفس كالسائل الذى تقلب رواسبه فتملأ كيانه ولكنها اذا تركت تترسب من جديد) .

والموعظة ضرورة لازمة ، ففى النفس دوافع فطرية ، تحتاج دائمـــا للتوجيه والتهذيب ، ورب موعظة لطيفة خفيفة مؤثرة ، ترد السامع الى صوابه ، وتعوده على مكارم الأخلاق .

ويختار الداعية ما يناسب المقام من توجيه ، ويكون نصب عينيه قوله تعالى: (وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا)[1] ، وقوله تعالى : (ان اللـــه نعما يعظكم به)[2] ، وقوله (واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه)[3] ، وقولـــه (وهدى وموعظة للمتقين)[4] .

والانتفاع بالقرآن فى توجيه المخاطبين ضرورة دينية لابد منها لأن نـــور القرآن يخرج ظلمة الكفر والعصيان ، وكم من أفراد أسلموا بسبب سماعهـــم

---

(١) سورة النساء آية ٦٣ .
(٢) سورة النساء آية ٥٨ .
(٣) سورة لقمان آية ١٣ .
(٤) سورة المائدة آية ٤٦ ، وآل عمران آية ١٣٨ .

لآية أو آيات من كتاب الله ، من ذلك ثانى الخلفاء الراشدين الفاروق عمر رضى الله عنه ، عندما قرأ قوله تعالى (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)[١] .. الآيات ، ومصعب بن عمير أول سفير فى الاسلام أرسله النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة ليعلمهم القرآن ويربيهم به ، ولقد نجح رضى الله عنه فى مهمته أيما نجاح وأسلم على يده سعد بن معاذ رضى الله عنه لما أسمعه آيات من كتاب الله[٢] ، يقول العلامة ابن القيم رحمه الله فى معنى قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)[٣] : ذكر سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو ، فاما أن يكون طالبا للحق محبا له مؤثرا له على غيره اذا عرفه ، فهذا يدعى بالحكمة ولا يحتاج الى موعظة وجدال ، واما أن يكون مشتغلا بضد الحق لكن لو عرفه آثره واتبعه فهذا يحتاج الى موعظة بالترغيب والترهيب أو الوعد والوعيد واما أن يكون معاندا معارضا فهذا يجادل بالتى هى أحسن[٤] .

وينبغى للداعية أن يحبب الناس فى الله ، ويعطف القلوب على باريها فيستعمل أسلوب الترغيب والحث على فعل الخير ، لأن الله هو المطعم من جوع ، الكاسى من عرى ، الساتر من فضح ، فلنسارع الى اجابة أمره ونهيه ، قال تعالى (الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين)[٥] .

كما يرغب الداعية فى تقوى الله تعالى ، والايمان والعمل ، ليضمن الحياة الطيبة فى الدنيا والآخرة ، قال تعالى : (من عمل صالحا من ذكر

---

(١) سورة طه من أول السورة الى آية ٢ .
(٢) البداية ٣ ص ١٥٣ .
(٣) سورة النحل آية ١٢٥ .
(٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ، المجتمع عدد ٣٨٢ وتاريخ ١٣٩٨/٢/٨ هـ ص ٣١ .
(٥) سورة الشعراء من آية ٧٨ الى آية ٨٠ .

أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)[١] ، وقال سبحانه (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا)[٢] والمرء بطبيعته يحب النفع العاجل وأن يجنى ثمار استقامته رزقا وأمنا ومعرفة ، قال عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم)[٣] فهذا الفرقان — أى البصيرة — التى يستهدى بها المؤمن فلا يخلط بين حق وباطل ، والنفع العاجل يغرى الانسان ، الا ترى نوحا يقول لقومه (استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا)[٤] ، وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اجتمع أشراف قومه عند أبى طالب فقال صلى الله عليه كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل نعم وأبيك وعشر كلمات قال تقولون (لا اله الاالله) وتخلعون ما تعبدون من دونه فصفقوا بأيديهم ثم قالوا : يامحمد أتريد أن تجعل الالهة الها واحدا[٥] .

والانسان يحب أن يعيش فى عز وعلو وهذا مرتبط بالايمان ، قال تعالى : (وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين)[٦] ، كما يرغب الانسان الفلاح والفوز بالسعادة وهذا مرتبط بالعمل الصالح ، قال تعالى : (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون)[٧] ، ويتشوق الانسان الى النصر فى كل الميادين ، النصر على العقبات ، والنصر على الأعداء ، وقد قال تعالى : (ان تنصروا الله ينصركم)[٨] ، ونصر الدين يكون بالعمل بمقتضاه وتطبيق

---

(١) سورة النحل آية ٩٧ .
(٢) سورة الطلاق آية ٣ .
(٣) سورة الأنفال آية ٢٩ .
(٤) سورة نوح آية ٩ — ١٢ .
(٥) البداية ٢ ص ١٢٣ ، وحياة الصحابة ١ ص ٢٦ .
(٦) سورة آل عمران آية ١٣٩ .
(٧) أول سورة المؤمنون آية ١ ، ٢ .
(٨) سورة محمد صلى الله عليه وسلم آية ٧ .

أحكامه ، والانسان يود لو يتحقق له الأمن ، ويتيسر له التمكين فى الأرض والاطمام من الجوع ، والتنفيس من عسر ، وذلك كله منوط بالايمان والاصلاح يقول تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا)(١) ، وقال تعالى : يمن على قريش وجيران البيت الحرام : (الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)(٢) .

ولجوء الداعية لأسلوب الترغيب ليس نزوعا ماديا هابطا كما يتصور البعض بل هو اعتراف بطبيعة البشر واستقامة مع الحق ولاشيء فيه ، ولقد استعمله الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ففى القرآن الكثير من ذلك خاصة فى نعت القرآن للجنة التى هى أمنية المتقين ، قال تعالى : (واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا)(٣) .

وصفات الجنة وما فيها من نعيم ذكر فى أغلب سور القرآن الكريم أما السنة وسير الأنبياء عليهم السلام فكذلك فيها الكثير من أساليب الترغيب من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم عندما اعترضه سراقة بن مالك (هل لك فى سوارى كسرى) كان ذلك فى سفره صلى الله عليه وسلم وهجرته الى المدينة عندما أدركه سراقة وساخت قدما فرسه فى الأرض .(٤)

---

(١) سورة النور آية ٥٥ .
(٢) سورة قريش آية ٤ .
(٣) سورة الانسان من آية ٢٠ — ٢٢ .
(٤) البداية ٣ ص ١٨٥ .

الترهيب

اذا أحب المرء طار على جناح من الرغبة الى ما يهوى ، وكذلك اذا رهب واستبد به الخوف ، فان انزعاجه يستبد بسلوكه ويهيجه بقوة الى تـــــرك ما يحذر .

ان التخويف يهز أوتار النفس فتكف عن الرذيلة كما تندفع الى الفضيلـــة خوفا . وكثيرا ما يترك المؤمن الآثام وجلا من عقاب الله ، والله عـــــزيز ذو انتقام ، والتخويف بالله حق — لأن بيده النفع والضر (وان يمسســك الله بضر فلا كاشف له الا هو) الآية .(١)

وفى العادة نرى التاجر يضاعف نشاطه خوف الافلاس ، وكذلك الموظف خوف الهبوط ، والطالب خوف السقوط ، وذلك شأن الناس جميعا .

والداعية يستعمل أسلوب الترهيب أحيانا فى دعوته ، قال تعـالى : (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا)(٢) ، يحذر الله سبحانه أولياء اليتامى بهذا الأسلوب ، مـــن الحيف على من يلون أمرهم حتى لا يصاب أولادهم بنفس الغبن والضياع .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم للرجل الذى يحب الزنا : " أتحبـــه لأمك لأختك وكذا وكذا من محارمه "(٣)

---

(١) سورة الأنعام آية ١٧ وسورة يونس آية ١٠٧ .
(٢) سورة النساء آية ٩ .
(٣) الجواب الكافى ص ١٣٤ ، والاحياء ٢ ص ٣٣٤ .

هذا وللمعاصى عقوبات كثيرة فى الدنيا قبل الآخرة تحدث عنهـــا بالتفصيل الشيخ ابن القيم الجوزيه فى كتابه المعروف " الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافى " ، وقد مسخ الله بنى اسرائيل لما اعتوا عن أمر الله .

والحقيقة أن المتأمل فى أحوال المجرمين يرى مسخا غريبا فى نفوسهـــم حتى لكأنهم يتحولون الى أنواع من السباع والدواب وان ظلوا فى اهـــاب البشر)(١).

ان تحذير الناس من المعاصى وتخويفهم بعقوباتها فى الدنيا والآخـــرة أحد أساليب الداعية الناجحة فى التربية لأن الترغيب والترهيب كثيرا مـــا يدفعان الانسان للخير وترك الشر أكثر من الفكر العقلى والدافع الأدبى ، روى يوسف بن ماهك قال : انى عند عائشة أم المؤمنين اذ جاءها عراقى فقال : يا أم المؤمنين أرينى مصحفك ، قالت : لم ؟ قال : لعلى أؤلف القرآن عليه فانه يقرأ غير مؤلف ، قالت : وما يضرك أية قرأت قبل ، انما نـــزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى اذا ثـــاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمـــر لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل : لا تزنوا لقالوا : لا ندع الزنا أبدا لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وانى لجارية ألعب (بـــل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر)(٢) ، وما نزلت سورة البقرة والنســـاء الا وأنا عنده ، قال : فأخرجت له المصحف فأملت عليه آى السور .(٣)

وللمعاصى خطر كبير على الايمان ، لأنها بريد الكفر والفجور وتميـــت القلب ، ولقد فصل ابن القيم عقوبات المعاصى وبين ضرر المعصية فى الدنيـــا

---

(١) أنظر كتاب " مع الله " دراسات فى الدعوة والدعاه للغزالى ص ٣١٦ .
(٢) سورة القمر آية ٤٦ .
(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ٩ ص ٥٢٦ وفى كتاب الحسبة فى الاسلام ص ٩٠ .

فى الجسم والمال والأهل والولد والمكانة .[1] قال تعالى : (ولنذيقهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون)[2]

والواقع أن المعاصى مفتاح لمصائب فادحة وكرب جسام ، والاستمرار فيها يغرق فى بحر من الويلات لا قاع له ، قال تعالى : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)[3] .

وقد انتشرت فى الكتاب والسنة النصوص المبينة لتلك العقوبات العاجلة روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يامعشر المهاجرين — خمس ان ابتليتم بهن ونزلن بكم — وأعوذ بالله أن تدركوهن — لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها ، الا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ، ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط عليهم عدوا من غيرهم فيأخذ بعض ما فى أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله الا جعل بأسهم بينهم .[4]

وسبب الأزمات الاقتصادية والحروب هو الكفر بنعم الله وعصيانه ، قال تعالى : (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)[5]

---

(١) فى كتابه الجواب الكافى ابتداء من ص ٣٤ .
(٢) سورة السجدة آية ٢١ .
(٣) سورة الشورى آية ٣٠ .
(٤) سنن ابن ماجة ٢ جـ ١٣٣٣ .
(٥) سورة النحل آية ١١٢ .

وقال صلى الله عليه وسلم (ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)[١] .

أما عذاب الآخرة فأشد عذاب وهو يبدأ بضيق القبر ثم مناقشة الحساب ، والقذف فى النار . ان التخويف بالآخرة ووصف صنوف العذاب المعدة بها ، يستغرق جزءا كبيرا من الكتاب والسنة — والنار حق والتخويف بها ليس عبثا . قال الله تعالى (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل)[٢] ، وقال صلى الله عليه وسلم (دخلت امرأة النار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض)[٣] اتقوا النار ولو بشق تمرة[٤] — رئيت أكثر أهل النار النساء فقامت امرأة سفعاء الخدين[٥] .. الحديث .

---

(١) سنن ابن ماجه ٢ ص ١٣٣٤ .
(٢) سورة آل عمران آية ١٩٦ .
(٣) فتح البارى ٦ ص ٥١٥ وصحيح مسلم ٨ ص ٣٥ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ٧ ص ١٠١ .
(٥) المصدر السابق ٦ ص ١٧٥ .

القصة

فى فطرة الانسان ميل الى القصة ، ولها تأثير ساحر على القلوب ، سواء كانت تاريخية أم معاصرة حقيقة أم خيال . فالداعية يعى هذا الميل فيستخدم القصة فى البيان والتربية . وفى القرآن الكريم الكثير من القصص الموجهة ، كقصص الأنبياء ، والمكذبين بالرسالات وما أصابهم من جراء التكذيب ، فموسى مع فرعون وعيسى مع بنى اسرائيل وصالح مع ثمود ، وشعيب مع مدين ولوط مع أهل القرى ونوح مع قومه ... وهكذا ، وهذه القصص تاريخ حق ، وواقع لاشك فيه ، وان مارى فى ذلك بعض الزنادقة وانها حقيقة لا ريب فيها وأثرها فى تربية الأفراد والمجتمعات عميق فان البشر يعتبرون بما يروى لهم من أخبار ، ويقيسون ما يحسون على ما يسمعون ، ولذلك قال تعالى : (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال :لأقتلنك قال : انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين أنى أريد أن تبوء بائمى واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين)(١) . وهذه القصة تصور أثر الحقد الأعمى وعاقبة الأمور ، انه ما يعقب الا الندامة والخسار .

وتدبر قصة الرجلين اللذين ذكرهما القرآن الكريم أحدهما يمثل الاغترار بالثراء ، والآخر يمثل الاستكانة لله ، قال تعالى : (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ، قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى

---

(١) سورة المائدة من آية ٢٧ — ٣٠ .

ربى لأجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا ؟ لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا) (١) .

ان الرجل الذى أبطره الغنى وقاده الى الكفر خسر دنياه وآخرته أما الواثق بربه الراضى بقدره فانه عاش قرير العين بعيدا عن الفواجع التى أصابت غيره .

فالداعية يستخدم القصة لجميع أنواع التربية والتوجيه التى يشملها منهج القرآن الكريم ، تربية الروح وتربية العقل وتربية الجسم والتوقيع على الخطوط المتقابلة فى النفس ، لأن القصة سجل حافل لجميع التوجيهات عامر بأنواع التصوير الفنى ومشخصاته من حوار الى سرد مع دقة فى رسم الملامح واختيار دقيق للخطة الحاسمة فى القصة لتوجيه القلب للعبرة (٢) .

وقصة البشرية الأولى — قصة آدم — من أهم القصص التوجيهى ومجال استخدامها للدعاة كبير (واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال : انى أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها

---

(١) سورة الكهف من آية ٣٢ — ٤٣ .

(٢) التصوير الفني في القرآن — سيد قطب — نقلا عن: منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب ص ٢٣٩ .

رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فـــى الأرض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التـــواب الرحيم • قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هـــــداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحـــاب النار هم فيها خالدون) (١) •

وقصة الانسان الأول ــ آدم عليه السلام ــ تكررت كثيرا فى الكتـــــاب الكريم ، والذى يعنى الداعية منها ، (وهو يؤدى واجبه فى التربية والتهذيب) ان آدم رزق خصائص عقلية مرنة لم ترزقها الملائكة ، وأنه بهذه الخصائص عرف أشياء كثيرة فى الكون ، وبهذه الخصائص ــ اذا ارتقت ونضجـــت ــ يستطيع أن يسخر الكون لمصلحته ، وقد من الله عليه بهذا واستخلفه فى الأرض لحكمة عظيمة •

وقصة آدم تشير الى أنه كائن مزدوج فهو طين من الأرض سرت فى أوصاله نفحة من روح الله ! وبهذا الازدواج ترشح للضدين فهو يستطيع الهبوط ويستطيع التحليق ، وقد وهب الله له ارادة حرة عندما حمله أمانة التكليف ، وأفرده ــ دون السموات والأرض ــ بهذه الرسالة الثقيلة ، فان شـــاء آمن وأصلح ، وان شاء جحد وأفسد •

وتصرح قصة آدم بأن له عدوا مبينا يود له البوار ، وان هذا العدو لـــن يدخر وسعا فى الكيد له ولذريته متوسلا بالنصح المغشوش والأمانى الباطلة ، والأيمان الكاذبة ، محاولا أن يوصد أمامه طريق العودة الى الجنة ، وأن يحرمه وذريته من النعيم المقيم •

---

(١) سورة البقرة من ٣٠ ــ ٣٩ •

ولكن من أين للشيطان هذا كله ؟

انه يستعمل الجانب الأرضى من الانسان ، وميله الى الشهوات الحرام — شهوة الجاه والمال والجنس والعلم والقوة والخلد — لينزله من مكانه الوضيع ، وليستعبده لنفسه بدل أن يكون عبد الله ، قال تعالى : (ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين) (١) فلا يجوز للانسان أن ينسى مهمته الضخمة فى خلافة الأرض ، ان هذا الصراع بدأ مع الانسان الأول ولا يزال مستمر حتى يأتى أمر الله .

وعلى الداعية أن يستخدم القصة لغرضه الشريف مع مراعاة القواعد الفنية للقصة لأن القرآن يختار من نفس (بطل القصة) اللقطة المترفعة المستعلية النظيفة التى تصلح للقدوة ، ومن نفوس المنحرفين اللقطة التى تصور سواد قلوبهم وسوء انحرافهم للتنفير من أفعالهم (٢) . عكس ما يعرضه الفكر الجاهلى حين عرض القصة اذ يجعل الانحراف محل تقدير واعجاب وتصفيق .

أما أسلوب القرآن فيعرض الفتن التى وقعت للصالحين على أنها لحظة ضعف فقط وخضوع لأحد دوافع النفس لكن ريثما يفيق الانسان ويرجع الى الله (٣) (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) . والأمثلة كثيرة منها قوله تعالى (وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف) . . الآيات (٤) وقوله (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) (٥) وقوله (ولقد همت به

---

(١) سورة يس آية ٦٠ .
(٢) منهج التربية ص ٢٤١ .
(٣) سورة الاعراف آية ٢٠١ .
(٤) سورة ص آية ٢١ .
(٥) سورة ص آية ٣٤ .

وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء)[١] ، (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه) .[٢]

ففى عرض الداعية للقصة كأسلوب من أساليب التوجيه يوضح أن .. الانسان وان مر عليه ظرف ابتلاء أو اقترف ذنبا فهذا جانب ضعف يمر به ولكن لا يستمر عليه بل يفيق منه ويقوم من كبوته ويتوب الى الله ، والله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم براحلته ، ولا ننسى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال : كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب [٣] فأتاه فقال : انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال : لا ، فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال : انه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء ، فانطلق حتى اذا نصف الطريق[٤] أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب : انه لم يعمل خيرا قط ، فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم[٥] فقال : قيسوا ما بين الأرضين فالى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى الى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة)[٦] وفى رواية فى الصحيح (فكان الى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها ، وفى أخرى

---

(١) سورة يوسف آية ٢٤ .
(٢) سورة القصص آية ١٥ .
(٣) أى عابد من عباد بنى اسرائيل .
(٤) أى بلغ نصفها .
(٥) أى حكما .
(٦) متفق عليه .

(فأوحى الله تعالى الى هذه ان تباعدى والى هذه ان تقربى ، وقال : قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه أقرب بشبر فغفر له) وفى رواية فنأى بصدرها نحوا (١) .

وهناك قدر للداعية الحق قلما ينجو منه ، وهو التعرض للبلاء فى نفسه وفيمن يحب ، وقد نبه القرآن لذلك حتى لا نفاجأ بابتلاء أو تمحيص قال تعالى : (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) (٢) وقال تعالى (آلم ، أحسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) (٣) وقال تعالى (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين) . (٤)

ويمكن تضمين القصص التوجيهية هذه المعانى الدافعة الى الثبات واحتمال الأذى والتضحية فى سبيل العقيدة ، وابراز الأحداث والأدواء التى يمر بها الدعاة ، وأساليبهم فى مواجهة الطواغيت ، واستماتتهم الى الرمق الأخير فى نشر الدعوة وتثبيتها ، ويصور ذلك ما روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك : قد كبرت فابعث الى غلاما أعلمه السحر ، فبعث اليه غلاما يعلمه (٥) فكان فى طريقه (٦) راهب (٧) فقعد اليه وسمع كلامه فأعجبه فكان اذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك الى الراهب فقال : اذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى

---

(١) أنظر رياض الصالحين ص ١٥ .
(٢) سورة آل عمران آية ١٤١ .
(٣) سورة العنكبوت من آية ١ الى آية ٣ .
(٤) سورة البقرة آية ١٥٥ .
(٥) أى السحر .
(٦) أى اذا سلك .
(٧) أى عابد من بنى اسرائيل .

واذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر ، فبينما هو[١] كذلك اذ أتى[٢] على دابة عظيمة[٣] قد حبست الناس فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب فأخذ حجرا فقال : اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أى بنى أنت اليوم أفضل منى قد بلغ من أمرك ما أرى ، وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل على وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء فسمع جليس للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال : ما ههنا لك أجمع ان أنت شفيتنى فقال لا أشفى أحدا انما يشفى الله[٤] فان أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك : من رد عليك بصرك قال : ربى قال : ولك رب غيرى قال : ربى وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فجيئ بالغلام فقال له الملك : أى بنى قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكم والأبرص وتفعل وتفعل قال : انى لا أشفى أحدا انما يشفى الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيئ بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه[٥] ثم جيئ بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جيئ بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا الجبل فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا[٦] وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك قال : كفانيهم

---

(١) أى الغلام .
(٢) أى مر .
(٣) حيوان مخيف .
(٤) وهذا اقرار بفضل الله القادر على كل شئ ، وهذا الغلام متجرد لله لا يبغى مالا بل يبذل ما يجد ليعرف الله .
(٥) وهذا يهون ثقل العقيدة والصبر فى سبيلها .
(٦) وهذا من نصر الله لاوليائه .

الله فدفعه الى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحملوه فى قرقور[٢] فتوسطوا البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه . فذهبوا به فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك فقال : كفانيهم الله[٢] ... انك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به قال وما هو قال : تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع ثم خذ سهما من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام فانك ان فعلت ذلك قتلتنى فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم فى كبد القوس ثم قال باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم فى صدغه فوضع يده فى صدغه فى موضع السهم فمات فقال الناس : آمنا برب الغلام فأتى الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالأخدود فى أفواه السكك فحفرت واضرمت النيران وقال : من لم يرجع عن دينه فاقحموه[٣] فيها أو قيل له : اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبى فتقاعست فقال لها الغلام : يا أمه : اصبرى فانك على الحق)[٤] فهذه القصة النبوية أبرزت الفضائل وأثرت فى الضمائر وحسمت الفداء وأوضحت كيف يتعلق الداعية بغايته ويبتذل دونها حياته .

وعلى الداعية أن يختار من كتاب الله وسنة رسوله ما يشرح أهدافه حتى تتحقق عمليا فى الناس ، وهناك قصص مؤلفة محكمة الفصول ذكية العرض مشوقة السرد وأمثلتها كثيرة فى تصانيف العلماء والأدباء ننصح بقراءتها وابتكار قصصا مثلها تخدم أهدافه بشرط أن تصور التعاليم تصويرا جادا محترما يتوافق مع النقل والعقل .

---

(١) سفينة صغيرة .
(٢) وهنا فتح باب الحيلة وضحى بنفسه ليعرف الله .
(٣) أى القوة . انظر تذكرة الدعاة للبهى الخولى ص ٥٢ .
(٤) رياض الصالحين ص ٢٧ ، صحيح مسلم ٤ ص ٢٢٩٩ .

التأليف

مع تقدم فن الطباعة وصناعة الورق ، وسهولة المواصلات وكثرة أدوات النقل ، كثرت المؤلفات وذاعت ، وأصبح للكتب والمجلات سوق رائجة خصوصا التى تخدم الشهوة والشبهة وانتشرت الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية ، وصنوف الدوريات ثم الروايات والقصص وكتب الجريمة ، وتجيء فى المؤخرة الكتب الدينية ، هذا التدرج فى الغذاء الفكرى ، هو ما انتهى اليه المجتمع المادى وما دار فى فلكه ، وقد انجرف فى تياره غالب المسلمين .

ولاريب أن هذا الغذاء الفكرى المسموم مرتع آسن وخم للكبار والصغار ، حتى أن الأطفال لا يجدون من القصص الا ما يثير الغثيان لتفاهة موضوعه وركاكة ألفاظه وخساسة غايته .

فلابد للداعية من التأليف الجيد الذى يرفع مستوى الفكر الدينى لدى الأمة ويكون فى موضوعه وشكله مناسبا للعصر ولجميع الطبقات . لقد قيل : ان الخط الحسن يزيد الحق وضوحا ، وكذلك الطباعة الحسنة فيجب اراحة الشباب باختصار الكتب النافعة ، ونقد الكتب الضارة ، بطريقة علمية سليمة مقنعة . وحبذا لو كان هناك لجنة من الدعاة تقوم بعملية نقد للتآليف الضارة التى تسىء الى الاسلام وأمته .

وعلى كل حال يستطيع الداعية القدير أن يسد هذا النقص بمفرده وعلى قدر استطاعته حتى توجد تلك اللجنة .

وللتأليف مجالات كثيرة ، تسلك بحذر وأناه ومزيد التقصى والاطلاع ،

وهذا لو عرض الداعية أول انتاجه على بعض العلماء والباحثين قبل اخراجه ، حتى لا يتعرض لهجوم المتربصين بالعمل الاسلامى ، ويلاحظ الداعية أن يكون تأليفه لخدمة الدعوة وما فيه نفع بارز للمسلمين ، بقدر الطاقة ولو كتيبات صغيرة ، وان لم يقدر فليقترح الموضوع على غيره ممن يقدر فالدال على الخير كفاعله ، وانما الأعمال بالنيات ، ويراعى الداعية فى التأليف وضوح الهدف وحسن التنسيق وتفصيل الموضوع ، وليجتهد فى تصحيح بعض المفاهيم ويناقش قضايا تدور فى الذهن أو يلفت النظر لكتاب قيم ويوصى بتقوى الله جل جلاله .

التسجيلات

من المكتشفات الحديثة التى يمكننا استخدامها فى نشر الدعوة ، وتوسيع دائرتها ، وقدرة الداعية على استخدام هذه الأشرطة لتسجيل النصائح والمحاضرات والندوات والوصايا والحكم وارسالها لمن يطلبها من المكفوفين وضعاف البصر والمتعبين والمتعجلين وأكثر المسافرين ، ولقد أصبح من الميسور تسجيل القرآن كاملا على شريط واحد أو عدة أشرطة ، وقد اهتمت المكتبات العالمية الآن بهذا النوع من الأعمال ، وأنشأت أقساما للتسجيلات الصوتية .

... ...

الحكم والأمثال

يلزم الداعية أن يعرف الحكم والأمثال السائرة لأنها تقع من السامع موقعا يجعله يتلقاها بالقبول ولها تأثيرها الخاص ، فيستطيع الداعية في هذا المجال أن يعالج الأمور أو يوجه الناس مستخدما تلك الحكم والأمثال ويضعها في محلها المناسب وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة الكثير من ذلك فمن القرآن آيات جرت مجرى الأمثال (ولا ينبئك مثل خبير) (ان ربك لبالمرصاد) (وانه لحب الخير لشديد) (كمثل الحمار يحمل أسفارا) (كل شيء هالك الا وجهه) .

ومن السنة كذلك عبارات من حديث وأحاديث جرت مجرى الأمثال والحكم مثل (الضعيف أمير الركب) (المرء مع من أحب) (الحياء من الايمان) (اعقلها وتوكل) (الحكمة ضالة المؤمن) (رأس الحكمة مخافة الله) (رب مبلغ أوعى من سامع) .

وهناك أمثال سائرة مثل : (مكره أخاك لا بطل) (اذا عز أخوك فهن) (حسبك من شر سماعه (اذا زل العالم زل بزلته عالم) (بعض الشر أهون من بعض) (ابن الثرى من الثريا) (من غربل الناس نخلوه) وغير ذلك من الأمثال السائرة الكثير ويصلح بعضها أن يكون عنوانا لموضوع كامل .

... ...

الندوة

وتشمل الحوار والمناقشة

■■ تشتمل الندوة عادة على عدد من الدعاة أو المتحدثين سواء كانت الندوة عفوية (أى تقع مصادفة دون اعداد سابق) أو مرتبة لتمحيص موضوع معين باشراف عدد من رجال العلم والفكر ، ونوصى الداعية بالآتى :

(١) التهيؤ للموقف فلا يليق بالداعية أن يندفع للكلام كلما وجد فراغا لأن الداعية يمثل دعوة غالية وليس شأنه كشأن سواه من المتكلمين .

(٢) القصد فى الاجابة — فى حالة الجواب على سؤال عرض عليه — فلتكن اجابة الداعية على قدر السؤال دون زيادة أو نقص — ولا يخوض الداعية فى شيء ليس من تخصصه ، فان كان ولابد فليشر اشارة مقيدة لذلك القول منسوبة للمصدر المختص وبين عدم احاطته بالتفاصيل .

(٣) اللباقة والحذر — فلا يستسلم الداعية للعاطفة — فبعض الصراحة لا تستحسن فى المناقشة المفتوحة ، ولا بد أن يستدرج بعيدا فيفقد السيطرة على الفكرة — وكم من حوار يحوله العرض الى معركة يتطلع بعضهم فيها الى الظفر ، ومع انتباه الداعية لذلك يحرص على التماسك حتى يخرج بلباقة دون خصومة لأحد .

(٤) التأدب والمجاملة ، الداعية حسن الخلق يخاطب الأشخاص بأحب الأسماء اليهم ، والخلاف فى الرأى لايفسد للود قضية ، فبعض الخلافات تحلها روح المحبة ، أما الخصومات فغالبا ما تكون لأجل الدفاع عن الذات لا غيرة للحق .

(٥) التوصل للنتيجة عندما يرى الداعية أن البحث يتحول الى اتجاهات أخرى منحرفة أو عقيمة ، ينقل الحوار الى تقرير الخلاصة والنتيجة بلباقة ، لأن الأذكياء هم الذين يقطفون ثمرات الاجتماع ولا يتركون الجهد والوقت يضيع سدى .

هذه بعض فنون البيان التى يستخدمها الداعية فى ايضاح فكرته للملأ . ونيته أن تكون كلمة الله هى العليا ، وأن يكون المنهج الالهى هو الذى يسيّر حياة الناس .

والداعية قد يتمكن من استخدام كل ما ذكر من وسائل ، فان لم يقدر فبعضها قد يغنى عن البعض * ولكن يحاول قدر الامكان أن يجيدها جميعا ، ليصل لغرضه وهو العبودية الكاملة لله وحده ، وللوصول الى ذلك يجاهد الداعية بلسانه وبنانه وفكره وماله ، وكل ما أوتى من قوة وبالله التوفيق .

---

* استفدت كثيرا مما كتبه الشيخ عبد البديع صقر فى كتابه كيف ندعو الناس ص ٧٦ .

التربيـــة

الداعية قوى الشخصية ، يدفع للخير ولا يندفع بالشر ، يؤثر بالحـــق الذى يحمله ولا يتأثر بالتيارات المناوئة له ، ويترك فى المجتمع بصماتـــه فيما يبلغ من مبادئ وقيم ، فالمجتمع بعد ارتباطه به شيء آخر قبل هـــذا الارتباط ، ولا يكفى للداعية أن يبين الحق للناس بل لابد من أخذهـــم به وتربيتهم عليه ليعملوا بذلك ، ولاشك أن التربية أشق من البيـــان — وطريق الدعوة ليس مفروشا بالزهور والرياحين بل هو حمل أنقض ظهـــور أولى العزم من الرسل — فلا جرم أن يتهيأ له الداعية بالارادة والمثابرة والتضحية : ثم ان تربية الطاقات الانسانية من عقل وعاطفة وغيرهما عـــلى مسلك معين يحتاج الى التدرج من السهل الى غيره عملا بقوله صلى اللـــه عليه وسلم (يسرا ولا تعسرا) فالبشارة فى القول واليسر فى التطبيـــق والداعية معلم مرب لجميع الطبقات ..

وللداعية فى مجال التربية وسائل شتى ليملأ الفؤاد بالخير بعـــد أن يفرغ منه الشر أو كما عبر العلماء قديما : التخلية تسبق التحلية ، وليجعل الداعية من نفسه حقل التجارب وهو يعمل لله — ولما كان قـــد تدرب على طرق التربية الحديثة أثناء اعداده فى الكليات والمراكز المتخصصة فان ذلك الاعداد يمكنه من تربية غيره فردا كان أو مجموعة أفراد .

ان فاقد الشيء لا يعطيه ، والمرسلون تولتهم العناية بالاعداد قبـــل أن يبعثوا ، وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم لما تلقى الرسالـــة وامتلأت بها نفسه تحركت للعمل بين الناس .

والمؤسف أن مجتمعنا اليوم يضيع كثيرا مما يبذله الدعاة فى سبيل التربية والبيان ، فانه لابد للدواء كى ينجح — من حميه وصيانة .

وقد يبذل الداعى جهدا فى دفع امرء الى الخير ، ويربى فردا ما على أخلاق معينة يستوحيها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله على وسلم ثم لا يستطيع أن يحافظ على تلك التربية وسط هذا المجتمع الذى انحرف كثيرا عن الصراط المستقيم — وجرف بأغراءاته كثيرا من الضحايا وهذا لا يستدعى أن ننكص على أعقابنا ونتساءل عن جدوى التربية فى هذا الجو الملىء بالمتناقضات ، بل نثابر على غرس الخير فى النفوس ولن يضيع لنا جهد على مر الأيام — فان أفرادا كثيرين يربيهم دعاة الخير قد يحققون البطولة — فلا ينجرفون فى التيار ولا يغرقون فى الوحل بل تقوى شخصياتهم ويظلون يرفعون الراية التى يجتمع حولها أتباع الأنبياء وبناة المجتمع المسلم .

يجب تمهيد مسار الايمان واصلاح ما هنالك من عيب أو نقص وازالة ما وفد به الاستعمار الثقافى من كل علائق الجاهلية (١) وأن أزمة الحركة الاسلامية الحاضرة قلة المربين من أصحاب المواهب الممتازة والصفات العالية .

ومن نافلة القول التأكيد على كون الداعية تقيا يخاف الله فى السر والعلن عاقلا وقورا رزينا ليس جامدا ولا طائشا ولا عابسا ، ذا مروءة ونظافة ونزاهة لبيبا قادرا على التربية ، وان اختلفت الأزمنة والأمكنة والأشخاص والأحوال لأن مهمته تدور حول تطهير القلب من الأرجاس ، والوصول بالمدعوين — على قدر الطاقة — الى الغاية المطلوبة ، فمن أسماء الدعوة — التبليغ — والمبلغ هو الداعى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) .. الآية(٢) ، والبلوغ هو الوصول والانتهاء ، وكان رسول الله

---

(١) الفتح الربانى ص ٢٩ .
(٢) سورة المائدة آية ٦٧ .

صلى الله عليه وسلم يجتمع بمن آمن به فى دار الأرقم ابن أبى الأرقم — وهى أول دار تربية وتعليم فى تاريخ الدعوة الاسلامية — والداعية بحاجة الى دراسة التربية الحديثة ووسائلها ، ويختار منها ما يناسب مهمته ، وينتفع بتجارب غيره من المربين ، فان ذلك يمده بامكانات كثيرة فى ميدان مزدحم بصنوف من الخلق وفنون من الملل ، والداعية بحاجة الى مقدرة ويقظة وذكاء وتفكير فى كل حالة أو وضع ومعرفة الطباع والعادات والخصائص وتقديم الأهم والأنسب حينئذ تسهل الصعاب التى تواجه الداعية فى التربية والتهذيب ويسعى لتعميق المحبة بينه وبين المدعوين بشتى الأساليب بالبهاشة والهدية والتقدير واللطف و ٠٠ و ٠٠ الخ ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول تهادوا تحابوا)[١] ويقول (هل أدلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم)[٢] متفق عليه ٠

ويجتهد الداعية أن يكون أهلا للثقة التامة وموضعا للاقبال والرضا ومثابة للناس بما يلمسونه فيه من الرحمة والوقار ، قال صلى الله عليه وسلم (انما أنا لكم مثل الوالد للولد)[٣] فكما يفكر ويجتهد الأب فى نفع وتربية أبنائه كذلك يكون الداعية ، فعندما ينهى عن أمر ويرغب فى فطام الناس عنه يستعمل التلميح فى أسلوب تربوى رقيق ، ولهذا كان الصحابة رضى الله عنهم يعرفون فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه غير راض بهذا الأمر فيتركونه ٠ وينبغى أن تكون أفعال الداعية وأقواله على قدر استيعاب المستمعين ومتلائمة مع مستوياتهم الفكرية ، قال على رضى الله عنه (حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله)[٤] .

---

(١) حديث ٠ رواه الترمذى ٤ ص ٤٤١ ، مسند أحمد ص ٤٠٥ ٠
(٢) حديث متفق عليه ٠ فى صحيح مسلم ١ ص ٣٥ ٠
(٣) رواه ابو داود والنسائى وابن ماجه نقلا عن مغنى الاسفار المثبت فى احياء علوم الدين ١ ص ٥٥ ٠
(٤) فتح البارى شرح صحيح البخارى ١ ص ٢٢٥ ٠

فمناسبة الأساليب التربوية لاستعداد المخاطبين لابد منها كى تحظى بالنجاح ، والداعية يغرس التوقير لرسول الله صلى الله عليه وسلم والتعلق بسنته وايثار هداه على أى منهج آخر ، ويوضح ذلك الشهيد سيد قطب بقوله " فلابد من امتلاء القلوب بالتوقير لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تستشعر توقير كل كلمة منه وكل توجيه ، وهى لفتة ضرورية ، فلابد للمربى من وقار ولابد للقائد من هيبة ، وفرق بين أن يكون هو متواضعا .. وأن ينسوا هم أنه مربيهم ... يجب أن تبقى للمربى منزلة فى نفوس من يربيهم (١).

والداعية المربى : يجرب ويقارن ولا يلتزم طريقة واحدة بل يكون أسلوبه فى التربية كما قال ابن القيم : يضرب فى كل غنيمة بسهم ويحاشر كل طائفة على أحسن ما معها (٢).

وللداعية فى مجال التربية وسائل شتى ، فمن ذلك التربية بالأحداث والتربية بالعادة والتربية بالرحلة وبالموعظة والتربية بالقدوة وغير ذلك من الوسائل المفيدة ، وسنتكلم عن ذلك بايجاز.

---

(١) فى ظلال القرآن ١٨ ص ١٢٧ .
(٢) مدارج السالكين ٢ ص ٣٧٠ .

التربية بالأحداث

لا يترك الداعية الأحداث تذهب سدى دون استخلاص عبرة وسوق توجيه بل يستغلها الداعية لتربية النفوس حتى لا يضيع أثرها بسرعة ، لأن الأحداث تترك فى النفس حالة خاصة هى الانفعال الذى كثيرا ما يصهرها انصهارا يمحص معدنها ويهز حقيقتها ، فينبغى الافادة من هذه الفرصة فى دعم اليقين وبناء الخلق وصقل الفكر — لأن الحادثة لها قوة مفروضة على النفس من الخارج (والمثل يقول : اضرب والحديد ساخن — لأن الضرب حينئذ يسهل الطرق والتشكيل ، أما اذا تركته يبرد فهيهات أن تشكل منه شيئا ولو بذلت مجهودا) .(١)

فالحادثة تسخن الطباع الحديدية ، والداعية المربى يطبع النفس فى حالة انصهارها على ما يريد ، ومن الحكم الأولى فى نزول القرآن منجما استغلال الوقائع فى مجال التوجيه الصحيح .

ولقد ربت الدعوة فى منشئها الأتباع بالأحداث ، ففى العهد المكى كان التوجيه الى الصبر وتوطين النفس على احتمال المكروه دون تململ فحادثة أبو بكر لما قام خطيبا فى مكة يدعو الى الاسلام ألانت قلوب المعاندين ، لقد ضرب حتى غشى عليه فلما فاق فى الليل ذهبت به أمه وأم جميل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت أمه اثر هذه الحادثة (٢) ، وكذا اسلام حمزه عم النبى صلى الله عليه وسلم اثر حادثة أذية أبو جهل

---

(١) أنظر كتاب منهج التربية الاسلامية لمحمد قطب ص ٢٥٦ .

(٢) البداية والنهاية ٣ ص ٢٧١ .

للنبى صلى الله عليه وسلم (١) .

أما العهد المدني فكان التوجيه الى رد العدوان بالقوة ورفض الخضوع والذلة ، فكلا الطرفين من الأحداث فى مكة والمدينة يصل الى هدف واحد هو العبودية الكاملة لله سبحانه .

ان الضغط تتعدد مصادره ، قد يجيء مرة من ناحية اليمين ، ومرة من ناحية الشمال ، وعلى الداعية أن يحسن التصرف حتى يصل الى التوازن المطلوب .

والذين يلتقون بالدعاة فى هذه الأيام ينبغى أن يفيدوا من سيرة السلف الصالح ، وأن يبصروا الأحداث بعين ذكية ، وأن يجعلوها نماء فى ايمانهم وثروة فى تجاربهم — فالذين هداهم الله فى مكة وذاقوا طعم الايمان دخلوا مرحلة أخرى فى المدينة لتعلو نفوسهم بالايمان ، وترتفع فوق الأهواء والشهوات .

ان الأحداث لا تجرف المؤمن فى تيارها ، بل هو الذى يسخرها فى سبيل الغاية التي يقصدها ، ويلقاها رابط الجأش باسم الثغر ، قال تعالى : (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا) (٢) .

---

(١) البداية والنهاية ٣ ص ٤٤ .
(٢) سورة المزمل آية ١٠ .

التربية بالعادة

الداعية الذكى يغرس العادات الحسنة فى أتباعه ، ويضع لذلك سياسة لبقة ، فالداعية القادر على استعمال العادة وسيلة من وسائل التربية يستطيع أن يحول صنوف الخير كله الى عادات مستحبة (تقوم بهـا النفس بغير جهد وكد ومقاومة ، ودون آلية فى الأداء [١] لأن الداعية يذكر دائما بالهدف المقصود من العادة والرباط الحى بين القلب البشرى وبين الرب سبحانه رباطا يتجلى فيه نور الايمان فلا ترين عليه أغشية الغفلة .

وأسوة الداعية فى استخدام العادة فى التربية يأخذها من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فيرى كيف بدأ صلى الله عليه وسلم بازالة العادات السيئة التى وجدها تسود البيئة العربية ، اما بالقطع الحاسم واما بالتدرج البطىء — ويرجع ذلك الى نوع العادة ومدى تمكنها — فالعادة المتصلة بالعقيدة قطعت من أول لحظة ، لأنها مرض خطير فلابد من استئصاله من جذوره والا فلا حياة — كالشرك مثلا وما ينبنى عليه ويستند اليه ، وكذلك عادة وأد البنات والعادات النفسية من كذب وغيبة ونميمة وغمز ولمز وكبر وغجهية ... الخ .

كل تلك العادات عولجت بالتوجيه المحيى للقلب ، قال تعالى :(لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين) [٢] ، وكذلك كل ما يقوم على الاتصال بالله فى السر والعلن . أما العادات المرتبطة بأحوال اجتماعية واقتصادية أو التى توصف بأنها من فروع الشريعة ، فقد عولجت بالتدرج البطىء مع استمرار الوعظ والتوجيه للتذكير بالغاية المنشودة ، وهذه العادات كالخمر والربا مثلا فهذه العادات كانت علة سارية فى المجتمع — فكان العلاج على مراحل .

---

(١) منهج التربية ص ٢٤٦ .
(٢) سورة يس آية ٧٠ .

فمعالجة الخمر تدرج بها التشريع الحكيم فكانت الاشارة الأولى لتحريمها فى قوله تعالى : (تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) (١) حيث فرق بين السكر والرزق الحسن ، فأحس الأذكياء من المسلمين أن السكر قبيح ، والاشارة الثانية قوله تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما) (٢) فان القاعدة عند العقلاء أن ما قارب الشىء يعطى حكمه ، وان للأكثر حكم الكل ، وما دام الاثم أكبر من النفع فان الأولى ترك الخمر ، وهذا أسلوب لطيف ، ولعل الناس تتحول عن عادتها بهذا المنطق ، الاشارة الثالثة قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) (٣) لقد ثبت أن التغلب على العادة المستحكمة لا يتم بغتة ، فالأمر يتطلب فترة لتكوين عادات أخرى على أنقاض الأولى ، وأوقات الصلاة فرض لهذا الخلاص المنشود ، وهنا تجيء الخطوة الأخيرة فى قوله تعالى : (انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) (٤) .

ويرى بعض العلماء أن تطهير المجتمع من رذيلة الربا تم على النحو الذى قضى به على الخمر فان الربا كان عادة متأصلة فى الحياة الاقتصادية وكان فطام الناس عنه دفعة واحدة ربما أعقبه رد فعل شديد فبدأ الاسلام يتناول القضية بأسلوب التدرج فى التشريع فأول ما نزل فى سورة الروم المكية قوله تعالى : (وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله) (٥) ثم ذكر الربا فى سورة النساء على أنه من المحرمات على الأمم السابقة وذلك فى قوله تعالى : (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا — وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) .. الآية (٦)

---

(١) سورة النحل آية ٦٧ .
(٢) سورة البقرة آية ٢١٩ .
(٣) سورة النساء آية ٤٣ .
(٤) سورة المائدة آية ٩٠ .
(٥) سورة الروم آية ٣٩ .
(٦) سورة النساء آية ١٦٠ — ١٦١ .

ثم جاء النهى عن أكل الربا أضعاف فى سورة آل عمران ، قال تعالى : (١)
(يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون)
وأجمع العلماء أن آخر ما نزل فى الربا الآيات فى سورة البقرة ابتداء من قوله تعالى : (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم) . (٢)

فبعد الاقناع بضرر العادة السيئة التى أشربت النفوس حبها يحتاج الأمر كذلك الى توفر ظروف مواتية تعين على الخلاص من تلك العادة ، ويبدأ الداعية باستحياء الرغبة واثارة الوجدان حتى يتحول النشاط النفسى الى عمل فى ذلك المحيط الطيب فمثلا الصلاة تقوم على الاتصال بالله وطلب العون منه ، لكن الشيطان يخذل عنها ويغرى بتركها ، وهنا نبدأ بتعويد الفرد عليها كى تتحول الى عمل واقعى محدود له أوقات وراسم وبعدها يصبح العمل عادة طيبة محببة سهلة على النفس ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : (٣)
(علموا أبناءكم الصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع)
لأن الطفل فى السنة السابعة لم يبلغ سن التكليف — ولكن ليصبح ذلك الأداء عادة سهلة له فى مستقبله الطويل ، أمر الآباء أن يأخذوا به أولادهم ليعتادوا عليه ، والاسلام دين الفطرة (فطرة الله التى فطر الناس عليها) (٤)
ففى الفطرة ميول ورغبات خيرة ، فما على الداعية الا أن يوقظها ويدفعها للعمل الصالح فيصبح مألوفا مستحبا .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٠ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٧٥ — ٢٧٦ .
(٣) حديث متفق عليه عند داود بلفظ (مروا أولادكم) ١ ص ١١٥ ، ومسند أحمد ص ٤٠٤ .
(٤) سورة الروم آية ٣٠ .

كل ذلك يكون فى اطار تربوى رائع مقتبس من سيرة خير البشر صلى الله عليه وسلم فأساليبه التربوية عليه الصلاة والسلام ناجحة يقينا ومن الميسور تطبيقها فى كل زمان ومكان وما على الداعية الا أن يعرضها فى ثوب واطار جديدين مناسبين لزمنه .

الرحلة

من قديم شعر المربون بما للأسفار من فائدة مادية وأدبية فحثوا عليها وقالوا بآثارها .

وقد وضعت برامج للسياحات والرحلات التى تضم لفيفا من الطلاب ، وتقطع بعيدا أو قريبا من المسافات وتكشف جديدا وطريفا من البلاد والمعارف وعندما نحسن توجيه هذه الرحلات العلمية والاجتماعية نكسب منها ثمرات عظيمة ، ونغرس بها فى نفوس الشباب مبادئ وتقاليد وذكريات حسنة ، خصوصا اذا كانت هذه الرحلات تضم مزيجا من ضروب الثقافة والتسلية ، فانها عندئذ تجمع المتعة والحكمة والموعظة والطرفة ، وهذه الرحلات تبعد الأشخاص من المحيط الذى ألفوه الى محيط آخر غريب عليهم ، يفرض عليهم سلوكا جديدا ، ويكشف معادنهم فيتربى الأشخاص تحت اشراف الدعاة تربية عميقة ، ويظهر ذلك عندما تشمل الرحلة برامج كاملة من التربية بالقرآن والسنة والحكم والأمثال والطرفة اللطيفة والألعاب المفيدة .. و .. الخ . ان الرحلات من هذا النوع تشمل تربية الروح والعقل والجسم ، واليكم هذا النموذج من سياسة داعية اسلامى كبير هو الشهيد حسن البنا رحمه الله : كان يلتقى بتلاميذه من الشباب فى رحلات تستمر يوما أو بعض يوم — حسب الامكان فان لم يتيسر ذلك ففى لقاءات داخل المدينة ، يصلى بهم صلاة طويلة مطمئنة

يقرأ فيها من طوال المفصل من آيات القرآن ، ثم يقدمهم تباعا للامامة ، يدربهم بتدريبهم ويزرع فيهم الثقة بأنفسهم ، ويضطرهم من بعد للحفظ والتجويد ويتناولون طعاما مشتركا — وأثناء تناول الطعام يذكر لهم ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آداب الطعام والشراب ، ويقوم واياهم بتدريبات رياضية ، يذكرهم خلالها بما ورد فى آداب الرمى والسباق والقوة والجهاد ويجلس معهم جلسات روحية لتلاوة القرآن وتدبره وذكر الله تعالى ، تتخللها أحيانا القصص المشوقة والحكايات الهادفة ، ويغلب فيها التأثر والبكاء أحيانا — من خشية الله سبحانه — فترق القلوب ، ويدعوهم كذلك لقيام الليل — .. بالعبادة .. — فرادى وجماعات ويكون هو أسبقهم لذلك ، ويدربهم على أساليب الخطابة والدعوة مع نقد متبادل للخطباء بعضهم لبعض ، حتى يفك عقد ألسنتهم ويعطيهم الخطوة الأولى لتصدر الجماهير .

فى هذه الرحلات واللقاءات يتوفر الحب العميق والتعارف الدقيق وتتهذب الطباع ، وتلين القلوب وتمتلىء نفوسهم بالذكريات الجميلة التى تجعلهم جميعا يتطلعون للاجتماع القادم مغالبين كل الأعذار بدلا من أن ينقطعوا عن الجماعة بانتحال شتى الأعذار (١) ، ولاشك أن البعد عن البيئة الأولى هو تفريغ للطاقة ، وما يحدث أثناء الرحلة يملأ ذلك الفراغ بالخير .

يستعمل الداعية فى الرحلة كل ما يستطيع من وسائل التربية للوصول بهم الى المراد ، ولقد كانت سرايا الرسول صلى الله عليه وسلم رحلات بالغة النفع ، حيث دعمت مجتمع الصحابة — رضوان الله عليهم أجمعين — مدنيا وعسكريا ، وعاد منها المجاهدون أصح بدنا وروحا ونظاما وحبا .

ولقد اشتهرت الرحلات النافعة التى قام بها السلف الصالح كالشافعى وأحمد والبخارى وغيرهم ، فعادت بالفائدة الكبيرة على العلم ونشره والدعوة اليه وتكوين مدارسه الكبرى فى المدائن والقرى .

---

(١) انظر كتاب : كيف تدعو الناس لعهد البديع صـ ر ص ١٣٧ .

ويلزم الداعية فى أثناء الرحلة وغيرها أن يكون منبعا فياضا بالايمان والمحبة ، وعلاقته بمن حوله تقوم على جمع الأفئدة ورص الصفوف وازالة الثغرات ومنع أسباب الفرقة والبغضاء ويحقق فيمن حوله قوله جل شأنه (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون)(١) ويتطلب هذا الأمر من الداعية شدة القرب من الناس يؤلفهم ولا ينفرهم ويبسط لهم نفسه ويده بالايناس والعطاء .

وفى مجتمعات الطلاب والشباب يتضاعف الواجب فى تحقيق المؤاخاة والمواساة وبذل المال والجاه والخدمة والفكاهة المرحة الهادفة وبعض الألعاب الرياضية والمسابقات الثقافية والعطاء على شكل جوائز فى نهاية معسكر الرحلة — لأن العطاء مرغب فيه حيث جعل قسما من الزكاة للمؤلفة قلوبهم ، وقال صلى الله عليه وسلم (انى أعطى الرجل وغيره أحب اليّ منه) .. الخ الحديث .(٢)

وهناك ألوان أخرى من استمالة الناس كالهيار الجذاب والحكمة البالغة والبرهان الساطع والسلوك المثالى والفكر النير ، وكل لون له أناس يتأثرون به ، وينبغى أن يلمس الناس الانصاف والعدل فى حياة الداعية فلا يجامل أحدا مهما اقترب منه بل يصدع بالحق وينهى عن المنكر ويلزم الانصاف ويحترم الحدود المقررة ، ويلزم بها القريب والبعيد ، ويسعى الداعية جاهدا فى تقوية مشاعر الاخاء والحب فى الله اقتداء بالسلف الصالح ، حيث يبرز الترابط فى أعلى صوره بين المهاجرين والأنصار فى اخاء قائم على الايثار ، قال تعالى : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)(٣) فكان المسلمون فى المدينة كيانا نقيا اختفت فيه عصبية الأنساب ، وبرز فيه شىء واحد هو الولاء لله ورسوله والجهاد لنصرة الحق ، كان مجتمعا نموذجيا قليل النظائر فى تاريخ الانسانية فلا عجب اذا تمكنوا — بهذه القلوب المتآلفة — أن فرض نفوسهم على الحياة يوجهونها كما يريدون .

---

(١) سورة الحجرات آية ٧ .
(٢) الحديث رواه البخارى . أنظر فتح البارى ١ ص ٧٩ .
(٣) سورة الحشر آية ٩ .

التربيـــة بالقـــدوة

بم يؤثر الداعية فى الناس ؟ بفصاحة لسانه وبراعة بيانه ؟ ربما ، ولكن الأثر الذى لاشك فيه هو سمو الخلق وشرف العمل واستقامة الضمير .

نعم يلاحظ الباحث فى سيرة الدعاة أنهم كانوا أكثر تأثيرا فى النـاس بسلوكهم وثبات أخلاقهم ، وكرم طباعهم ، وان هذا لهو العنصر الأول فى قبولهم ونجاحهم . لأن صلاح الداعية أبلغ من خطبة أو كتاب ، فخلقه يجذب اليه الأفئدة ، ويجمع عليه القلوب ، وعين الجمهور فاحصة تلتفت الى حسن السيرة أكثر مما تلتفت الى حسن الحديث .

فالداعية الموفق يهدى الى الحق بأفعاله وهو مثل حى للهادىء التى يحتقها وكم شكا الناس فى الماضى والحاضر من دعاة يحسنون القـــول ويسيئون الفعل ، وعندما ينكب الدين بأقوام كثيرين على هذا الغـــــرار فالمجال واسع لشيوع الالحاد وانتشار المعصية والعدوان .

ومن العجيب أن هناك نفرا ممن يتسمون بالدعاة يحسبون أن ما يقولون لغيرهم من علم انما هو أمر يخص المخاطبين فحسب وقد يعنى الناس أجمعين الا اياهم .

انهم نقلة علم وحسب — أشرطة مسجلة — (أو اسطوانات معبأة) — تدور بعض الوقت ليستمع الناس اليها وهى تهرف بما لا تعرف ، ثـــم تودع أماكنها لتدار مرة أخرى اذا أحتيج اليها .

ان هذا الجماد الذى أنطقه الذكاء الانسانى هو صورة للجماد الـــذى

أنطقه الاحتراف ، أو الانسان الكذوب الذى ينصح الجمهور بأمور هو أبعد ما يكون عنها ، وينفرهم من أشياء هو أقرب ما يكون فيها ، والدعاة الذين يحيون على ذلك النحو المتناقض هم آفة الايمان وسقام الحياة وهم الثقل الذى يهوى بالمثل ويمرغها فى الأوحال . وذاك سر تشبيههم تارة بأنهم حمير وطورا بأنهم كلاب ، ولم يوصمون بهذه الألقاب الشائعة ؟

ذلك أنهم تكذيب عملى للكلام الذى يلقون ، والمهدأ الذى اليه ينتمون .. وأنهم بمسلكهم دليل على أن الشهوة تغلب العقل ، والهوى يهزم الرشد أى أنهم عذر قائم بين يدى كل مقصر ، وإياس من الصلاح الحق امام بغاتة من السامعين والمظلمين .

وكثير من هؤلاء المنتسبين الى الدين بألسنتهم ، الخارجين عليه بأعمالهم من يلون الدين برغبته ويمزج تعاليمه بشهوته . فهو أولا يتعرف ما يشتهى فاذا حدده ألبسه ثوب الدين ، وربما اقنع نفسه بأن شهوته هذه حق محض ، ثم سعى الى بلوغها وكأنما هو يؤدى عبادة ولا يشبع نهمه . وقد يقاتل دونها وهو يزعم انما يقاتل عن دين .

(ان هذا الفساد المعقد عد نفر من الدعاة لعنة ما حقه ، وذاك سر تناولهم بأقسى عبارة ، قال تعالى : (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون)[1] ، ان الرجل القذر البدن لا يغنى عنه أن يحمل بين يديه قطع الصابون ، والكريه الرائحة لا يجديه أن يرى ومعه زجاجات من العطور .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٥ — ١٧٧ .

ودعاة الدين الذين تهب من سيرتهم سموم حارقة انما هم عار على الدين وصد عن سبيله .

وقد عاب الله على أحبار اليهود أنهم كانوا دواب ناقلة لكتب العلم ، لا بشر كراما يحسنون الافادة مما منهم ، قال تعالى : (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين)[١] ، (والمراد من الدعاة المسلمين أن يتحسسوا أنفسهم وأن يداووا ما قد يكون بها من علل)[٢] ومما يؤكد ذلك قوله تعالى (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون)[٣] فاذا خالف الداعية الى ما نهى الناس عنه يدخل فى المقت وهو أشد الغضب لله عز وجل وقد عاتب الله سبحانه هؤلاء فى آية أخرى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)[٤] فالذى يأمر الناس بالخير ولا يأتيه وينهى الناس عن الشر ويأتيه ، يدور فى جهنم يجر أقتابه — أمعاءه — كما يدور حمار الرحى ، وقد ورد بهذا المعنى حديث صحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ولقد أكد الامام الغزالى هذه المعانى وأهاب بالداعية أن يتمسك بالمبادىء التى ينادى بها وأن يعمل على تحقيقها ، ونصح الداعية بأن لا ينادى بمبدأ ثم لا ينفذه ، ويأتى أفعالا تناقض هذا المبدأ ، وعليه أن لا يرضى لنفسه من الأعمال ما ينهى عنه غيره .[٥]

---

(١) سورة الجمعة آية ٥ .
(٢) أنظر كتاب مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة للشيخ محمد الغزالى .
(٣) سورة الصف آية ٢ — ٣ .
(٤) سورة البقرة آية ٤٣ — ٤٤ .
(٥) احياء علوم الدين ١ ص ٥٨ .

ومن أروع ما نظم فى هذا الخصوص قول أبى الأسود الدؤلى :

يا أيها الرجل المعلم غيره ∴ هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى ∴ كيما يصح به وأنت سقيم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله ∴ عار عليك اذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ∴ فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما وعظت ويقتدى ∴ بالعلم منك وينفع التعليم

وقال يحيى بن معاذ :

مواعظ الواعظ لن تقبلا ∴ حتى يحبها قلبه أولا
يا قوم من أظلم من واعظ ∴ خالف ما قد قاله فى الملا
أظهر بين الناس احسانه ∴ وبارز الرحمن لما خلا

الداعية الذى لا يعمل بعلمه كمثل المصباح يضىء للناس ويحرق نفسه ، يروى أن عتبة بن أبى سفيان قال لمؤدب ولده : ليكن أول ما تبدأ به من اصلاح بنى اصلاح نفسك فان أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت (١)

يقول أحد أخصائى التربية : هيهات أن يصلح الأسف ما أفسده العمل (٢)

ويقول المجاهد العلامة أبو الأعلى المودودى : فالداعى هو الذى يصلح حياته لصالح هذه الدعوة قبل كل شىء فانه ما ان يشرع فى دعوته الا وترتفع العيون الناقدة ، والأنوار الكاشفة من كل صوب فاذا كان فى حياته

---

(١) التربية فى الاسلام للأهوانى ص ١٩٤ نقلا عن البيان والتبيين ٢ ص ٥٣ .
(٢) فن التعليم لـ: جلبرت هايت ، ترجمة محمد فريد أبو حديد ص ٣١٥ . نقلا عن بحث د . محمد الزحيلى ص ٧ بعنوان " المعلم وأثره فى التربية الاسلامية " المقدم لمؤتمر التعليم العالى الذى أقيم تحت رعاية جامعة الملك عبد العزيز بمكة .

أيسر شيء يتنافى مع دعوته وعقيدته فان هؤلاء المحاسبين المتطوعين يثيرون عليه الضجة ويكبرونه[١] في عينيه ولا يزالون به حتى يجبرونه على الاقلاع عنه .

والداعية المطبق لما يقول لا يزال في توف في الأعمال الصالحة ، لأنه يستفيد من جهود النقاد — خاصة ان وجد ذلك النقد في مجلة — فالاناء الذي تشتغل به عشرات الأيدي كفيلة بنظافته في وقت قصير[٢] ، والتناقض بين الكلام والعمل يهدم كيان الشخصية ولاسيما الداعية لأن كلامه أفضل كلام ، ولابد أن يكون عمله أفضل الأعمال ، قال تعالى : (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) .[٣]

والناس لا يكتفون بتضخيم عيوب الدعاة الى الله بل يجاوزونها الى الاسلام فيحكمون عليه من خلال الداعين اليه ، فلا يقولون ان فلانا عمل كذا وكذا ولكنهم يقولون : ان الاسلام عجز عن اصلاح أهله ، اذا فهو أعجز عن اصلاح الغرباء عنه فيقررون مخطئين ، ان الاسلام نظام فاشل يصلح للتجارة بالمثل وليس دينا واقعيا لاصلاح الأنفس والسمو بها عن الواقع السيء (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) .[٤]

لذا كان واجبا على الداعية الالتزام العملي الدقيق بتعاليم الاسلام تعظيما له أن ينتقده الجهال — على الأقل — من خلال سلوكه وصيانة لشخصه أن يهان ، يقول القاضي الجرجاني :

---

(١) أي يكبرون العيب .
(٢) أنظر كتاب تذكرة دعاة الاسلام ص ٢٩ .
(٣) سورة فصلت آية ٣٢ — ٣٣ .
(٤) سورة الكهف آية ٥ .

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ∴ ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا ∴ محياه بالأطماع حتى تجهما (١)

فالتزام الداعية بالقدوة يخفف عن نفسه عناء الساعات الطوال التى يقضيها من أجل المناقشة والاقناع .

ولابد من انسان يحمل المنهج ويحوله الى حقيقة ، كى يعرف الناس أنه حق ثم يتبعوه ، قدوة يبدو فيها الجهاد وقوة العقيدة فليكن الداعية لواء — يحتشد حوله المصدقون والمخلصون .

لذلك بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم ليكون قدوة للناس ، قال تعالى : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) (٢) حيث وضع الله فى شخصه صلى الله عليه وسلم الصورة الكاملة للمنهج الاسلامى صورة حية خالدة على مدار التاريخ .

سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن .

اجابة دقيقة عجيبة مختصرة شاملة ، كان خلقه القرآن — كان الترجمة الحية لروح القرآن وحقائقه وتوجيهاته ومن ثم كان — كالقرآن — قوة كونية عظمى قوة من صنع الله يتكامل فيها الناموس وتتكامل فيها القوى) . (٣)

---

(١) أنظر كتاب : طرق تدريس الدين للأستاذ الهاشمى ص ٣٠٥ والرسالة المحمدية للندوى ص ٢٧ .
(٢) سورة الأحزاب آية ٢١ .
(٣) أنظر كتاب منهج التربية الاسلامية لمحمد قطب ص ٢٢٢ .

فالأنبياء كلهم كانوا قدوة ، ولهذا ذكر الله عن النبى شعيب فى قوله تعالى : (قال ياقوم أرءيتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب . (١)

فهذا النبى يجعل نفسه قدوة للمخاطبين فاذا نهاهم عن شىء فلا يخالفهم فى ارتكابه بل يكون هو أول المنتهين ، وكذلك اذا أمر بشىء يكون الأول فى تطبيقه ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلح الحديبية لما أمر الصحابة بالتحلل ، كان صلى الله عليه وسلم أول من حل من احرامه ثم امتثل جميع الصحابة فحلوا من احرامهم ، فالقدوة أثرها أبلغ من القول ، وذلك معنى الأولية التى نهض بها الرسول صلى الله عليه وسلم وشرفه بها ربه بأن جعله أولى من يستسلم لأمره فى قوله تعالى (قل انى أمرت ان أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين) . (٢)

وهكذا يطلب الدعاة من الله أن يجعلهم قدوة للمتقين (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما) (٣) ، لأن الداعية كالسراج ، وعادة ما يكون السراج أمام الشاة ليضىء لهم الطريق ، يقول الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم (يا ايها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا) . (٤)

لقد سرى هذا النور فى القلوب وفاض فى الوجود وكشف الطريق للناس ، فساروا فيه مهتدين ، يعرفون غايتهم ، ويمتلئون اعتزازا لها ، ويستعذبون الصعب فى سبيل نصرتها .

---

(١) سورة هود آية ٨٧ ـ ٨٨ .
(٢) سورة الزمر ١١ ـ ١٢ .
(٣) سورة الفرقان آية ٧٣ ـ ٧٤ .
(٤) سورة الأحزاب آية ٤٥ ـ ٤٦ .

لقد بهر ذلك النور نفوس الناس فتعلقت به وأحبته كما لم يحب أحـــدا أحدا فى العالمين ، ولقد قامت المعركة بين الحق والباطل كما كان طبيعيا أن تقوم وانتصر الحق كما كان يوثب له أن ينتصر ، فانزاحت الظلمة التى كانت تحجب النور عن الناس وبقى هدى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ساطعا (وسراجا منيرا) كما أراده الله يهدى الناس — هداية تعليم — خـــلال القرون المتعاقبة ، ويربط قلوبهم بالله على الحب والاخلاص .

كان صلى الله عليه وسلم يمشى وكأنما يتقلع من الأرض تقلعا ويمضى فـــى الأمر كأنما كل نفسه فيه ، يسلم على الناس بجميع يده فى حرارة وقـــوة يوضى من كل نفسه فيعرف أصحابه فى وجهه السرور ، ويغضب فيبـــدو الغضب على وجهه ويدر عرق فى جبهته .

انها القوة الحيوية الفياضة فى كل اتجـاه . رجل سياسة يشيد أمـــه من الفتات المتناثر ، فاذا هى بناء ضخم لا يطاوله شىء فى التاريخ ، ويفسح هذا البناء من وقته وفكره كل طاقته ما يشغل وحده حياة كاملة .

ورجل حرب يضع الخطط ويقود الجيوش ويحارب وينتصر كقائد متخصـــص كل همه القتال متفرغا له عن كل ما عداه .

وأبو أسرة كبيرة كثيرة النفقات من المال والوقت والجهد كرجل متخصص للأبوه على أعلى نسق شهدته الأرض .

وصديق قريب للناس تشغله همومهم ، وتملأ نفسه مشاعرهم ويعودهم ويزورهم ويعينهم ويمنحهم من مودته وعطفه ما يشغل رجلا انسانى القلـــب يهب حياته كلها لشئون الناس .

وعابد متحنث لربه كرجل منقطع للعبادة متخصص لأدائها لا تصـــله

بالأرض رابطة ولا يشغله هم من الهموم ولا تجيش فى نفسه نوازع ولا تتحرك فى كيانه رغبات .

ومع ذلك كله فهو قائم على أعظم دعوة شهدتها الأرض ، الدعوة التى حققت للانسان وجوده الكامل وتغلغلت فى كيانه كله فمدته الى أقصى اتساع .

وكان بعثه صلى الله عليه وسلم فى هذه الصورة المتكاملة الشاملة ، كحكمته فى انزال القرآن على هذا النهج الشامل المعجز العظيم .

كان صلى الله عليه وسلم قدوة للناس فى واقع الأرض ... وكان مربيا وهاديا بسلوكه الشخصى قبل أن يكون بالكلام الذى ينطق به — سواء من ذلك القرآن المنزل أو حديثه عليه الصلاة والسلام ... .

ان هذه القدوة باقية ما بقيت السماوات والأرض للناس كافة ، قال تعالى (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا)(١) .

اذا .. لابد للناس من قدوة هم — دعاة الخير — تطبعهم بطابع الاسلام وتقاليده النظيفة ، لكى يحملوا الأمانة لمن بعدهم من الأجيال وقدوة الداعية : ان يتحقق فى شخصه المبادئ التى يدعو اليها حتى ينسج على منواله المدعوون .

يرى الداعية — صاحب القدوة — الأفراد ومن ثم تكون الأسرة النظيفة المسلمة ، فينشأ جيل مسلم يحقق فى نفسه مبادئ الاسلام يأخذها بالقدوة

---

(١) سورة سبأ آية ٢٨ .

(*) استفدت مما كتبه الشيخ محمد قطب فى كتابه منهج التربية الاسلامية ص ٢٢٩ .

المباشرة التى يراها فى الدعاة مقتبسة من الرسول صلى الله عليه وسلم .

ان الدعوة الى الاسلام تكون اولا بغرض ثماره فى الاخلاق و الاحوال ، وأن يجعل الاسلام قدوته الدائمة فى شخصية صلى الله عليه وسلم ليحققها الدعاة على سبيل الخصوص فى ذوات أنفسهم كل بقدر ما يستطيع أن يقبس ، وبقدر ما يصبر على الصعود ، ومن ثم تظل حيوية الدعاة دافعة شاخصة . . . لأن القدوة أعظم وسائل التربية فى المنزل والمدرسة وسائر الميادين ، قدوة دائمة تحى المشاعر ،وشواهد ذلك واضحة فى انتشار الاسلام أيام السلف ، فعندما رأت الشعوب نماذج خلابة فى سير الدعاة لم يلبثوا غير قليل حتى زاحموهم وناقسوهم ، واعتنقوا الدعوة ليعملوا بها مثل أو أجل من أصحابها الذين نقلوها ، وهذا مصداق قول الرسول صلى الله عليه وسلم (رب مبلغ أوعى من سامع)[1] (رب حامل فقه الى من هو أفقه منه)[2] ، الاعجاب بالاسلام فى أحوال الدعاة هو السهب الفعال فى اقبال الجماهير على الاسلام وتطبيقهم لمبادئه .

فنؤكد بأن القدوة وما يبعث على الاقتداء من اعزاز واعجاب هما السبيل الممهدة لنشر الدعوة فى أوسع نطاق ، ولا تزال السرعة التى انتشر بها الاسلام فى أقطار فيحاء موضع عجب وتساؤل .

وعند التأمل الصادق نجد أثر القدوة فى انتشار الاسلام واضحا فى افريقيا وجنوب آسيا وأندونيسيا ونحوها .

فهؤلاء التجار الذين يحملون الاسلام فى سلوكهم ومعاملاتهم وأخلاقهم هم الذين جذبوا سكان هذه البلاد الى الدخول فى الاسلام دون قتال . نعم انتشر الاسلام بالقدوة أكثر مما انتشر بطريق الخصام والشدة ، يقول العقاد : (فجملة من أسلموا فى البلاد التى انتصرت فيها جيوش الدولة الاسلامية

---

(١) مسند أحمد ٥ ص ٣٩٠

(٢) المصدر السابق ٤ ص ٨٠ .

هم الآن أربعون مليونا أو خمسون ، بين الهلال الخصيب وشواطىء البحرين الأبيض والأحمر ، أما الذين أسلموا بالقدوة الفردية الصالحة فهم فوق المائتين من الملايين ، أو هم كل من أسلم فى الهند والصين وجزائر جاوة وصحارى افريقيا وشواطئها الا القليل الذى لا يزيد فى براءته على عشرات الألوف).[1] وهذا احصاء قديم ولكن النسبة صحيحة ، ويمكن القول أن النسبة تتزايد على مر الزمن .

فكم من أسوة استطاعت الاصلاح وكم من فعل أغنى عن البيان والتفسير وان المسلمين اليوم بحاجة ماسة الى الأسوة الحسنة التى تشق الطريق أمامهم ، وقد يما قيل : حال انسان فى ألف — أجدى من مقال ألف لانسان . ولذا قال أحد الدعاة المعاصرين : ان أفرادا كثيرين يسلمون من أوربا وأمريكا فاذا جاؤا الى أكثر البلاد العربية فجعوا لأنهم لم يروا تلك النماذج التى قرؤوا عنها فى تاريخ الاسلام .

ولنتأمل ما حكى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث كان : اذا نهى عن شيء جمع أهله فقال : (انى نهيت الناس عن كذا وكذا ، وان الناس ينظرون اليكم كما ينظر الطير الى اللحم ، فان وقعتم وقعوا وان هبتم هابوا ، وانى والله لا أوتى برجل منكم وقع فيما نهيت الناس عنه الا ضاعفت له العذاب لمكانه منى فمن شاء منكم فليتقدم ومن شاء فليتأخر).[2]

وهذا يبين تأثير قدوة الداعية فى الامتثال وهذا نموذج آخر من سير السلف الصالح — دعاة الخير — قال أبو بكر بن أبى سبره ، لما رد عمر بن عبد العزيز المظالم قال : انه لينبغى ان لا أبدأ بأول من نفسى فنظر

---

(١) أنظر كتاب الاسلام فى القرن العشرين للعقاد ص ٣٤ .
(٢) أنظر الطبقات لابن سعد ١ ص ٢٠٧ ، وسيرة عمر لابن الجوزى ص ٢٠٦ ، والكامل لابن الأثير ٣ ص ٥٨ .

الى ما فى يديه من أرض أو متاع ، فخرج منه حتى نظر الى فص خاتم فقال : هذا مما كان الوليد بن عبد الملك أعطانيه مما جاءه من أرض المغرب فخرج منه .

وأخبرنا محمد بن عمر قال : أخبرنى ابن أبى سبره عن عبد المجيد بن سهيل قال : رأيت عمر بن عبد العزيز بدأ بأهل بيته فرد ما كان بأيديهم من المظالم ، ثم فعل بالناس بعد (١) .

لقد كان لتلك القدوة أثرها العميق فى الناس ، حتى انه فى مدة سنتين تقريبا — زمن تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة — صلح أمر المسلمين فى جميع الميادين .

وهذا مالك بن المنذر أب داعية يرى أبناءه بالقدوة يوصيهم ويقول : يابنى قد أتت على ستون ومائة سنة (١٦٠ سنة) ما صافحت بيمينى ، يمين غادر ولا طرحت عدى موسه قاعها ولا بحت بسرى لصديق ، ... فاحفظوا وصيتى : الهكم فاتقوه يكفكم المهم من أموركم ، وان موتا فى عز خير من حياة فى ذل . (٢)

ولهذا كان عمر رضى الله عنه يوصى قادة الجيوش التى ذهبت للدعوة الى الله بالمحافظة على الأعمال الصالحة — الالتزام بالقدوة — ويقول : انى أخاف عليكم الذنوب أكثر من بأس العدو) .

---

(١) أنظر الطبقات لابن سعد ٥ ص ٣٤١ .

(٢) أنظر كتاب كيف ندعو الى الاسلام لعبد البديع صقر ص ١٠٦ .

وهكذا قادة الدعوة على مر الزمان فصلاح الدين الأيوبي لم تفته صلاة مع الجماعة الا في مرض موته ، وكذا محمد الفاتح والظاهر بيبرس وغيرهم من قادة الفتح الاسلامي بهروا الناس بالتزامهم بالدين ، وربوا الأتباع بالقدوة الصالحة فلابد من موافقة أفعال الداعية لأقواله ، فان هذا أدعى للاقبال عليه وقبول قوله .

... .

الخاتمة

بعد أن انتهيت من عرض أهم صفات الداعية المسلم ، وصلت الى نتائج كثيرة أهمها الآتي :

١ — ضرورة اعداد الدعاة لاخراج الأمة من هذه المتاهة التي تميل بها نحو الشرق أو الغرب وهي مع كلتا الجهتين أضيع من الأيتام على مائدة اللئام ، ثم انقاذها من الملحدين والفساق الذين يجرون الناس جرا الى الجريمة ، ويصرفونهم عن العبادة ويزينون لهم الشر بألف وسيلة حتى يهجروا الايمان والعمل الصالح .

٢ — اننى متفائل لمستقبل أمتنا ، وقدرتها جيلا بعد جيل على استئناف حياة أفضل وذلك ليقيني بأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال : (لاتزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) .(١) وقوله صلى الله عليه وسلم (ان الله يبعث الى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) .(٢)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ٣ ص ١٥٢٤ ، ورواه أحمد في المسند ٥ ص ٢٧٨ وروى نحوه البخاري في صحيحه ٩ ص ١٢٥ ، والترمذي في سننه ٤ ص ٤٨٥ وقال حديث حسن صحيح وصححه كذلك الألباني في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣ ص ١٣٥ .

(٢) رواه أبو داود في السنن ٤ ص ١٥٤ وذكر ان له سندين ، أحدهما موصول والآخر معضل ، ورواه الحاكم في المستدرك ٤ ص ٥٢٢ وسكت عليه الذهبي وقد صححه جماعة من الأئمة كالزين العراقي في فيض القدير ٢ ص ٢٨٢ وصححه السيوطي في كتابه التنبئة بمن يبعثهم الله على رأس كل مائة — المثبت في كتاب المجددون في الاسلام ص ٦٢ وهذه عبارته (اتفق الحفاظ على أنه حديث صحيح . قال الالباني واسنده صحيح ورجاله رجال مسلم في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢ ص ١٥٠ — ١٥١ .

وقد يكون المجدد واحد أو أكثر من واحد ، والمتتبع لتاريخ الأمة الاسلامية يجد أنها كلما وصلت الى مأزق أو منعطف أو منحدر هيأ الله لها رجالا متمكنين خلقا وعلما يصرفونها بالصراط المستقيم ويحذرونها من تغرير الشياطين حتى تبقى وفية لرسالتها أهلا للمكانة التي رشحها الله لها عندما قال (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .. الآية .(١)

٣ — ايماني بأن لكل داء دواء ، وأمراض الأمة في الحاضر كعللها في الماضي لها دواء ، تكفل به الوحي الأعلى (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) .. الآية .(٢) ولم تنضب خلية الدعاة ولن تنضب وسيظل لواء الحق مرفوعا باذنه تعالى كلما طلعت رؤس الفتنة انتصب من يقطعها ويقي المسلمين شرها ، والأمر يحتاج الى تعاون أهل الايمان فضخامة الشر المعاصر لا يتصدى لها شخص بعينه كي يبطلها .

ان تجمع الدعاة حقيقة اجتماعية ، والساحات التي تنتظرهم كثيرة ، وميدان الاصلاح فسيح ، وقد أصبح العالم كله كالبلدة الواحدة بعد ما تقارب الزمان والمكان اثر المخترعات الحديثة في عالم الاتصال والنقل ، فلابد من قوى بشرية مخلصة تعمق الايمان في القلوب وتنشره في الأقطار ، قوى رجال يضحون في سبيل الله بكل غال ونفيس لا بحماس طائش بل بحكمة بالغة وأخلاق عليمة وخطط مدروسة .

٤ — العلم الواسع ثروة لابد منها للداعية ، وقد بين ذلك الرب سبحانه بقوله (قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) (٣) وذلك كي يمزق حجب الغفلة وليوقظ

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٠ .
(٢) سورة الاسراء آية ٨٢ .
(٣) سورة يوسف آية ١٠٨ .

المقصرين فى واجبهم ويحسن قيادتهم الى الكمال والخير ، قال تعالى : (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون) (١) فكم من مبتعد عن الجادة تكفيه فى العودة اليها همسة ناصح أو صيحة زاجر ، فاذا هو راجع الى الله ، وكم من شعوب تاهت لأنها لا تدرى أو تدرى ولكن الذهول غلبها فشردت حتى هوت ، وطالما عصف النسيان بأفكار أجيال من الخلق فبعثهم على السير فى الحياة دون وعى أو هدف ، قال تعالى : (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم) (٢)

٥ ـ تأكيد الحاجة الماسة الى قدرة الداعية على البيان والتوجيه اذ هما منافذه الى الناس ، وبقدر تمكنه من ذلك تكون نتائجه أنضر ، ويكون قد أدى ما عليه نحو ربه جل جلاله ثم نحو الأمة .

والدعوة الى الله ليست منصبا يصلح له أى انسان بل لا يرشح لهذا المنصب الا من استجمع خصائص فكرية ونفسية عالية وهذه السمات المنشودة تعين من جند نفسه للدعوة ، وتهديه طريق النجاح ، ومع قلة الهداة الموفقين نجد الحاجة ماسة الى المزيد من هؤلاء القادة الذين يأخذون بيد الأمر .

والأمة الاسلامية شديدة الوفاء والحب لهؤلاء القادة المصلحين ، بل ان العالم الاسلامى يتابع أخبار أولئك الدعاة المعاصرين ويحسن الاصغاء اليهم ، ويهرع الى ملاقاتهم حيث كانوا وحبه لهم لأنه يشعر بأنهم يؤدون واجبهم فى حراسة الحق ومكافحة الاثم والعدوان ، فهم فى كيان الأمة مثل كرات الدم البيضاء التى تهب لتقابل العدوان فى جسم الانسان ولو تلاشت فى هذه الغاية .

---

(١) سورة يس آية ٦ .
(٢) سورة الأنبياء من أول السورة الى آية ٣ .

والدعوة الى الله من أحسن الأعمال وأفضلها ويكفيها شرفـــا أن أن اختارها الله له وصفا حيث قال (والله يدعو الى دار السلام ويهـدى من يشاء الى صراط مستقيم) (١) ، والداعية الناضج يتحمل عـــبء الاستخلاف عن الله جل شأنه بين الناس فى هذا العمل الجليل اذ هو يرغب فى الجنة ويرهب من النـار .

وكلما بذل الداعية جهدا ينقذ الله به انسانا من براثن الشيطـــان وفى رصيده عند الله وارتفعت درجته فالدال على الخير كفاعله .

ولا يضير الدعاة أن يقل اتباعهم ، ففى الحديث الصحيح : أن الأنبياء يحشرون يوم القيامة ، وربما كان مع النبى منهم الواحد والاثنان والرهـط أو ليس معه أحد وتلك على أية حال هى التجارة الرابحة ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنـون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكـــم ان كنتم تعلمون) (٢)

وتبين لى أخيرا أن الداعية الحق يجمع بين بصيرة العالم وحنـــان الأم وفكر الساسة وخلق التاجر الصدوق وتنظيم المخلف وحياة الفطرة .

... ...

---

(١) سورة يونس آية ٢٥ .
(٢) سورة الصف آية ١٠ ـ ١١ .

المراجع

(أ)

١ ـ القرآن الكريم ٠

٢ ـ الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ـ طبع سنة ١٣٢٨ هـ ـ مطبعة السعادة بمصر ٠

٣ ـ احياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى ـ ط : دار المعرفة واحياء التراث العربى ٠ بيروت ٠

٤ ـ أبو حنيفه النعمان لأبى زهرة ـ طبع دار الفكر ٠

٥ ـ الأذكار للنووى ـ طبع عيسى البابى الحلبى ٠

٦ ـ الاسلام فى القرن العشرين للعقاد ـ طبع دار القلم بالقاهرة ٠

٧ ـ البداية والنهاية لابن كثير ـ طبعة ثانية سنة ١٩٧٧م ـ دار الفكر بيروت ٠

٨ ـ البيان والتبيين للجاحظ ـ طبع سنة ١٩٤٨م ٠

(ت)

٩ ـ تاريخ الطبرى ـ طبعة ثانية ـ دار المعارف بمصر ٠

١٠ ـ تدريب الراوى للسيوطى ـ ط : سنة ١٩٥٩م مكتبة القاهرة ، الناشر النمكانى ٠

١١ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطى ـ مطبعة دار الفكر سنة ١٩٧٤م ٠

١٢ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ـ الناشر دار الكتاب العربى ٠ بيروت ٠

١٣ ـ تفسير الطبرى ـ طبعة ثالثة سنة ١٩٦٨ م مصطفى البابى الحلبى ٠

١٤ — تفسير ابن كثير — ط : سنة ١٣٨٩ هـ ، طبعة ثانية ، دار الفكر والفجالة سنة ١٩٦٥م .

١٥ — تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى — ط : الفجالة .

١٦ — الترغيب والترهيب للمنذرى — ط : سنة ١٩٦٩م .

١٧ — تذكرة الدعاة للبهى الخولى — ط : دار الفتح .

١٨ — تذكرة الدعاة للمودودى — ط : المكتب الاسلامى .

(ث)

١٩ — ثقافة الداعية للدكتور يوسف القرضاوى — بحث مقدم لمؤتمر الدعوة واعداد الدعاة الذى عقدته الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٩٢ هـ فى شهر صفر .

(ج)

٢٠ — الجواب الكافى لابن القيم — ط : دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢١ — جامع الترمذى — ط : الفجالة الجديدة — الناشر محمد الكتبى .

٢٢ — جواهر الأدب للهاشمى — ط : سنة ١٩٦٥م .

(ح)

٢٣ — الحسبة فى الاسلام لابن تيمية — ط : سنة ١٩٦٧م بدمشق .

٢٤ — حلية الأولياء لأبى نعيم — الناشر دار الكتاب العربى .

٢٥ — حياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوى — ط : هندية وطبع دار القلم بدمشق .

٢٦ — حقائق الاسلام وأباطيل خصومه للعقاد — ط : القاهرة ، دار القلم سنة ١٩٦٦م .

(د)

٢٧ — دليل الفالحين شرح رياض الصالحين — ط : دار الفكر .

(ر)

٢٨ — رجال الفكر والدعوة فى الاسلام لأبى الحسن على الحسنى الندوى — طبعة أولى سنة ١٣٧٩ هـ — ١٩٦٠م بدمشق .

٢٩ — الرسول صلى الله عليه وسلم لسعيد حوى — ط : سنة ١٩٧٤م .

٣٠ — الرسالة المحمدية للندوى — ط : الرسالة ببيروت .

٣١ — رياض الصالحين للنووى — ط : دار الكتاب العربى ببيروت .

(س)

٣٢ — السنن الكبرى للبيهقى — ط : فى الهند — الدكن سنة ١٣٥٢ هـ تصوير دار صادر بيروت .

٣٣ — سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى — ط : بدمشق المكتب الاسلامى .

٣٤ — سنن أبى داود — ط : سنة ١٩٥٢م مصطفى البابى الحلبى .

٣٥ — سنن الدارمى — ط : بعناية محمد دهمان ، نشرته دار احياء السنة النبوية .

٣٦ — سنن ابن ماجه — دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى .

٣٧ — سنن النسائى بشرح السيوطى — المطبعة المصرية بالأزهر .

٣٨ ـ السيرة النبوية لابن هشام ـ ط : شركة الطباعة الفنية المتحدة .

(م)

٣٩ ـ صحيح مسلم بشرح النووى ـ ط : فى المطبعة المصرية ومكتباتها .

(ش)

٤٠ ـ شرح الطحاوية ـ ط : فى الرياض .

(ط)

٤١ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ـ ط: دار صادر بيروت .

٤٢ ـ طرق تدريس الدين للهاشمى ـ ط : بدون .

(ع)

٤٣ ـ العوائق لمحمد الراشد ـ ط : مؤسسة الرسالة فى بيروت .

٤٤ ـ عدة الصابرين لابن القيم ـ ط : دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٤٥ ـ عقيدة المسلم للغزالى ـ ط : بدار الكتب الحديثة بعابدين ـ القاهرة .

٤٦ ـ عمدة القارى شرح صحيح البخارى ـ الطبعة المنيرية .

٤٧ ـ عون المعبود شرح سنن أبى داود ـ ط : فى الهند .

٤٨ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه ـ ط : سنة ١٩٤٨م ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

٤٩ ـ عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر ـ ط : سنة ١٩٧١م طبعة ثانية .

٥٠ ـ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ـ ط : دمشق سنة ١٣٩٤م احياء علوم الدين .

(ف)

٥١ ـ فتح الباري لابن حجر ـ المطبعة السلفية .

٥٢ ـ في ظلال القرآن لسيد قطب ـ الطبعة الخامسة ١٩٦٧م.

٥٣ ـ فيض القدير للمناوي ـ طبعة ثانية سنة ١٩٧٢ هـ دار المعرفة بيروت .

٥٤ ـ الفتح الرباني لعبد الرحمن البنا ـ طبعة أولى سنة ١٣٧٦ هـ.

٥٥ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ـ طبع في الرياض .

٥٦ ـ الفوائد لابن القيم ـ ط: سنة ١٩٧٣م بدار الكتب العلمية ببيروت.

(ق)

٥٧ ـ قبسات من الرسول لمحمد قطب ـ طبع دار الشروق .

(ك)

٥٨ ـ كيف ندعو الناس لعبد البديع صقر ـ د. : سنة ١٩٧٤م المكتب الاسلامي .

٥٩ ـ الكامل لابن الأثير ـ ط: سنة ١٩٦٦م.

٦٠ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ـ دار صادر والمكتب الاسلامي مع المسند .

٦١ ـ كيف نفهم الاسلام للشيخ الغزالي ـ ط : دار الكتب الحديثة .

٦٢ ـ كشف الخفا ومزيل الألباس للعجلوني ـ طبعة ثالثة سنة ١٣٥١ هـ دار احياء التراث العربي بيروت .

٦٣ ـ الكشاف للزمخشري ـ ط : طهران انتشارات افتاب .

(ل)

٦٤ — اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان لمحمود فؤاد عبد الباقي — ط : عيسى البابي الحلبي .

٦٥ — النهاية في غريب الحديث لابن الأثير — طبع عيسى البابي الحلبي .

(م)

٦٦ — مدارج السالكين لابن القيم — ط: السنة المحمدية بالقاهرة .

٦٧ — مستدرك الحاكم — الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض .

٦٨ — المسند لأحمد بن حنبل — طبع المكتب الاسلامي ودار صادر .

٦٩ — منهج التربية الاسلامية لمحمد قطب — ط : دار الشروق .

٧٠ — مع الله — دراسات في الدعوة والدعاة للغزالي — ط : دار الكتب الحديثة بعابدين . القاهرة .

٧١ — مجموع فتاوى ابن تيمية — ط: الرياض .

٧٢ — مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب — مطبعة الحكومة السعودية .

٧٣ — مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي — ط : دار الكتاب . بيروت .

٧٤ — المجددون في الاسلام لعبد المتعال الصعيدي ، المطبعة النموذجية الناشر مكتبة الآداب بالجماميز .

٧٥ — ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوي — ط : علي بن علي الدوحة .

٧٦ — المعلم وأثره في التربية الاسلامية للدكتور محمد الزحيلي ، بحث مكون من صفحات قدم لمؤتمر التعليم العالمي الذي عقد برعاية جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة سنة ١٣٩٧ هـ .

(و)

٧٧ - الوصى المحمدى لرشيد رضا - ط : المنار ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥م.

٧٨ - الوابل الصيب شرح الكلم الطيب لابن القيم - ط : سنة ١٩٧٣.

٧٩- الأسماء والصفات للبيهقي

٨٠ - اصول الدعوه .. .. ..د.عبدالكريم زيدان ط:٣